الكتاب : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية
المؤلف : علي بن الحسين الخزرجي
مصدر الكتاب : موقع الوراق
[الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع]

وفيها توفي الفقيه الإمام أبو العباس أحمد بن الفقيه علي بن أحمد الحرازي وكان مولده سنة ثلاث وأربعين وستمائة تفقه بالفقيه عبد الرحمن الأيني وبأبي شعبة وأخذ عن أبي حجر وغيره. ولما قدم المقري عبد الله البكراوي أخذ علم القراءَات وقرأ عليه الحروف السبعة وكان بها عارفاً وأخذ أيضاً عن المقري شيئاً. وكان عارفاً بالفقه واللغة والنحو والحديث وبظاهر الأصول. وكان من ابرك الناس تدريساً قل ما قرأ عليه أحد إلا انتفع به لبركته وحسن تدريسه وانتفع به خلق كثير من عدن وغيرها. وامتحن بالقضاء لما ولي ابن الأديب القضاء الأكبر وكان من خيار أهل زمانه. ومن غريب ما يذكر عنه أنه لم يعلم له صبوة وحج. وكانت وفاته سحر ليلة الثلاثاء لسبع بقين من رجب من السنة المذكورة رحمه الله.

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح محمد بن إبراهيم بن سالم بن مقبل وكان فقيهاً فاضلاً مباركاً تفقه بالفقيه إسماعيل الحلي. وكان من أهل المروءات والحميات على أبناء الجنس والدين قدم سهفنة فأخذ عن فقيهها وأخذ عن أبى الخير بن منصور وسيط الواجدي وعن صالح بن علي الحضرمي. وكان يروي عنه وإليه هاجر ولد الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الأصبحي فآنسهُ وبش له وتوسع له ولأهله عدة سنين حتى رجع ولد الفقيه إلى بلده ولم يزل الفقيه على السيرة المرضية إلى أن توفي بذي حيران ودفن مع أهلها. وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفي سنة تسع عشرة وسبعمائة توجه السلطان الملك المؤَيد إلى الأعمال الشهانية فوقف في الكدراء وعزل بعض النواب وأمر آخرين. وكان القاضي صفي الدين مستمر الحكم في الدواوين. وفيها فوض السلطان الملك المؤَيد إلى الأمير علاء الدين كشدغدي نيابة السلطنة والأتابكية على العساكر المنصورة وتقدم في هذه الوظيفة تقدماً لم يسمع بمثله وحصل بينه وبين القاضي صفي الدين صهره منافسة في الظاهر والباطن.

وفي هذه السنة أيضاً حصل من السلطان تغير على الأمير شجاع الدين عمر ابن علاء الدين الشهابي فعزله عن وظيفته وقبض عليه وأودعه السجن ونسب إليه حديث من جهة الملك الناصر فأَقام أسبوعاً في السجن ثم تحقق للسلطان براءَته فأطلقه وحصل بين الأمير شجاع الدين وبين القاضي جمال الدين منازعات طويلة وأحضر القاضي جمال الدين إلى مقام السلطان جماعة يشهدون على الأمير شجاع الدين بكلام كثير متعلق بالملك الناصر. وحضر الملك الناصر يومئذ

مقام السلطان ونفى عن الأمير شجاع الدين جميع ما ذكر عنه وحقق للسلطان ما كان من القاضي جمال الدين فغضب السلطان غضباً شديداً على القاضي جمال الدين وسلمه إلى القاضي صفي الدين ليستخلص منه مالاً كثيراً فصادره مصادرة قبيحة.

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح محمد بن أبي الحسن بن احمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن إبراهيم بن حسين بن حماد بن أبي الخل. وكان أبوه احمد بن محمد أول من درس منهم فلما هلك خلفه ابنه هذا محمد المذكور. وكان فقيهاً فرضيّاً زاهداً متورعاً. وكان تربا لابن عمه احمد بن الحسن المذكور أولاً وبلغ عمره ثمانين سنة. ولم يتزوج. وكان وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي ابن عمه وهو الفقيه الفاضل أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف وكان فقيهاً فرضياً نحويّاً تفقه بابيه وتوفي في السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه الفاضل محمد بن عبد الله بن أبي السرور وكان فقيهاً صالحاً تقيّاً خيراً وكانت وفاته رحمه الله تعالى في السنة المذكورة.

وفيها توفي الفقيه الفاضل أبو الخطاب أحمد بن عمر الحميري وكان فقيهاً فاضلاً زاهداً ورعاً ذا عبادة وامتحن في آخر عمره بالعمى. وكان تفقه على أبيه وتوفي رحمه الله تعالى في السنة المذكورة.

وفيها توفي الفقيه الفاضل أبو محمد عبد الله بن الحسن بن عطية بن علي بن عطية الشعدري وكان ميلاده سنة إحدى وخمسين وستمائة تفقه بعم أبيه أحمد بن علي بن عطية. وولي قضاء المهجم وانفصل عنه وكان قد ولي الخلافة قبل المهجم. ولما فصل من المهجم ولي قضاءَ بلده إلى أن توفي في رجب من شهور سنة تسع عشرة وسبعمائة رحمه الله تعالى.

(173/1)

وفي سنة عشرين وسبعمائة مرض الأمير علاء الدين كشدغدي مرضاً شديداً أفضى به إلى الموت وحصلت مرافعات كثيرة على القاضي صفي الدين عبد الله بن عبد الرزاق. وحقق كتاب الدواوين في المقام السلطاني أنه أخذ جملة من المال فعزله السلطان عن يد الاستيفاء وفوض الأمر في ذلك إلى الأمير جمال الدين يوسف بن يعقوب بن الجواد. وكان أميراً كبيراً عالي الهمة حسن التأني وسأل من السلطان رحمه الله تعالى أن لا يجعل عقوبة أحد على يديه. وإن مهما تعين من المال للدواوين أمر السلطان أمير جاندار باستخراجه وهذا أكبر دليل على خيره.

وفي هذه السنة المذكورة وصل القاضي الأجل محي الدين يحيى بن عبد اللطيف التكريتي من الديار المصرية على طريق مكة المشرفة وأحضر إلى مقام السلطان جوهرً كثيراً من الزمرد واللآلئ. وتقدم عند السلطان تقدماً حسناً. وأحل محل الوزارة. وسلم إليه السلطان من خالص ماله مائة ألف دينار من المال الخالص على حكم التجارة. وكتب له إلى عدن بخمسين ألفاً فلما نزل إلى عدن تصرف

فيها تصرف المالك وكان قابضاً على الوزارة.
وفي هذه السنة أيضاً وصل الأمير بدر الدين حسن بن أحمد بن المختار الإمام الفاضل العارف بعلوم الأوائل من الهيئة والهندسة وعلم المخطى. وكان مشاركاً فيكل فن وضارباً في كل علم بنصيب. ولم يكن في البلاد المصرية ولا البلاد الشامية من يناسبه في معرفته مع اتساعها وفرح السلطان بوصوله فرحاً شديداً.
وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر بن عمر الأحنف وكان فقيهاً ورعاً وكان إماماً في المدرسة الأشرفية بذي جبلة توفي لخمس بقين في شهر رجب من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.
وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل أبو عبد الله محمد بن الحسن ابن أبي الرجا الجناب بن أبي القاسم الحميري. وكان مولده سنة سبع وثلاثين وستمائة وتفقه في بدايته بالفقيه علي بن الحسن الآصابي وبابن النابه. وهو أول من رتب في المدرسة المظفرية طالباً مع الفقيه علي بن الحسن وولاه بنو عمران قضاء الناحية وتدريس مدرسة الرخة. فلما صار القضاء إلى بني محمد بن عمر عزلوه. وكانت طريقته مرضية إلى أن توفي في سلخ المحرم من السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى.
وفيها توفي الإمام العلامة عبد المؤمن بن عبد الله بن راشد البارقي ثم التميمي هكذا قال الجندي وذكر أنه منسوب إلى عرب يسكنون ناحية من بلد بني شهاب. ويعرفون ببني بارق نسبة إلى عمرو بن براقة. وكان أحد رؤساء العرب الذين قتلوا مع الحسين بن علي رضي الله عنهما. وكان عبد المؤمن المذكور ممن رسخ في السمعلة. وأَقام فيها مدة طويلة إلى أن ثار ابن خمسين سنة. ثم تشكك في كونهِ على الحق أم على الباطل فجعل يزور المشاهد المشهورة. والترب المباركة. ويسأَل الله تعالى أن يريهُ الحق حقّاً ويرزقهُ اتباعه. فمالت نفسه إلى الانتقال إلى مذهب الإمام الشافعي فحين علم الإسماعيلية بذلك شق عليهم. وهموا بقته فتقدم إلى القاضي وهو يومئذ عمر بن سعيد وأخبره بقصته وإنه يريد الدخول في مذهب الشافعي لكنهُ يخشى من الإسماعيلية. فقدم به القاضي عمر بن سعيد إلى الأمير علم الدين ينجر الشعيبي وأخبراه بالقصة فقال الأمير علم الدين من سكب عليك كوز ماءٍ سكبت عليه كوز دم فتاب على يد القاضي بحضرة الأمير وأخذ منهما العهود والمواثيق على حمايته وتوثق منهما وخرج من فوره وتظاهر بترك السمعلة والدخول في مذهب أهل السنة. وجعل يسب الإسماعيلية ومذهبهم. ويذكر قبائح أفعالهم فحين سمعوا منه ذلك سعوا في قتله أشد السعي لكن الدولة قهرتهم. وكان عبد المؤمن رجلاً مباركاً زاهداً ورعاً لازماً طريق القناعة غالب أوقاته في مسجد الجامع بصنعاء حتى قيل أنه لازم الاعتكاف أربعين سنة. وكان كثير التلاوة لكتاب الله في المصحف. وكان يقرأُ كتب الحديث وقرأَ بعض كتب اللغة وبداية الهداية. ولم يزل على الطريق المرضي إلى أن توفي في سلخ صفر من سنة عشرين وسبعمائة. وهي السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه الصالح إبراهيم بن الفقيه علي بن إبراهيم النحلي وكان ميلاده سنة ثلاث وستين وستمائة تفقه بأبيه وكان من أعيان الفقهاء الفضلاء الآخذين عن أَبيه. وكان أبوه يحبه حباً شديداً ويفضله. فسئل عن ذلك فقال كنت عند والدته حين وضع في الخيمة التي وضعته أُمه فيها فحين سقط إلى الأرض أضاءت الخيمة وأنارت حتى أني عددت جوانح الخيمة.

قال الجندي وأخبرني الخبير بحاله أنه كان من أخير أولاد الفقهاء ديناً وكرماً ومعرفة للفقه وعبادة غالب أيامه الصيام ولياليه القيام. وكان كثير الإطعام قل ما تلد الأخيار مثله. توفي على أكمل طريق مرضي ليلة الجمعة سابع عشر من ذي الحجة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه الصالح موسى بن الفقيه الإمام العلامة أبي العباس أحمد بن موسى بن علي بن عجيل. وكان فقيهاً صالحاً فاضلاً ديناً خيراً تفقه بأبيه وكان مشهور الفضل والصلاح توفي يوم السادس من شعبان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه الصالح محمد بن عمر بن حشيبر بضم الحاء المهملة وفتح الشين المعجمة وسكون المثناة من تحتها وكسر الباءِ الموحدة وآخره راء. وكان فقيهاً زاهداً ورعاً صاحب كرامات له في الحكمة كلام عجيب. توفي في غرة ذي الحجة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفي سنة إحدى وعشرين وسبعمائة وصل القاضي محي الدين من عدن وحصل بينه وبين القاضي صفي الدين مرافعات كثيرة. واتفق لمحي الدين اتفاقات ليست بحسنة فنقص ذلك القبول من جهة السلطان. وكان في ذلك يطلب الوزارة ويجتهد ويسعى في تحصيلها فلما ألح وأكثر قال السلطان كلا لا وزر ثم أراد السلطان أن يجبر خاطره فأركبهُ يوم العيد عيد الفطر في موضع الوزارة وركب بالطرحة على عادة الوزراء المصريين.

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن شبا الشعبي وكان فقيهاً فاضلاً تفقه بمحمد بن أبي بكر الأصبحي وتزوج ابنته وهو وصيه. وكان منصوبه على أولاده وولي قضاء بلده من قبل بني محمد بن عمر مدة ثم انفصل عنه وكانت وفاته في شعبان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه الفاضل أبو محمد عبد الله بن اسعد الحديفي نسبة إلى قوم يقال لهم الاحدوف. وكان فقيهاً فاضلاً تفقه بالعماري وسكن قرية الخصابتين وكان صبوراً على إطعام الطعام وإكرام الأنام. عظيم العبادة إلى أن توفي. وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه الإمام العلامة أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الله العامري الملقب جمال الدين وكان يعرف بالمدرس لطول إقامته على التدريس بالمهجم وشهرته فيه. وكان مولده سنة أربعين وستمائة وهي السنة التي توفي فيها الإمام أبو الحسن علي بن قاسم الحكمي. وكان تفقه الإمام جمال الدين بخاله الفقيه إسماعيل بن محمد الحضرمي. وأخذ عن الإمام أحمد بن موسى بن عجيل

وهو من أبرك فقهاء تهامة تدريساً. وأكثرهم نشراً للعلم أخذ عنه جمع كبير وصنف عدة مصنفات منها شرح التنبيه شرحاً مفيداً أثنى عليه غالب الفقهاءَ وله شرح الوسيط أيضاً. وذكروا أنه أقام على التدريس في المهجم نحواً من خمسين سنة. ولذلك كثر أصحابه وانتشر عنه الفقه وامتحن بقضاء المهجم من قبل بني محمد بن عمر. ثم لما صار القضاء الأكبر إلى ولد الفقيه أبي بكر بن محمد بن عمر اليحيوي استدعاه فعزل نفسه حين وصله الطلب. وكان سهل الأخلاق لين الجانب سليم الصدر مشهوراً بالبركة وكانت وفاته في مستهل صفر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

قال الجندي أخبرني الثقة إن بعض الفقهاءِ من الحضارم رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة موت الفقيه ورأى مع النبي صلى الله عليه وسلم صاحبيه أبا بكر وعمر والفقيه محمد بن إسماعيل الحضرمي وابنه إسماعيل فقال لجده محمد يا جد من هؤلاءِ معك يعني النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فقال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه أبو بكر وعمر جئنا جميعاً في طلب الفقيه جمال الدين فاستيقظ الرائي من نومه وأذبه يسمع قائلاً يقول مات الفقيه جمال الدين رحمه الله تعالى.

(175/1)

وفيها توفي الفقيه الفاضل أبو عبد الله محمد بن حسين وكان فقيهاً فاضلاً كريم النفس حسن الأخلاق وكان محفوظه من كتب الفقه الوجيز ولم يدرس في جامع القرية. وانتفع به جماعة وكانت وفاته يوم الجمعة التاسع من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفي هذه السنة توفي السلطان الملك المؤَيد رحمة الله عليه وكان قد عزم على النزول إلى زبيد كجاري عادته في كل سنة فبرز إلى قصر الشجرة فأقام فيه نحواً من عشرة أيام بسبب مرض أصابه فلما اشتد به المرض وهو في قصر دار الشجرة أمر ولده السلطان الملك المجاهد بطلوع الحصن ولم يكن له يومئذ ولد غيره فطلع الحصن آخر نهار الاثنين سلخ ذي القعدة من السنة المذكورة. وتوفي والده السلطان المؤَيد بعد نصف الليل من ليلة الثلاثاء أول ليلة من ذي الحجة. وقد ترك الأمير جمال الدين يوسف بن يعقوب بن الجواد. وكان يومئذ نائب السلطنة وأتابك العسكر وأستاذ دار السلطان ونزل بنزوله جماعة من العسكر وأعيان الأمراء. فثبت ثباتاً حسناً وحفظ نظام السلطنة وضرب إركاً على الشجرة إلى آخر الليل بالسلطان المرحوم إلى الحصن فحطوه في دار العدل وكان رحمه الله قد أوصى أن يغسله جماعة من الفقهاء منهم الفقيه الطفاري والبها الجاندار. وإن تكون آلة الغسل كلها مدر يشترى من السوق وإن يشترى كفنه من السوق فاشترى له ذلك كما ذكر. فكان أول شيءٍ استنكره الناس من ولده المجاهد وحمل من دار العدل إلى مدرسته إلى أنشأها في معزية تعز فدفن بها وكان يوم دفنه يوماً مشهوداً فيالها من مصيبة تركت العامة حيارى والخاصة سكارى.

خرجوا بهِ ولكل باكٍ خلفه ... صعقات موسى يوم دك الطورُ

حتى أتوا جدثاً كأَن ضريحه ... في قلب كل موحد محفورُ

والشمس في كبد السماءِ مريضة ... والأرض راجفة تكاد تمورُ

وكان له من المآثر التي أنشأها في معزية تعز المعروفة بالمؤيدية وجعل فيها مدرساً ودرسة ومعيداً وإماماً ومؤذناً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن ومقرئاً يقرئ القرآن بالسبعة لا حرف ووقف عليها من الأراضي والكروم ما يقوم بكفايتهم ووقف فيها خزانة من الكتب النفيسة وابتنى في أيامه عدة من المآثر. فابتنت كريمته التي تسمى جهة دار الدملؤة مدرسة في مدينة زبيد ومسجداً فيتعز ومدرسة في ظفار الحبوضي أيضاً وجددت مسجداً في مدينة زبيد. وابتنى الخاندار مسجداً في مدينة تعز وهو الذي بين المعزية وعدينة وعنده الأحواض وبه تعرف إلى الآن فيقال مسجد الخاندار. وابتنى الأمير محمد بن ميكائيل الذي كان أستاذ داره مدرسة في زبيد وهي التي قبالة باب الشبارق تمر المجرى تحتها وهي الآن خراب.

وكان السلطان المؤيد ملكاً جباراً شجاعاً مقداماً شهماً جواداً. كريماً متلافاً. له في الشجاعة والجود فعلات مشهورة يعرفها الخاص والعام. وكان رحمه الله مشاركاً في كثير من العلوم قد أخذ في كل فن وشارك في كل علم وكان يحفظ مقدمة طاهر بن بابشاذ وكفاية المتحفظ في اللغة وأجمل للزجاجي قراءة وأخذ التنبيه أيضاً لأبي إسحاق الشيرازي قراءة محققة وطالع الكتب المبسوطة في كل فن وسمع الحديث النبوي من الشيوخ الموثوق بهم ممن علا سنده. وأجازه الشيخ الإمام المبجل أبو العباس أحمد بن محمد الطبري شيخ السنة بالحرم الشريف في البخاري والترمذي وناوله صحيح مسلم وأجازه في باقي الأمهات على حكم روايته من الكتب التي سمعها واستجازها وما صنفه في كل فن وما وجد له. واختصر كتاب الجمهرة في التبرزة وبين في مختصره ما لم يبينه صاحب الكتاب من عمل التدنيق ووصل الجناح وشرح طردته إلى أبي فراس شرحاً شافياً وهي التي أولها

ما العمر ما طالت به الدهور ... العمر ما ثَمَّ به السرورُ

ونقل جانباً من أشعار الجاهلية والمخضرمين والمولدين. وجمع من مصنفات العلم على اختلاف أنواعها من علم قراءَاتها وقرائها وحديثها وفقهها وأصولها وفروعها وحقيقتها وأدبها ومعرفة أيام عربها من تاريخها ونسبها وأشعارها على اختلاف طبقاتها شيئاً كثيراً والله أعلم.

الباب السادس

ذكر أخبار الدولة المجاهدية

قال الأشراف أبو العباس إسماعيل بن العباس تولاه الله بحسن ولايته.

كان مولانا السلطان الملك المؤيد رحمه الله ملكاً شهماً شجاعاً مقداماً جواداً هماماً عالي الهمة شريف النفس كريم الأخلاق حميماً وضيئاً حسن الشمائل.

للشمس فيه وللرياح وللسحا ... ب وللبحار وللأسود شمائل
ولديه ملعفان والأدب المفا ... د وملحباء وملمات مناهل
وكان كامل الأوصاف لين العريكة حسن السياسة صادق الفراسة شديد الحركة شديد المملكة.
قال ابن عبد المجيد لما استقرت قاعدة السلطان الملك المجاهد في الملك عزل الأمير جمال الدين يوسف بن يعقوب وفوض نيابة السلطنة إلي الأمير شجاع الدين عمر بن يوسف بن منصور وجعله اتابك العسكر. وكان قبل ذلك شاد الدواوين في الدولة المؤيدية وكتب له بذلك منشورين لهما وقرئا بمحضرهما. وحصل بين السلطان وبين ابن عمه الملك الناصر جلال الدين محمد بن الملك الأشرف مراسلة تقتضي أمانا وعهوداً. فأرسل إليه من جهته الفقيه شهاب الدين عبد الرحمن الظفاوي وهو معلم السلطان والطواشي شهاب الدين صلاح ليحفاه للسلطان فحلف كما يجب الأيمان ثم أرسل الملك الناصر وكيله وهو الفقيه جمال الدين محمد بن الوشاح ليحلف للسلطان فحلف له كما يجب الأيمان.
ولما تمكن الأمير الشجاع عمر بن يوسف بن منصور من السلطان وعظمت منزلته عنده سعى في خلاص المعتقلين في معقل الدملؤة وكان فيه ممن اعتقله السلطان المؤيد الأمير نجم الدين أحمد بن ازدمر المظفري وأخوه الأمير بدر الدين محمد بن ازدمر والأمير نجم الدين أحمد بن أزمر الخازندار الفارس المظفري والأمير شمس الدين اطينا أمير خازندار الخليفة. والشريفان داود وأخوه ابنا الشريف قاسم بن حمزة وقد كانت لهم يد طويلة. وطرد الأمير جمال الدين بن يوسف بن يعقوب بن الجواد عن الباب وتكلم عليه عند السلطان بأنه مشؤوم وغلب عمر بن يوسف إلى الباب وحملت له الطبلخانة وضبط الباب ضبطاً عظيماً. وكان من أذكياء الرجال ودها متم واعرفهم بتدبير المملكة.
وفي سنة اثنتين وعشرين نزل السلطان من الحصن وكان نزوله يوم الثالث من المحرم فسار آلي دار الشجرة فأقام بها.
ويروى انه لما أراد النزول من الحصن آلي دار الشجرة أرسل رسولاً آلي بعض المتصدرين يومئذ في علم الفلك يأمره أن يختار له وقتا جيدا في ذلك اليوم.فنزل السلطان من الحصن في ذلك الوقت الذي قد اختير له ففزع الرجل لما علم بنزول السلطان في ذلك الوقت فسال باقي أهل فنه عمن اختار للسلطان ذلك الوقت الذي نزل به فقالوا له كلهم ما اختاره له أحد سواك.

فقال والله ما عملت أن مراده النزول وهذا الوقت الذي نزل فيه من الحصن وقت مكروه وربما انه لا يرجع إليه إلا في حالة معكوسة. ثم أن الأمير شجاع الدين عمر بن يوسف بن منصور أوقع في قلب السلطان من الملك الناصر شيئا فأمره بقبضه. فأرسل الأمير شجاع الدين جماعة لقبضه فلما علم الناصر بذلك لجأ إلى تربية الفقيه عمر بن سعيد بذي عقيب فتبعه الجماعة إلى التربة المذكورة

وقبضوه من التربة ولم يراعوا حق الجوار. ثم رجعوا به إلى تعز. وكان ذلك في العشر الوسطى من صفر من السنة المذكورة. فلما وصلوا به إلى تعز أمر السلطان بسجنه فسجن في حصن تعز فأقام محبوسا في الحصن إلى سلخ جمادى الأولى. ثم أمر السلطان به إلى سجن عدن وأرسل مائة فارس تسير به إلى هنالك. وكان السلطان رحمه الله قد تقدم إلى الجند في غرة شهر ربيع الأول فأقام فيها أياما وفي خلال ذلك نصب الفقيه عبد الرحمن الظفاري قاضي قضاة بمحضر جماعة من فقهاء تعز. وأقام بعد ذلك أياما ثم توجه إلى الدملؤة في أثناء شهر ربيع الأول فأقام فيها أياما. وافتقد خزانته ونزل ولم ينعم على أحد بشيء كما جرت العادة. فلما نزل من الدملؤة وتقدم إلى نعمات فأقام فيها إلى يوم الأربعاء الثامن من شهر جمادى الآخرة. وقال ابن عبد المجيد إلى النصف منه ضج أُمراؤهم وقلوب العسكر نافرة منه. وقد سعى إبراهيم في فساد دولته وقرروا قاعدة عند الملك المنصور أيوب بن السلطان الملك المظفر يوسف بن عمر. فلما كمل سعيهم الذي أرادوا اجتمعت الأمراء والمماليك الكبار وقصدوا دار الشجاع عمر بن يوسف بن منصور وكان يسكن في ناحية المجاذيب من مدينة تعز فقتلوه وقتلوا معه صهره الأمير بدر الدين محمد بن علي الهمام. وكان معهم الفقيه عبد الرحمن الظفاوي قاضي القضاة والشيخ محمد بن عثمان العيسى من عيس حكم فقتلوه أيضاً وخرجوا من فورهم أيضاً إلى ثعبات فلزموا السلطان هنالك ونهب في تلك الليلة عدة بيوت في المغربة والمجاذيب ممن ينتمي إلى مولانا السلطان ورجعوا إلى الملك المجاهد أسيرا فأقام عنده تحت الحفظ ثلاثة أيام وهو يستخلف العسكر فحلفوا له الأيمان المغلظة. فلما كان اليوم الرابع طلع الملك المنصور الحصن في ناموس المملكة وزي السلطان وطلع بالسلطان الملك المجاهد معه تحت الحفظ فجعله في دار الأمارة على الإعزاز والإكرام يؤتي إليه كل يوم بما يحتاجه ويشتهيه من طعام وشراب وحريم ولما استقر الملك المنصور في الحصن أرسل لأبن أخيه الملك الناصر فلما وصل إلى الجند تلقاه بالطبلخانة وأقطعه المهجم إلى عدن وعقد للأمير بدر الدين حسن بن الأسد الأولويه. ورفع له الطبلخانه واقطعه حرض ثم عقد لولديه الملك الكامل بأمور الدين والملك الواثق شمس الدين ورفع لهما الطبلخانه. وجعل لكل واحد منهما إقطاعاً جيداً وأرسل ولده الملك الظاهر أسد الدين إلى الدملؤة وفي خدمته ياقوت التعزي وفوض نيابة السلطنة إلى الأمير شجاع الدين عمر بن علاء الدين الشهابي. فأقام أياماً فحصلت بينه وبين الأمراء البحرية مخافره فصرفه السلطان عن نيابته وجعل مكانه الأمير جمال الدين يوسف بن يعقوب بن الجواد المعروف بالخصي وفوض إليه أمر الباب كله وأقام السلطان الملك المنصور في سلطنته إلى ليلة السبت السادس من شهر رمضان وذلك على رواية ابن عبد المجيد ثمانون يوماً. وعلى الجندي نحو من تسعين يوماً انصرف فيها من المال نحو من سبعمائة ألف دينار خارجاً عن المركوب والملبوس.

ثم كان من قضاء الله وقدره أن تقدم بعض غلمان الملك المجاهد رحمة الله عليه إلى بلاد العربيين واتفق هو وجماعة منهم كان مقدمهم بشر الذهابي وعاملوا رجلا يقال له بن الفوارس على طلوع الحصن من قفاه باتفاق جماعة من عبيد السربخاناه فأدلوا لهم الحبال وأطلعوهم رجلاً رجلاً. وكانوا أربعين. فلما صاروا كلهم في الحصن أرادوا أن يثوروا فمنعهم عبيد الشربخانات وقالوا لهم لا تحدثوا حادثة حتى نقول لكم فامسكوا عندهم إلى أن أصبح الصباح ونزل الخادم بمفاتيح أبواب الحصن.

فلما علم عبيد الشريخانات والمعسكر الذي معهم بنزول الخادم والمفتاح خرجوا عليه فضربوه بأسيافهم. وقبضوا المفاتيح ولم يشعر الملك المنصور حتى دخلوا عليه بمجلسه الذي أمسى فيه فقبضوه منه وخرجوا يريدون الملك المجاهد وكان والي الحصن والرتبة يبيتون في دار المضيف. فلما أشرف عليهم أهل الحصن ونادوا بشعار المجاهد قاتل أمير الحصن قتالا شديداً حتى قتل. وارتجت المدينة فركب الملك الناصر وركب معه كثير من العسكر.ووصلوا اسفل الحصن فلم يتهيأ لهم فيه عمل وأبوابه مغلقة. وركب سائر الأمراء البحرية إلى الملك الناصر وقالوا له أن كان الملك المنصور مات أو قتل أو قبض فأنت أولى بالملك. فاجتمعت كلمتهم على ذلك وابعث المدينة خيلاً ورجلاً يريدون طريقاً إلى الحصن فما وجدوا فلما رآهم السلطان الملك المجاهد كذلك وعلم ما أجمعوا عليه عجب من فعلهم. وقال سبحان الله ما في هؤلاء من يذكر لوالدي حسنة عليه ولا جميلا إليه ثم أمر صائحا يصيح من أعلى الحصن بأعلى صوته يقول يا أهل تعز بيوت المنصورية لكم حلال فرجعت الأمراء والملوك إلى بيوتهم خوفا من النهب وغشيهم السواد الأعظم. وكان يوما عظيما فلم يمض نصف النهار إلا وقد كتبت إليه والدته جهة صلاح تقول له أعلمك يا ولدي أن بنات عمك وسائر نساء الملوك هتكوا ونهبوا ولم يبق لهم باقية. وقد صاروا في حصر المساجد والمدارس فأقاموا صائحا صيح في الناس من أخذ شيئا من بيوت الملوك فليرده. وأمر بقبض أولاد الملوك فقبض الملك الناصر وولده زين الإسلام. وقبض الملك الكامل بأمور الدين بن الملك المنصور فكان كل واحد من الملوك مسجوناً وحده.

واستولى السلطان الملك المجاهد رحمه الله مرة ثانية وحصل بينه وبين المماليك عهود وذمم وكتب لهم ذراعة بالأمان والوفاء. ونادى لهم بذلك في الأسواق وفي مجامع الناس وبعد أيام قلائل أمر بإطلاق الملك الناصر ونومار الدين بن الملك المنصور. واستناب في سلطنته الثانية الأمير جمال الدين نور بن حسن. وطلب من عمه الملك المنصور أن يكتب له كتاباً إلى ولده الظاهر بتسليم الدملؤة فكتب له بذلك فلم يمتثل وامتنع من تسليمها فجهز السلطان له عسكراً مقدمه من الأمير شجاع الدين عمر بن علاء الدين. والشيخ أحمد بن عمران العبابي والشيخ عمر بن أبي بكر العنسي. وخامر جماعة على الملك الظاهر من الأشعوب فساروا بعسكر السلطان طريقاً يفضي إلى الدملؤة نحواً من شهرين فكثر القتل في الفريقين وطالت مدة الحرب. وكان معظم ذلك في ناحية حبا من أرض المعافر فلما طال الأمر خادعهم الظاهر بأن أعطى ابن العنسي مالاً فارتفع عن المحطة وتلاحق به كثير من الناس فانهزمت المحطة وارتفع أهلها وتركوا كثيراً من أموالهم وثقلهم وفي هذه

السنة توفي الفقيه أبو الخطاب عمر بن محمد بن مسعود الحجري وكان فقيها فاضلاً تفقه في بدايته بالفقيه إسماعيل الخلي ثم لما كان في السمكر بسؤال من أهلها درس على الفقيه صالح جعل يختلف إليه في السمكر حتى اكمل قراءته. ولما ولي ابن الأديب القضاء جعله قاضياً في القرية فأقام على ذلك نحو سنة ثم انصل وبقي على التدريس والخطابة إلى أن توفي في النصف من شعبان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه إبراهيم بن يحيى بن سالم بن سليمان بن الفضل بن محمد بن عبد الله الشهابي الكندي وكان فقيهاً حبراً غلبت عليه العبادة واستمر مدرسا بعد ابن محمد بن عبد الرحمن في العومانية وبعد ذلك على التدريس وهو أجود أولاد الفقيه يحيى وكان عالي الهمة سخي النفس إلى أن توفي في شهر رمضان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

(179/1)

وفيها توفي الفقيه الفاضل عثمان بن أبي بكر بن سعيد بن أحمد المرادي وكان فقيهاً فاضلاً مشهوراً بشرف النفس وعلو الهمة وإطعام الطعام. تفقه أبي عبد الله الدلالي وتفقها بذي أشرق. وكانت وفاته على الطريق المرضي في سلخ المحرم من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه الفاضل عبد الرحمن بن الفقيه عبيد بن أحمد بن مسعود بن عليان بن هاشم الرحمي. وكان مولده سنة ثلاثة وستين وستمائة تفقه بأبيه وغيره وولي القضاء في مدينة.

زبيد من قبل بني محمد بن عمر فأقام هنالك عدة سنين. قال الجندي وكان يسير على أغراضهم وانفصل سنة تسعة وسبعمائة بأبي شكيل الشحري. ولم يزل متدبراً في زبيد مستوطناً بها مدة. ثم استمر مدرساً في المدرسة التاجية بزبيد وهي التي تعرف بمدرسة المبردعين إلى أن توفي في مستهل جمادى الأولى من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه الصالح عبد الصمد بن سعد بن علي بن إبراهيم. وكان مولده ثاني صفر من سنة ست وخمسين وستمائة. وسلك طريقه عمه عمر بن سعد من القيام والصيام والعبادة مع الاشتغال بالعلم ومحبته له. وتفقه بإبراهيم المازني أحد أصحاب عمه وكان يسكن قرية الثمد وهي غربي قرية عمه بثاءً مثلثة مفتوحة وآخر الاسم دال مهملة. وكان مشهوراً بالدين والصلاح وبه يضرب المثل. وكانت قريته مأمناً للخائفين وملاذاً للمتحوزين وبيته مقصداً للزائرين توفي في النصف من شوال من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه الصالح أبو العباس أحمد بن الأمام أبي الذبيح إسماعيل ابن محمد الحضرمي تفقه بأبيه وكان فقيهاً فاضلاً عارفاً بفروع الفقه مشهور البركة في التدريس والفتوى وهو من جملة الفقهاء الذين حضروا مقام السلطان الملك المؤيد للنظر في قضية أبي شكيل وأبي بكر بن علي المشير وكان ذلك في قصر الجند سنة ست عشر وسبعمائة. وأشار إليه السلطان بالنظر فيها فلم

يفعل وأشار إلى غيره فلم يقبل. ويقال انهم ما دخلوا مقام السلطان حتى أنفقوا على ما كان منهم وهو الإشارة بقضاء ابن الأديب فكان الأمر كما ذكر. ورجع الفقهاء إلى بلادهم بعد أن أعطى السلطان للفقيه أحمد المذكور مالاً جزيلاً لقضاء دين عليه كتب له به إلى عامل المهجم. وكانت وفاته في قرية الضجى لأيام يقين من صفر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وتوفي بعده ابن أخيه الفقيه الفاضل أبو العباس أحمد بن يحيى بن إسماعيل بن محمد الحضرمي. وكان فقيهاً محققاً تفقه بعلي بن محمد الحلي وولده محمد بن علي الحلي وكانت وفاته في شهر ربيع الأول من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه الصالح أبو اسحق إبراهيم بن الفقيه أحمد بن الفقيه إسماعيل بن الحضرمي. وكان فقيهاً محققاً تفقه بعلي بن محمد الحلي وولده محمد بن علي. وكانت وفاته شهر ربيع الأول من السنة المذكورة رحمه الله تعالى وفيها توفي الفقيه الصالح أبو اسحق بن الفقيه أحمد بن الفقيه إسماعيل بن محمد الحضرمي. وكان فقيهاً صالحاً كثير الملازمة للمسجد وأقام معتكفاً نحواً من عشرين سنة. وكانت وفاته في صفر من السنة المذكورة قبل أبيه بنحو ثمانية أيام رحمهما الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه الصالح أبو الخطاب عمر بن إبراهيم بن محمد بن حسين النحلي. وكان ميلاده سنة سبع وعشرين وستمائة وأقام مدة طويلة لم يتعلق بشيء من قراءة العلم فلما رأس أخوه علي بن إبراهيم وارتفع ذكره. وكان اصغر من عمر نشط حينئذٍ فقرأ على أخيه وتفقه به وكان صاحب دنيا متسعة يحج كثيراً وكان يطعم جماعة من الطلبة ويقربهم. وابتنى مسجداً في قريته بالآجر والنورة وأقام فيه مدة يدرس فيه ويقصده الضيف والزائر وامتحن بالعمى في آخر عمره. وكانت وفاته في شهر ربيع الأول من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه الصالح أبو عبد الله محمد بن عمر العربقي بضم العين المهملة وفتح الراء نسبة إلى قرية من أعمال حسيس يقال لها العريق بضم العين المهملة وفتح الراء تصغير عرق. ثم سكن قرية من نواحي موزع يقال لها جاعمة بجيم وألف وعين مهملة مكسورة على وزن فاعلة. وكان رجلاً مباركاً ورعاً زاهداً كاملاً في سلوك الطريق مشهوراً بالخير والصلاح

(180/1)

والكرامات الظاهرة. وكان يزردع مواضع في الوادي فما تحصل منها صرفه في مصالحه وفي طعم الواردين إليه. وكان شريف النفس عالي الهمة له رغبة في طلب العلم يعجز الوقت عن نظيره في جميع أحواله وتوفي في عشر ذي الحجة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي المقري الفاضل إقبال. وكان عبداً صالحاً هندياً لخادم يقال له إقبال أيضاً ويعرف سيده بالدوري. وكان عارفاً بفن القراءات تفقه على ابن الجزاري صاحب عدن. ولما سافر سيده من عدن خرج إقبال هذا من عدن أيضاً وسكن مدينة المهجم فحصل عليه عسف من بعض ولاتها فأرتحل

منها إلى تعز فتوفي بها. وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى.
وفيها توفي الشيخ الصالح أحمد بن موسى بن عمر بن المبارك بن مسعود بن سالم بن سعد بن عمر بن علي. وكان شيخاً صوفياً فقيهاً عارفاً توفي في سلخ شعبان من السنة المذكورة رحمه الله. ودفن عنده والده وابن عمه صوفي بن يحيى في رباط أثعب بهمزة ومثلثة وموحدة بينهما عين مهملة والله اعلم.
وفيها توفي الفقيه الفاضل عبد الرحمن بن محمد بن يحيى بن أبي الرجا وكان ميلاده سنة ثمان وسبعين وستمائة. وكان فقيهاً عارفاً عالماً واستمر مدرساً في مدرسة البرحة وتوفي على الطريق المرضي في النصف من شوال من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.
وفي سنة ثلاث وعشرين كتب الملك الظاهر إلى الأمير بدر الدين حسن بن الأسد يستدعيه إلى خدمته فأجابه إلى ذلك ووصله في جمع كثيف فجهزه نحو الجند حتى أخذها يوم الأحد الثالث والعشرين من ربيع الأول. وكان فيها من قِبَل المجاهد يومئذٍ ابن أخيه قطب الدين أبو بكر بن الملك المظفر حسن بن داود وإبراهيم بن شكر وجماعة من المماليك البحرية فخامرت المماليك ومالوا إلى ابن الأسد وحلفهم للملك الظاهر فحلفوا له فخاف قطب الدين على نفسه فسرى من الجند فأصبح في تعز على موادعة بينه وبين ابن الأسد وأقام ابن الأسد في الجند أياماً قلائل ثم توجه نحو تعز في عسكر جرار من الأكراد والمماليك وغيرهم وواجهه الغياث بن الشيباني من ناحية الدمينة. وكان الغياث بن الشيباني قد وصل إلى الملك الظاهر في خلال ذلك فأكرمه ولأعظمه وحباه بمال جزيل وأمره بالتقدم إلى تعز فحطوا جميعاً على حصن تعز فأقامت المحطة سبعة أيام. فلما كان اليوم السابع ارتفع ابن الأسد منهزماً بعد أن قتل من أصحابهما أكثر من مائة نفر. وكان جملة من قتل من أهل تعز نحو من اثني عشر رجلاً.

(181/1)

ولما ارتفعت محطة بن الأسد عن حصن تعز كما ذكرنا توجه نحو الجند وتقدم معه من المماليك نحو من خمسين فارساً وساروا من الجند إلى الظاهر وهو بالدملؤَة فأحسن إليهم وطيب نفوسهم. فلما علم السلطان بذلك انقبض عنهم ولم يطلق لأحد منهم جامكية فتبعوا وطال عليهم الأمر حتى باع كثير منهم عدته وبعض ثيابه فجاهروا السلطان بالقبيح وتكرر منهم القبيح والأذى. فلما كان يوم الخميس الرابع من شهر جمادى الآخرة صاح الصائح من الحصن بأمر السلطان رحمه الله بإباحة المماليك قتلاً وأسراً ونهباً وأمر السلطان على الزعيم أن يخرج في عسكر تهامة ويحفظوا طريق الجند وطريق الشجرة وأمر إبراهيم بن شكر أيضاً أن يخرج في عسكر تهامة ويحفظوا طريق تهامة وذي هزيم ففعلوا وخرجت على خيولهم فقتل منهم خمسة نفر في الميدان وواحد عند حمام الحاي ولزم منهم جماعة فأطلعوا الحصن إلى السلطان فجلد منهم نفرين الأساوي وآخر وشنق خمسة. فلما كان

يوم السابع من الشهر المذكور شنق منهم أيضاً اثنين. وفي يوم الاثنين الرابع عشر شنق منهم اثنين فجميع من قتل وشنق منهم وجلد كلهم ستة عشر رجلاً. ولما خرجت المماليك من تعز ساروا إلى قرية الخوخية فأقاموا فيها أياماً ثم توجهوا نحو زبيدة وكان واليها يومئذ محمد بن طرنطاي وهو أحد أعيانهم فأدخلوا زبيدة بمساعدة بعض أهلها ذلك في غرة شهر رجب من السنة المذكورة فملوكها للظاهر واستولوا عليها. وكان الأمير نجم الدين أحمد بن ازدمر يومئذ في قرية السلامة فطلع إلى السلطان وتقلد له بأن يستعيد له زبيد فحمل له السلطان أربعة أحمال طبلخانة وجهز معه نحواً من خمسمائة فارس وستمائة راجل ونزل معهم الزعيم والمشد ابن العماد فنزلوا بأجمهم وحطوا في بستان المنصورة فيما بين القرتب وزبيد. فخرجت المماليك من زبيد وقصدوهم إلى المنصورة على حين غفلة وقد افترق جمعهم فأنهزم العسكر. ومن جملة من انهزم الزعيم وكان أحمد بن ازدمر غائباً لم يباشر الوقعة وثبت ابن العماد في جماعة من العسكر قتل معظمهم وسلم الباقون واقبل الأمير نجم الدين أحمد بن ازدمر وكان غائباً عن الوقعة فأُخذ أسيراً فدخلوا به زبيد وكانت الواقعة يوم الاثنين الثامن رجب وأقام الأمير نجم الدين أسيراً في زبيد إلى أن توفي آخر شعبان من السنة المذكورة.

وفي شهر شعبان المذكور من السنة المذكورة خالف عمر بن الدويدار في لحج وأَبين وسار إلى عدن فحاصرها نحواً من عشرين يوماً حتى أخذها بمساعدة بعض المرتبين من يافع وخطب فيها للظاهر. وكان دخوله عدن لأيام بقين من السنة المذكورة. وكان أمير عدن يومئذ الأمير بدر الدين حسن بن علي الحلبي فقبض عليه ابن الدويدار وبعث به إلى الظاهر وعث به الظاهر إلى السمدان فحبس هنالك. ونزل جعفر بن الأنف من الدملؤة إلى ابن الدويدار فأقام معه في عدن إلى العشرين من شوال ثم طلع إلى الدملؤة بخزانة جيدة وبر كثير.

وفي شهر ذي القعدة جهز الظاهر إلى الجند عسكراً مقدمه الأمير بدر الدين محمد بن عمر بن علاء الدين الشهابي ومعه جماعة من البحرية كالقصري وطعشر وغيرهما. وكان وصولهم الجند يوم السابع من ذي القعدة فحاربهم أهل الجند حرباً شديداً فعادوا خائبين إلى قرية العربة فأقاموا بها. وكان في الجند وال كثير الغدر والمكر يقال له ابن حسين كان يأُخذ جامكية من المجاهد وجامكية من الظاهر ولعب بهما معاً. وكان من أسواءَ الولاة حالاً وتصرفاً وأكثرهم خيانة لله وللمسلمين. فلما ارتفعت المحطة عن الجند كما ذكرنا فرق الوالي المذكور ابن حسين على أهل الجند ونواديها إذناً عظيماً فأضرَّ بالناس فعزله السلطان بابن الحجازي وولاه حصن تعز فتشاءم الناس به. وكان معه شفاليت يتغلبون على بيوت الناس وينهبون فكانوا سبب كل قبيح.

وفي هذه السنة توفي السلطان الملك المنصور أيوب بن مولانا السلطان الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول وكانت وفاته يوم الأربعاء ثاني شهر صفر من السنة المذكورة في دار الأمارة في حصن تعز معتقلاً ودفن في مدرسة والده في مدينة تعز المعروفة بالمظفرية رحمه الله تعالى.

وفيها توفي مولانا الملك المسعود تاج الخلافة الحسن بن مولانا السلطان الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن علي بن رسول وكانت وفاته في مدينة حيس يوم الثالث والعشرين من شهر المحرم أول شهور سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وهي السنة المذكورة رحمه الله تعالى.
وفيها توفي الفقيه الفاضل يوسف بن أبي بكر بن عبد الله بن محمد بن يحيى وكان فقيهاً فاضلاً معروفاً بأمانة والصبر وكان غالب ودائع أهل تلك الناحية إنما تكون عنده عارفاً في فن الفرائض مجوداً ولد سنة سبع وثمانين وستمائة وتوفي في هذه السنة المذكورة رحمه الله تعالى.
وفيها توفي الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن علي الجدائي نسبة إلى صقع من الحبشة يقال له جداية بكسر الجيم ودال مهملة وألف بعدها ياءُ مثناة من تحت مفتوحة وآخرها هاءُ. وكان يعرف بالزيلعي اخذ عن ابن زاك بحراز ثم عن الغيثي بوصاب وأخذ عن المقري عدا المذكور أولاً. وكان مجوداً في علم القراءات والنحو وعنه اخذ جماعة. وكانت وفاته في صفر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.
وفيها توفي الفقيه الفضل أبو الحسن علي بن محمد الأصبحي تفقه بالإمام علي بن أحمد الأصبحي تفقهاً جيداً ثم سار إلى زبيد فتفقه ببعض فقهائها. وكان على ذاك يسكن في مدينة زبيد إلى أن توفي بها في السنة المذكورة وقيل بعدها والله اعلم.
وفيها توفي الفقيه البارع أبو عبد الله محمد بن علي بن جبير. وكان ميلاده في شهر ربيع الأول من سنة ثلاث وستين وستمائة. وكان فقيهاً مجتهداً في بدايته بخاله الفقيه محمد بن أبي بكر الأصبحي ثم بالأمام أبي الحسن علي بن أحمد الأصبحي ثم بصالح بن عمر البريهي ثم بفقهاء تعز كأبن الصفي وابن النحوي وغيرهما. ثم ارتحل إلى عدن فأدرك بها ابا العباس أحمد ابن علي الحرازي وابا العباس القزويني فأخذ عنهما وأخذ عن التاجر المعروف بالشهاب صقر الكريني ثم عاد إلى بلده. وكانت وفاته في المحرم من السنة المذكورة. وقيل في الحجة من السنة التي قبلها رحمه الله تعالى والله اعلم.
وفي هذه السنة توفي الفقيه البارع عبد الحميد بن عبد الرحمن بن عبد الحميد الحيلوتي نسبة إلى كورة حيلو وهو جبل ببلاد فارس. وكان ميلاده سنة ثمان وأربعين وستمائة في بلد فارسي. وكان فقيهاً عارفاً يعرف كتاب الحاوي معرفة تامة لم يقد اليمن من هو اعرف منه به وصنف على منواله كتاباً اكبر منه سماه بحر الفتاوى. وقدم إلى تعز من طريق الحجاز في سنة سبع عشرة وسبعمائة ولم يكن غرضه الوقوف في اليمن فأجتمع به القاضي يومئذ عمر بن أبي بكر العراف في ذي عدينة فأكرمه وانصفه ولازمه على الوقوف فوقف في المدرسة المؤيدية مدرساً في دار الضيف وصار يتردد للتدريس إلى المؤيدية ثم ضعف فاستناب أبا بكر بن جبريل. ثم حصل بينه وبين ابن الأديب وحشة فعزله عن أسبابه كلها ونسبه إلى صحبة أعدائه. وكان كلما استخرج خطأً من

السلطان بإعادته على أسبابه دافعه ابن الأديب بالكلام. ولما طال انقطاعه استخرج من السلطان الملك المجاهد خطاً بالعود على أسبابه فلم يساعده ابن الأديب فسار إلى عدن في شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة فتوفي في الطريق رحمه الله تعالى.
وفيها توفي الفقيه أبو حفص عمر بن عبد الله بن سليمان الكندي نسباً والعتمي بلداً. وكان مولده سنة سبعين وستمائة تقريباً. وكان تفقه بأبي القسم والأصبحي محمد بن أبي بكر وبصالح بن عمر البريهي. وكان إمام مدرسة حسن بن فيرقذ إلى أن توفي في السنة المذكورة رحمه الله تعالى.
وفيها توفي الفقيه الفاضل أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن محمد بن إسماعيل بن مسيح. وكان ميلاده لأربع بقين من رمضان سنة اثنين وتسعمائة. كيوسف بن عبد الملك. وكان معروفاً بجودة الفقه ودرس مع بني بطال مدة ونظر في كتبهم وانتفع بها انتفاعاً جيداً. وكانت وفاته على الطريق المرضي في مستهل القعدة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.
وفيها توفي الفقيه الفاضل أحمد بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن الفقيه عمر بن الهيثم المشهور. وكان ذا فضل ودين ومعرفة بالفقه. وامتحن بالعمى في آخر عمره. وقتله أهل الفساد في شهر شعبان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

(183/1)

وفيها توفي الفقيه الصالح أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسين بن أبى السعود الهمداني. وكان ميلاده ليلة الأحد الثالث عشر من شهر جمادى الآخرة من سنة ثمان وستمائة تفقه بالفقيه صالح بن عمر ورزق بصيرة في العلم وزهداً في الدنيا وتوفيقاً في الدين واليه أشار أهل بلده بل آهل عصره في الدين والصلاح ويذكرون له كرمات لا تحصى تدل على خيره وفضله وغالب اشتغاله بالفقه مع كمال العبادة. وكان يزوره العلماء والفقهاء وأرباب الدولة في زمانه ويتبركون به. وكان كثير الورع وإطعام الطعام آلي أن توفي على الطريقة المرضية يوم الخميس من شهر شوال من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.
وفيها توفي الطوشي الأجل أبو السعود شهاب الدين صلاح بن عبد الله المؤيدي. وكان خادماً حازماً يقضاً ذا رئاسة وكرم نفس. وكان زمام الملك المؤيد ثم جعله زماماً لام ولده الملك المجاهد فشهرت به فما تعرف إلا بجهة صلاح. وكانت وفاته يوم الثاني والعشرين من رمضان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.
وفيها توفي الفقيه الفاضل أبو عمران موسى بن الحسين الحميري. وكان فقيهاً فاضلاً ذا عبادة عالية وورع كامل. وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى.
وفيها توفي القاضي شرف الدين أبو القاسم حسان بن الفقيه اسعد بن الفقيه محمد بن موسى العمراني وزير الملك الأشراف عمر بن يوسف بن علي بن رسول.وكان أحد أعيان زمانه فضلاً

ورئاسة ونبلاً. ونكب هو و أهله في الدولة المويدية وجرى عليهم من المصادرة والهتك ما قد شهر وذكر. ولم يزل في خمول آلي أن توفي السلطان الملك المؤيد رحمة الله عليه وعليهم أجمعين. فلما تولى السلطنة ولده السلطان الملك المجاهد عطف عليهم وأعادهم آلي مما كنهم وأجرى عليهم جريات سنية إلى أن توفي القاضي المذكور.وكانت وفاته يوم الحادي عشر من شهر صفر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفي سنة أربع وعشرين اقتتل أجناد الحصن والشفاليت الذين هم مع ابن حسين الأمير في الحصن وكانوا اكثر من الأجناد أضعافاً مضاعفة فاستعاذت الأجناد بأهل المغربة واستعاذ أهل المعربة بأهل صبر أيضاً. فكان الشفاليت ومن في الحصن يداً واحدة وكان أهل المعربة وأهل صبر يداً واحدة وتطاولت الحرب بينهم فكتب بعض أهل تعز إلى المماليك الذين في زبيد يخبرهم بأن الحرب بين العسكر وأهل المدينة فخرجت المماليك من زبيد إلى تعز فوصلوا تعز يوم الثالث من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة فحطوا ما بين الأجناد والسائلة ولم يحصل منهم على أحد غيار.

وفي هذا التاريخ نزل الملك المفضل وأخوه الملك الفائز أبناء الملك المظفر حسن بن داود بن يوسف بن عمر وتوجهوا نحو تهامة فيمن معهما مغاضبين لعمهما السلطان الملك المجاهد لما انقطعا من الإقطاع والجا مكية فأقاموا في قرية السلام ثم انتقلوا إلى بيت الفقيه ابن عجيل فلما كان يوم الأحد الحادي والعشرين من ربيع الأول قدم عمر بن تاليال العلي الدويدار آلي تعز بعد أن نهب الجند نهباً شديداً فحط على الجبل في موضع المدرستين المجاهدين والأفضلية. وكان قد أرسل إلى عدن من يطلع المنجنيق فاطلعوا بعض أخشابه في البحر إلى موزع وبعضها في البر رقاب فلما وصلوا به ركبوه ورموا به عدة أحجار فلم يؤثر شيئا فأرسلوا إلى من يأتيهم بمنجنيق آخر فأرسل لهم الظاهر به صحبة الافتخار ياقوت.

وفي هذا التاريخ ظهر لمولانا السلطان من ابن حسين ما كان يستره من المكر والنفاق فأخرجه من الحصن إخراجاً جميلاً. وكان الغياث بن نور مع السلطان في الحصن وكان بمكانة عنده فخادع السلطان وخرج من الحصن أيضاً وتقدم إلى الظاهر في الدملوة فحلف له أنه ناصح مجتهد فصدره الظاهر صحبة المنجنيق فكان له من الاجتهاد ما يدل على خبث أصله لأنه قابل السلطان بالقبيح البليغ الذي لا سبب له ولا سابقة توجبه. فكان يرمي إلى الحصن في كل يوم بأربعين رجلاً.

(184/1)

قال علي بن حسن الخز رجي وحدثني حسين بن عبد الله بن منصور قال حدثني حسن بن موسى بن بعلان عن جارية يقال لها نخبة بنون مضمومة وخاء معجمه ساكنة وباء موحدة بعدها التاء تأنيث من جوالي موالينا جهة صلاح والدة السلطان الملك المجاهد. وكانت ممن في الحصن أيام الحصار قالت لقد اشتد علينا الحصار يومئذ وكان مولانا السلطان الملك المجاهد رحمه الله ينتقل في

يومه وليلته إلى عدة مواضيع.ولقد اذكر عشية من العشايا وقد قربنا لمولانا السلطان ظهوره فتوضأ وفرغ ونحن عنده في موضع من الحصن ووالدته بالقرب منه واقفه في موضع وإذا بجدار من جدار الحصن قد انشق فخرج منه غلام تام الخلقة وله دبوقة إلى آخر ظهره فأكب على مولانا السلطان فاعتنقه وحمله بسرعة من ذلك الموضع الذي كان قاعداً فيه إلى موضع آخر ففزعنا جميعنا جميعاً وطارت عقولنا مما رأينا فلما وضعه في الموضع الذي وضعه فيه وقع حجر من حجارة المنجنيق في الموضع الذي كان فيه قاعداً لم يمل عنه يميناً ولا شمالاً فلما وقع الحجر في ذلك الموضع وأتلفه قال مولانا السلطان لذلك الرجل من أنت يا أخي الذي من الله بك علي. فقال أنا والله أخوك حقيقة وأبى والله وأبوك داود المؤيد وأمي الجارية فلانة ولكني أخذت من بطن أمي فربيت مع الجن حتى صرت كما ترى. ولما رأيت أن هذا الحجر قاتلك لا محالة حملتك عن ذلك الموضع محبة لك وشفقة عليك واعلم يا أخي أنى قد أنفقت أنا وصاحب الحصن بصيبص أن نقاتل معك في اليوم الفلاني فاجمع من معك لذلك اليوم فأنا سنبلغ ما نريد من نصرك واستودعك الله ومضى.فدخل في الموضوع الذي خرج منه ثم أقبلت والدته موالينا جهة صلاح رحمة الله عليها وهي طائرة العقل على ابنها فلما وصلت إليه جلست عنده تستخره عن ذلك الرجل وما كان منه فاخبرها بما قال ثم سألها عن الجارية فقالت صدق والله ولقد كانت حاملاً لأبيك حتى أشرفت على الولادة فأصبحت يوماً من الأيام وقد مسح ولدها من بطنها وكأنها لم تكن حاملاً ولم يظهر لحملها اثر بعد ذلك وعاشت بعد ذلك مدة وهلكت.ولما كان اليوم الذي وعده فيه بنصرته جمع السلطان أصحابه وخرجوا للقتال فأثروا فيهم أثراً ظاهراً على قلتهم وكثرة العدو. وما هو ألا بقتال قوم آخرين والله اعلم.

ولما كان يوم العاشر من شوال هم المماليك برفع المحطة ونزول البهائم فتعب من ذلك ابن الدويدار فاجتمع بهم وفتح عليهم الرأي فقالوا نحن بلا جامكية فأعطاهم ألف دينار فاقتسموا الألف وأقاموا.

وفي هذا التاريخ قصدت المعازبة القحمة وأخربوها وكانت إقطاع الشريف داود بن قاسم بن حمزة فلما بلغه الخبر بخرابها نزل ونزل معه جماعة من المماليك مغيرين فقتلوا من المعازبة طائفة وتراجعت القحمة وابتنى الناس بيوتهم فيها فأصلحوا مساكنهم.

وفي هذا التاريخ اقبل الزعيم في العساكر من أصحاب صعدة والأكراد أصحاب ذمار من بني السوغ وبني الأسد وبني علاء الدين واشرف المخلاف السليماني فعيدوا عيد الأضحى في المحالب. وكان ابن طرنطاي قد نزل إلى حيس واستناب السنبلي على المحطة. فلما علم المماليك بوصول الزعيم والعساكر التي معه اجتمعوا في الكد راء واقام الأشراف في المهجم أياماً قلائل ثم توجهوا نحو الكد راء فلقيتهم المماليك في الوادي المسمى جاحف.

فكان يوم جاحف المشهور كانت الأشراف ومن نحوا من ألف وثلاثمائة فارس ونحوا من ألف راجل فاقتتلوا قتالاً شديداً وكان يوماً من الأيام المشهورة فقتل فيه من كل طائفة طائفة وانهزم المماليك هزيمة شنيعة بعد أن قاتلوا قتالاً شديداً وتضعضع صف الأشراف لولا ثبات علي بن موسى وقوله للأشراف إلى أين المهرب. وكانت الواقعة في النصف الأخير من ذي الحجة من السنة المذكورة. فقتل من الأعيان المماليك أيلبه والسراجي وأزبك الصارمي ولظينا المحمودي ويقال أنه كان أشجع من المماليك كلهم وأسر من أعيانهم الأقصري والصارم بن ميكائيل وابن الريا حي. وكان القصري من شجعانهم أيضاً فوقف به فرسه يومئذ وأسروهم الأشراف بقتله فمنع عنه الشريف علي بن موسى وقال مثل هذا لا يقتل ولو كان في أصحابه عشرون رجلاً مثله ما قمنا في وجوههم ساعة واحدة. وأما المحمودي فإنه قاتل قتالا شديداً فأصيب في يده اليمنى بضربة فبطلت عن الحركة فلما وقعت الهزيمة خرج على وجهه فوقع في بلد المعازبة وكان قد قتل في كل قبيلة من الغزب فلما عرفوه قتلوه.

ولما رجع المماليك إلى زبيد بعد الهزيمة أطلق الإشراف القصري بولد ابن علاء الدين وكان المماليك قد حبسوه في زبيد. ولما بلغ الخبر إلى تعز بهزيمة المماليك في جاحف. وكان منهم طائفة في محطة الدور يدار فلم يستقر لهم قرار ارتفعوا من المحطة وتركوا ابن الدويدار فلم يستقر له قرار له بعدهم. وكان مستأنساً بالمماليك فارتفع في آخر ليلته وكان ارتعاعهم جميعاً ليلة العشرين من ذي الحجة من السنة المذكورة.

فلما ارتفعت المحطة عن تعز رجع جماعة إلى السلطان منهم الغياث بن نور فقابله السلطان بالقبول وسار بن الدويدار ومن معه إلى لحج فأقام بها أياماً يجمع العساكر بعدن يريدها لنفسه على كره من الظاهر وغيره وفي هذه السنة توفيت الجهة الكريمة ماء السماء ابنة السلطان الملك المظفر شمس الدين يوسف بن علي بن رسول وأمها بنت أسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول. وكانت من أخير الواتين كثيرة الشفقة والإحسان إلى ألا هلها وغيرهم وكان لها من الآثار المثبتة للذكر المدرسة التي في مدينة زبيد المعروفة بالواثقة لبيت أخيها الملك الواثق جعلت فيها إماما ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن ومدرساً وطلبة يقرؤون العلم ووقفت عليهم من أملاكها ما يقوم بكفايتهم. وكانت وفاتها في قرية التربية قرية من قرى وادي زبيد معروفة يوم السادس من شعبان من السنة المذكورة ودفنت عند الشيخ الصالح عيسى الهمار رحمه الله عليهم أجمعين. وفيها توفي الفقيه الفاضل عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن محمد أبا حسان الحضري الشامي. وكان قدم زبيد وهو ابن أربعين سنة. وتفقه في أبيات حسين ثم سافر إلى مكة المشرفة فأدرك ابن السبعين واخذ عن أصحابه. وكانت له يد في التصوف وفي النحو والحديث وصنف فيها وكان ورعاً زاهداً عابداً صحب الفقيه إسماعيل الحضرمي وجماعة من أصحاب أبى الغيث بن جميل وابن عجيل. وتوفي على ذلك وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمة الله عليه بعد جاوز عمره مائة سنة لم يتغير له سمع ولا بصر ولا ذهن وتوفي عن عدة بنات وولد ذكر فتوفي الولد بعد أبيه بمدة يسيرة. وكان وفاته في سنة سبع

وعشرين وسبعمائة ولم يكن له من الذكور ألا هذا بعده كما ذكرنا رحمه الله تعالى.
وفيها توفي الفقيه الفاضل إسماعيل بن أحمد بن علي بن محمد بن سليمان المسلى نسبا الخلي بلدا نسبة إلى قرية بحجر تعرف بخلة بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام قبل هاء التأنيث وكان فقيهاً مبارك متفنناً أولا بعمه ثم بمحمد بن أبي بكر أبى ألا صبحي ثم بالإمام علي بن أحمد ألا صبحي ثم بابن الرسول وأخذ عن صالح بن عمر وغيره وليس في تلك الجبال التي في شرقي الجند فقيه معروف بالفقه والتحقيق غيره وكانت وفاته يوم الاثنين لعشر بقين من شعبان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

(186/1)

وفيها توفي الفقيه الأمام أبو العباس أحمد بن بكر بن إبراهيم الرسول المخزمي بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الزاي وكسر الميم وآخره ياء نسب نسبة إلى قوم يقال لهم المخازمة وهم بطن من كنده وكان مولده في سنة ست وثلاثين وستمائة وتفقه في بدايته بزربيع ثم ارتحل إلى الضحى فأخذ عن الأمام إسماعيل بن محمد الحضرمي وعليه أكمل التفقه وهو أصحابه معرفة للفقه وغزارة في النقل وقد قيل أنه أخذ عن الفقيه أحمد بن موسى بن عجيل وكان عارفاً بالفقه والحديث والتفسير زاهداً مبارك التدريس أخذ عنه جمع الكثير من نواح شتى منهم الإمام علي بن أحمد ألا صبحي وصالح بن عمر البر يهي وعبد الله بن سلم وسلمان بن محمد الصوفي وإسماعيل بن أحمد الحلي ومحمد الحرف ومحمد بن أحمد أبا مسلمة وولده ومحمد بن علي ألا حوري ومات طالباً سنة تسع وتسعين وستمائة. ومحمد بن أحمد السبتي الشجري. ومحمد بن يعقوب من لحج من بني الحميدي وغرتهم وما من هؤلاء ألا من رأس ودرس وامتحن بالعمى في آخر عمره وكان يقرئ في بيته وله كرمات ظاهرة وكان وفاته يوم الثاني والعشرين من السنة المذكورة رحمه الله تعالى وعنه اخذ ولداه محمد وأبو بكر وتفقها وتوفي محمد في سنة تسع وسبعمائة وتوفي أبو بكر بعد أبيه في سنة خمس وعشرين وسبعمائة الأتي ذكرها أن شاء الله تعالى.
وفي هذه السنة المذكورة توفي الفقيه الفاضل أبو علي الحسين بن عمر ابن علي بن الفقيه عثمان بن حسين وكان فقيها عارفاً متورعاً فطناً ذكياً توفي في شهر رمضان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

(187/1)

وفي سنة خمس وعشرين وسبعمائة سار ابن الدور يدار من لحج إلى عدن وكان خروجه أليها في صفر من السنة المذكورة فحاصر أهلها حصاراً شديداً. فخودع بالصلح وكان ذلك بإشارة من الملم المجاهد إلى والى عدن وهو ابن الصليحي سراً وكان يظهر له انه طاهري وجماعة من الغر بني

خليل والجمال الحصى وغيرهم فأصغى ابن ألد ويدار إلى الصلح ومراده أيضاً الغدر بهم. فلما اصطلحوا وتم الصلح خارج الباب قال للوالي أنى أريد الدخول إلى الدينة فقال له لا يا مولانا البلد بلدك. ولكن المصلحة أن تدخل في جماعة من العقلاء ممن تشويش على الناس فدخل في جماعة من أصحابه فأمسى وأمسي بشرب في خواصه. فلما دخل الحمام فقعد في مخلعة فقال له بعض أصحابه يا مولانا أخذت هذه البلدة للظاهر أو للمجاهد فلم يجيبه فكرر عليه السؤال فهز رأسه وكان عنده حينئذ جاندار يقال له المياح قد فهم مراده فقال هذا الظاهر وهذا المجاهد وهو يشير إليه فتبسم فنقل ذلك الكلام إلى الوالي فجمع الوالي جماعة من أصحابه وهجم عليه فامسكه وقيده ثم قتله.وكان قتله يوم السابع من شهر ربيع الأول وكان أخوه في المحطة في بقية العسكر خارج البلد فصاح الصائح إلى أهل المحطة يخبرهم بقتله فخرج أهلها منها هاربين ولحق أخوه بالحصن الذي قد بناه المعروف بمنيف فأقام فيه أياماً قلائل فآخذته بطنه فهلك ولما قتل ابن الدويدار كما ذكرنا جهز ابن الصليحي عسكراً إلى لحج فقبضها ثم أن أخا ابن الدويدار كتب إلى الطاهر يستمده فأمده بابن وهيب والركن ابن الفخر وجماعة من الخيل والرجل فوصل بهم إلى الزعازع فخرج ربيع بن الصليحي وابن عمه جعفر وغيرهما ومن المعسكر فخذلهم الجحافل وباعوهم فقاتلوا حتى قتلوا ولمل نزلت المماليك ومن معهم من المحطة كما ذكرنا أقاموا في قرية السلامة أياماً ثم توجهوا إلى زبيد فلما دخلوا المدينة قصدوا بيت القصري وهجموا عليه بيته فارتاب منهم ورجب وقال ما ترسمون يا حاسكية فقالوا تخرج عن زبيد فأنت صاحب إقطاع وقد رسم مولانا السلطان الملك الظاهر أن الشهابي يكون والي البلد وطريطبة الهمداني مشدها وبهادر الصقري مشد المشدين. وكان الصقري يومئذ في زبيد فحين علم بوصولهم ركب إليهم إلى بيت القصري فلما وصل إليهم رحب بهم خصوصاً وعموماً وقال للقصري ما قالوا لك لاحقا فقال السمع والطاعة واوجدهم التجهز والخروج فلما افترق جميعهم ذلك استدعى القصري بأعيان العوار ين من أهل زبيد ووعدهم بتسليم أربعة آلاف دينار على انهم يلزموا له الصقري والشهابي والهمداني والشريف داود بن قاسم بن حمزة فقصدوهم إلى بيوتهم فامتنعوا على أنفسهم وتركوا خيلهم وخرجوا ونهب العوار ين بيوت المماليك يوم الخميس وليلة الجمعة نهباً شنيعاً. فلما كان يوم الجمعة اجتمع العوار ين كلهم وقصدوا بيت القصري وطلبوا منه المال الذي وعدهم به أربعة آلاف دينار.

وكان عنده حينئذ الشريف داود بن قاسم بن حمزة والسنبلي فقالوا ما يكفي هؤلاء ما قد نهبوه من بيوتنا وبيوت أصحابنا وسائر العسكر فطردهم القصري وهددهم ووبخهم فلما سمعوا ذلك منه صاحوا عليه صيحة واحدة. وداروا حول بيته وأمطروا عليه وعلى من معه الحجارة من كل ناحية فاغلق باب بيته دونهم وقاتلهم غلمانه ساعة من النهار. ثم ركبوا عليه البيت من قفاه فلما أحس بهم ركب حصانه وركب معه أصحابه وغلمانه وأخذوا سلاحهم وخرجوا قاصدين لباب الشبارق بعد أن قاتلوا قتالاً شديداً فنهب العوار ين بيت القصري وكان فيه مال جزيل.

قال علي بن الحسن الخز رجي وحدثني والدي رحمه الله قال بينما الناس يوم الجمعة في مسجد

الجامع بزبيد إذا قبل جماعة من العوار ين والخطيب على المنبر وكان فيهم شخص يقال له القعموص وكان من شياطينهم وشجعانهم. فقال للخطيب يا فقيه اخطب للملك المجاهد. فقال له الخطيب ما أمرنا بهذا أحد قال وانظر إلى هذه الحربة في يدي والله لئن قال أحد غير هذا القول لأجعلن هذه الحربة فيه ووقف هو وأصحابه عند المنبر يسمعون الخطيب حتى خطب باسم السلطان الملك المجاهد. وكان ذلك يوم الجمعة الرابع عشر من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة فلم يخطب بعد ذلك للظاهر على منبر من منابر تهامة.

(188/1)

وفي هذا التاريخ وصل شمس الدين الملك المفضل وأخوه الفائز قطب الدين من بيت الفقيه بن عجيل فدخلا زبيد لما صارت لعمهما الملك المجاهد فأقاموا ولما خرجت المماليك من زبيد على صفة ما ذكرنا اجتمعوا في حيس وتقدم أعيانهم إلى الملك الناصر محمد بن الملك الأشراف وكان يومئذ في قرية السلامة فلما اجتمعوا به لازموه على القيام بالملك. ووعدهم من أنفسهم بالطاعة على ما يجب فسار معهم إلى زبيد يوم الأحد السابع عشر من شهر ربيع الأول فحطوا في البستان الشرقي على باب الشبارق ومعهم نحو من سبعين فارسا فجرى بينه وبين أهل زبيد قتال شديد ساعة من نهار ثم انتقل الناصر إلى قرية التربية فأقام فيها نحوا من شهر يجبي أموالها ووصل إليه ابن علاء الدين وابن الأسد وغيرهما من الأمراء فحلفوا له على الطاعة فجمع عسكر وقصده زبيد فخرج إليه شمس الدين المفضل وجماعة من العسكر إلى فشال فاقتتلوا هنالك فانهزم شمس الدين المفضل وقتل جماعة من أصحابه ثم سار الناصر إلى زبيد فحط في قرية التربية ثم زحف إلى زبيد فخرج إليه العوار ين فقاتلوه قتالاً شديداً فاستأجرهم العسكر ساعة ثم عطفوا عليهم فقتلوا منهم نحوا من عشرين رجلاً ورجع الناصر ومن معه إلى فشال فكتب آهل زبيد إلى السلطان الملك المجاهد وسألوه أن يرسل إليهم وليا يحفظ المدينة وعسكرا فأرسل حسين بن علي بن حسين والياً وأرسل من العسكر ناساً بعد ناس فيهم الغياث بن نوز وعبد النبي بن السودي وبيدرة. وطعشر وإبراهيم بن فيروز. فاجتمع في زبيد نحو من مائتي فارس.
وفي هذا التاريخ كتب الصقري إلى مولانا السلطان الملك المجاهد رحمه الله يطلب منه ذمة شاملة فأجيب إلى ما طلب فقدم على مولانا السلطان في آخر شهر ربيع الآخر فانزل في بيت نوز وحمل له السلطان خمسة أحمال طبلخانه وخمسة أعلام وأقطعه مدينة حيس.

(189/1)

وفي سلخ شهر ربيع الآخر أحرقت قرابة السلامة إحراقاً عظيماً وهلك في الحريق نحو من خمسين نفساً من الآدميين خارجاً عن أصناف الدواب وذهب فيه من الأموال ملا ينحصر وكان معظم أموال

الناس فيها. وفي يوم العشرين من جمادى الأول قدم ابن السوع من بلاده ذمار إلى مدينة الجند فأقام فيها يومين أو ثلاثة ثم جاءه من السلطان طلب حثيث وأرسل له بكسوة إلى الجند. وأمر أعيان العسكر بلقائه ودخل على السلطان فكساه كسوة ثانية.وحمل له يوم الجمعة الخامس من جمادى الآخر أربعة أحمال طبلخانة وأربعة أعلام. ثم خرج السلطان بعد صلاة من يوم الجمعة المذكورة يريد الجوة وجمع من الخيل والرجال فدخل الجوة يوم السبت سادس الشهر المذكور والغب في ميدانها وفي رجوع السلطان من الجوة نهب العسكر أم قريش قرية بني مسلمة. وكان قد بلغ السلطان انهم محبون للظاهر. وكان دخول السلطان تعز يوم الأحد السابع من الشهر المذكور. وفي هذا التاريخ وصل جماعة من أهل زبيد إلى السلطان الملك المجاهد فدخلوا عليه وقبلوا قدميه وسألوه أن ينزل إليهم إلى مدينة زبيد وعرفوه انه أن نزل زبيد فلا يقابله أحد إلا بالسمع والطاعة وان لم ينزل فلا بلاد له ولا للظاهر فعزم على النزول تهامة. فكان تقدمه إلى زبيد يوم الأربعاء العاشر من الشهر المذكور وكانت طريقة على بلاد المغلسي في وادي نخله فدخل السلامة صبح يوم الخميس حادي عشر الشهر المذكور فأمر من فوره من صاح بالأمان لكافة الناس فوصله غالب من فيها من الجند كعباس بن عبد الجليل ونوز بن حسين بن نوز وغيرهما فانم على الجميع وتقدم تحت ركابه السعيد إلى زبيد ولم يتأخر عنه ألا السنبلي والشهابي فانهما سألاه أن يفسح لهما ليحجا إلى مكة المشرفة ففسح لهما عن طيبة ثم سار إلى زبيد فكان دخوله إلى زبيد يوم الجمعة الثاني عشر من الشهر المذكور فحط في البستان الشرقي المشهور بحائط لبيق وحصلت المكاتبة والمراسلة بينه وبين أعيان العسكر. وكان الملك الناصر والعسكر جميعاً في محل زريق وهم جمع كثير وجم غفير وفي ظنهم أن السلطان لا ينزل من الحصن أبداً فلما كان يوم الاثنين الخامس عشر من السنة المذكورة قصدهم السلطان فخرج من زبيد آخر النهار فأمسى رحمه الله في محل القلقل واصبح يوم الثلاثاء سائرا إلى النخل فأرسل الملك الناصر رسلا يحققون له الخبر فوقفوا له في أثناء الطريق لينظروه من بين الأشجار فلما عرفوه وتحققوه عادوا إلى محطتهم وأخبروا الناصر وأصحابه بذلك فانحلت عزائمهم وافترقت كلمتهم وارتفعت محطتهم فتقدم الناصر والأشراف بين الواثق وابن طرنطاي وعدة منم المماليك إلى قرية السلامة. ولما وصل السلطان إلى النخل أقام في الدار إلى صلاة الظهر. ووصل الأمير عز الدين قتادة يسأْل ذمةً لولد بن علاء الدين ولبقية العسكر فأَذم عليهم السلطان وسألهم عن الناصر وابن طرنطاي فقالوا لا نعلم أين توجهوا. فركب السلطان لفوره ورجع إلى زبيد فوصله الفقيه علي بن أبي بكر الزيلعي صاحب قرية السلامة ووصل معه الفقيه علي بن نوح واجتمعا بالسلطان. وشاع الخبر أن الناصر في قرية السلامة فجهز السلطان ولد أخيه المفضل في قطعة من العسكر وجماعة من العوارين فقصدوا السلامة صبح يوم الخميس الثامن عشر فأحاطوا بيت الفقيه ودخل المفضل بيت الفقيه في جماعة فقبض الناصر بن الأشرف والأشرف بن الواثق وابن طرنطاي وخرج بهم يوم الخميس المذكور إلى حيس فلما صاروا قريباً من حيس عطف بهم نحو تعز. وسار فيمن معه من العسكر فدخل بهم تعز صبح يوم السبت العشرين من الشهر المذكور. وقد قيدوا من

الحبيل وتلقاهم أهل تعز فكان أوباشهم يسبونهم ويؤذونهم ولولا مدافعة المفضل عنهم لأتوا على ابن طرنطاي. فلما أتوا بهم تعز جعل الناصر وأبن عمه في برج الرماد وجعل ابن طرنطاي في سجن العامة. فأقام الملك الناصر في السجن إلى أن توفي ليلة الخميس عشرة شهر رجب من السنة المذكورة وقبر يوم الخميس مع والده في المدرسة الأشرفية في معزية تعز. وفي نزول السلطان من تعز إلى زبيد وتقدمه إلى النخل ولزم المذكورين يقول الفقيه جمال الدين محمد بن منصور العامري رحمه الله تعالى

وعرض يحدو به راعد ... يحن في الجو حنين اللقاح

يسوقه البرق بأسواطه ... إذا ونى مال عليه وصاح

وفيها يقول

(190/1)

لما تلاقينا وقد أثمرت ... بالموت أطراف غصون الرماح

وللمنايا سحب ماؤُها ... يجري على حد متون الصفاح

سالت نفوس بين حد الظبا ... كالماء يجري بين خضر البطاح

ومضمرات الخيل كرّاتها ... كرّات صب مبتلى بالملاح

فأقبلت خضرا يمانّية ... عجاجها بالمسك والند فاح

سبقته تحمل أثقالها ... تمشي رويداً مثل مشي الرداح

بلا ولي أنكحت نفسها ... لا ينكح الهيجاء إلا سفاح

ملاحها لا يشتهي وصلهم ... وربَّ وصل فيه حتف متاح

وهي قصيدة طويلة لم اظفر منها إلا بهذا القدر قال الجندي وفي هذا التاريخ وصل المبشرون إلى السلطان بوصول الغارة إليه من الديار المصرية فوقف السلطان رحمه اله لهم في مدينة زبيد حتى قدموا عليه. وكان وصولهم زبيد يوم الأحد السابع عشر من شهر رجب من السنة المذكورة. وكانوا ألفي فارس وألف راحلة فيهم أربعة أمراء والمعول على أميرين منهم وهما الأمير سيف الدين بيبرس والأمير جمال الدين طيلان وكان معهم اثنان وعشرون ألف جمل يحمل عددهم وأزوادهم فلما أشرفوا على المدينة خرج السلطان في لقائهم إلى الفوز الكبير في عسكره وخاصته. فلما دنا منهم ودنوا منه ترجلوا له وقبلوا الأرض بين يديه وساروا في خدمته ساعة وقد أمروا القراشين أن يضربوا خمة هنالك فمالوا إليها وسألوه المصير إليها معهم فساروا إلى الخيمة فدخلوها ودخل السلطان معهم فأخرجوا صندوقاً فيه عمامة بعدبتين وخلعة فاخرة فألبسوه الخلعة والعمامة ثم ركبوا بأجمعهم وركب السلطان وساروا جميعاً في خدمته حتى حطوا على باب الشبارق خلف المدينة من الناحية الشرقية. فأقاموا

أياماً قلائل ثم تقدم السلطان إلى تعز في معظم عسكره وبعض العسكر المصري إذ لا يسعهم الطريق إذا ساروا دفعة واحدة. فكان دخول السلطان تعز يوم الخامس والعشرين.

(191/1)

من الشهر المذكور. وخرج في العسكر المصري من زبيد متوجهين إلى تعز فلما وصلوا تعز عاثوا فيها وفي نواحيها وانتشروا إلى الجند ونواحيها من الجهة الشرقية وبلغوا من الجهة اليمنية حدير ومن ناحية القبلة سهفنة وكانوا لا يجدون طعاماً إلا أخذوه ببخس الثمن وانتهبوا بيوتاً كثيرة في هذه النواحي حتى عدم فيها الطعام وصار لا يجلب إلا من البعد. وارتفع السعر وضاقت البلاد على أهلها ضيقاً شديداً وضربوا كثيراً من الناس حتى قتلوهم تحت الضرب الشديد. ونهبوا قرية عقاقة وسبوا حريمها وباعوهم كما يباع الرقيق. وقطعوا جميع الزرع في مدينة تعز ونواحيها. وفي مدة إقامتهم في تعز أرسلوا جماعة منهم إلى الظاهر صاحب الدملؤة فأقاموا عنده نحواً من ثمانية أيام فيقال انه اخرج لهم مناشير قد كتبت له انه اصلح من المجاهد وأعطاهم ذهباً كثيراً وحرضهم على قبض الملك المجاهد فأجابوه إلى ذلك ووعدهم من نفسه بمال عظيم. فلما رجعوا إلى تعز عزموا على ما أمرهم به فوصلوا الشجرة بأجمعهم ووقفوا بأجمعهم على باب السلطان واستأذنوا عليه فاعتذر عن مواجهتهم بأنه في الحمام وخرج من باب السر وطلع الحصن من فوره. وكتب إلى مقدميهم أن قد بلغ شكركما وهذا خطنا بأيديكم يشهد بوصولكما وانقضاء الحاجة بكما ثم لم يكادوا يلبثوا بل قصدوا صبر من ناحية عيدان فقاتلهم أهلها وقتلوا منهم نحواً من أربعين رجلاً ورجعوا مكسورين فقبضوا الصقري ووسطوه وسحبوه ثم علقوه على أثلة في سوق الرعد. ثم قبضوا الغياث بن نور وأقاموا إلى ثلاثة أيام في شعبان وتجهزوا للسفر وساروا بالغياث بن النور تحت حفظهم فراجعهم السلطان فيه وبذل لهم مالاً جزيلاً لغرض له فيه فلم يفعلوا ورجعوا في طريقهم الذي جاءوا فيها فنهبوا تهامة نهباً شنيعاً. ولما وصلوا زبيد حيل بينهم وبين دخولها فحطوا خارجها وكان أميرها يومئذ شجاع نجم الدين محمد الحريري وكان السلطان قد ولاه لما تحقق خيانة بن حسين فأمر بلزمه وإيداعه السجن. ولما صار العسكر المصري في حرض وسطوا الغياث بن نور وكانوا قد ساروا به مقيداً في عنقه وكان السلطان رحمه الله قد الزم الزعيم أن يسعى في فكاك الغياث بن النور من أيدي المصريين ولو بنصف خراج اليمن فتبعهم الزعيم وكاتبهم فيه فيقال أنه كان السبب في هلاكه وأنه أغراهم به حتى وسطوه وذلك لئلا يزاحمه في المرتبة والقرب من السلطان ثم سار العسكر المصري متوجهين إلى الشام ولما فصل العسكر المصري من تعز أول شعبان كما ذكرنا خرج السلطان بعد مسيرهم يريد الجند فحط في الحوبان ثم تقدم من الحوبان فحط في قاعها ثم سار فبات في الرجامية ولم يزل سائراً حتى اصبح في لحج فوصل إليه بن ناصر الدين بمائتي فارس ثم تقدم الزعازع فأتاه علي بن الدويدار بمائتي فارس ومائة راجل فخلع عليه السلطان وعلى بن المعز وعلى جماعة من

الجحافل وكان ذلك ليلة النصف من شعبان. فلما اجتمع الناس للصلاة حضر معهم السلطان وصلى مع الناس في الجامع ثم ركب آخر ليلته يريد عدن وخرج معه سائر العسكر فحط في مسجد المياه يومين ثم أمر العسكر بالزحف على أهل عدن فزحفوا وقاتلوا فخرج من عدن عسكر لم يكن بالذي فقتل ثلاثة من الشفاليت فتشوش السلطان من العسكر الواصل لكونهم لم ينصحوا وربما أنهم همّوا فيه بسوء فأمر بلزم بن الدويدار وابنه وابن أخيه وأستاذ داره الملقب بالمعز وآخر يعرف بابن بلتوت وأمر بتقييدهم والاحتفاظ بهم ثم قبض السلطان حصن ابن الدويدار المسمى عزاف واستولى على ما فيه وهو قريب من الشحر وأقام السلطان في المحطة على باب. عدن سبعة أيام ثم انتقل إلى الأحبة فحط في البستان فأقام فيها ثمانية أيام ثم حصل في المحطة اضطرب فأرتحل السلطان يريد زبيد على طريق الساحل فلما بلغ السلطان الغرة أمر بتغريق ابن تركوث فغرق هنالك. وكان دخول السلطان زبيد في أثناء شهر رمضان فاستقر في زبيد. وطلع الطواشي حصير من زبيد إلى تعز فأنزل آلة العيد الطبلخانة وغيرها. وطلع في صحبته بخزانة جيدة وطلع بمرسوم من السلطان فشنق ابن طرنطاي يوم الأربعاء السابع عشر من شهر رمضان المذكور في موضع محطته يوم كان محاصراً للسلطان فم يزل مشنوقاً هنالك إلى يوم الاثنين والعشرين منه ثم أنزل وقبر بعد أن أكلت منه الكلاب.ولما عيّد السلطان عيد الفطر في زبيد خرج من زبيد يريد بلد المعازبة في شوال

(192/1)

فخربها وأحرقها واستولى عليها ونهب العسكر بلادهم نهباً شديداً وقتل منهم جماعة ومات علي ابن الدويدار في فشال ومات المعز أستاذ داره في نخل المدني والسلطان يومئذ حاط هناك وقد أمر بقطع النخل لما كثر فسادهم.

وفي هذا التاريخ وصل الزعيم من الجهات الشامية فواجهه في فشال راجعاً من بلاد المعازبة فسار في خدمته إلى زبيد ولما دخل السلطان راجعاً من بلاد المعازبة قبض أبا بكر بن إسرائيل في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة. ولما استقر السلطان في زبيد اقطع بن شكر حيس واقطع الملك المفضل المهجم فتقدم إليها فلما مرَّ بالكدراء وهو سائر إلى المهجم لقي ابن حسين وكان واليها فقبضه قبضة شنيعة بأمر السلطان وضربه ضرباً مبرحاً. ثم تقدم إلى المهجم صحبته فلم يزل يعذبه بأنواع. العذاب كما كان يفعل بالناس. ثم بعد ذلك أمر به فوسط وقطع رأسه وطيف به قال الجندي فما رأيت ولا سمعت في عصرنا بأخبث منه سيرة في دينه ودنياه. ولما كان يوم الخامس عشر من ذي القعدة تقدم القاضي جمال الدين محمد بن مؤمن إلى الديار المصرية بهدية سنية وكان مسيرها في البحر من ساحل زبيد. وسار ابن مؤمن بنفسه في البر إلى ساحل الحادث فركب من هنالك وساروا. ولما وصل الزعيم إلى السلطان كما ذكرنا كان هو الغالب على أمر السلطان ولا سيما في الجهات الشامية قال الجندي وحدثني الثقة إنه أحدث فيها عدة من الحوادث الرديئة وتصرف فيها

تصرف المالك وأبطل صدقات الملوك من مسامحات الفقهاء وأرباب المناصب كبني الحضرمي وبني أبي الخل وغيّر على كثير من الناس فغيّر الله عليه. ومن أعظم الذنوب الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف. وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال.

وفي هذه توفي الفقيه الفاضل أبو محمد الحسن بن بن عمر العماكري وكان مولده في جمادى الآخرة من سنة سبعة وسبعين وسبعمائة. وكان فقيهاً حسن السيرة أمثل من يشار إليه في معرفة الفقه في نواحي الجند تفقه في بدايته في الأمام أبي الحسن علي بن أحمد الأصبحي فلما توفي الأمام انتقل إلى ذي اشرق باستدعاء أهلها. وكانت وفاته ضحوة يوم الثلاثاء الحادي عشر من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه الفاضل أبو محمد عبد الله بن محمد بن سبأ الريمي العياشي الياءِ المثناة. والشين المعجمة نسبة إلى جد له اسمه عياش وأصله من ريمة الأشابط تفقه أولاً في مدينة إب على الفقيه يحيى بن إبراهيم ثم ارتحل إلى تعز فتفقه بابن العراف وأبن الصفي وغيرهما من فقهاء تعز ثم جعل معيداً في المدرسة المظفرية في ناحية المحاريب بتعز. ثم انتقل عنها إلى مدرسة ابن نجاح ثم عزل منها. وكان من أخير الفقهاء ولم تزل أحواله تنتقل إلى أن توفي في الثالث والعشرين من رجب من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه الفاضل أبو بكر ابن الفقيه أحمد المازني. وكان مولده يوم الجمعة الثالث من صفر سنة سبع وستين وستمائة. وكان فقيهاً فاضلاً فرضياً عارفاً تفقه بفقهاء جبلة واخذ الفرائض عن المزيحفي المشهور في بادية زبيد. ولما توفي عمه إبراهيم جعل قاضياً مكانه في مدينة جبلة فأقام هنالك عدة سنين. فلما تولى القاضي محمد بن أبي بكر سنة أربع عشرة عزله وهمَّ بمصادرته فخرج هارباً من تعز ولحق بذي عقيب مستجيراً بها وتولى كفايته وأعانته محمد بن الحسين بن علي بن رسول ولم يزل على ذلك إلى أن توفي ليلة الأربعاء الخامس من شهر ربيع من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه الصالح أبو بكر فريد بن سعيد وهو ابن أخي الفقيهين عبد الرحمن وعبد الصمد. وكن مولده لخمس مضين من شوال سنة سبع وسبعين وستمائة. وكان فقيهاً عارفاً عفيفاً ورعاً قنوعاً تفقه بعمران بن عقبة من أهل جبلة وبعمه عبد الصمد ومحمد بن إبراهيم. وارتحل إلى وصاب فأخذ بها عن الغيثي وكان في وقته فقيه أهل بلده وامتحن بمرض طويل. وكانت وفاته يوم الثامن عشر من شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

(193/1)

وفيها توفي الأديب البارع منصور بن عيسى بن سحبان. وكان شاعراً فصيحاً بليغاً مداحاً هجاءً حسن السبك جيد المعاني من افصح الشعراء المجودين توفي مقتولاً بيد الأشراف الحرانيين. وكان قد

هجا الأشراف وعدة من رؤساء العرب وهجا الملوك. وله في مدحهم القصائد المختارة. وكان قتله في ذي القعدة أو في ذي الحجة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.
وفيها توفي الفقيه الصالح أبو بكر بن يوسف بن عمر بن إبراهيم النخلي. وكان فقيهاً عارفاً فاضلاً محققاً تفقه في بدايته بجده إبراهيم ابن علي ابن إبراهيم وبعبد الله بن محمد الأحمر الخزرجي.
وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى.
وفيها توفي الفقيه المشهور أبو العتيق القاضي رضي أبو بكر بن أحمد بن عمر الأديب. وكان مولده سنة إحدى وستين وستمائة. وكان فقيهاً بارعاً عارفاً بالفقه والحديث والأصول والمنطق تفقه بعمر بن أبي الغيث وبمشقر ثم انتقل إلى تهامة فأخذ عن بعض بني عجيل ثم عاد بلده فأقام مدة طويلة على طريق النسك ثم سافر إلى مكة وصحب ابن زريق أحد فقهاء تعز فلما عاد من الحج علم به بنو محمد بن عمر فطلبوه وولوه قضاء عدن مستمراً على القضاء بها فلم يتركه بنو محمد بن عمر يسير على مراده بل ألزموه أن يسير على سيرة وضعوها له وألزموه ذلك فضاق فعزل نفسه عن عدن وأقام على قضاء أبين واستمر عوضه في عدن القاضي يوسف بن مضمون فلم يحسن سيرته ففصل وأعيد ابن الأديب في سنة ست وسبعمائة. ولم يزل إلى سنة ست عشرة وسبعمائة على قضاء عدن. ثم استمر قاضي قضاة فاستمر على قضاء زبيد أبو شكل وأقام هو على القضاء الأكبر إلى أن توفي السلطان الملك. لمؤيد واستمر مولانا السلطان الملك المجاهد ففصله وأمر في القضاء الأكبر الفقيه عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن الظفاري فارتحل ابن الأديب في سلخ صفر من سنة اثنين وعشرين وسبعمائة ولزم منزله في الزعازع فلما لزم السلطان الملك المجاهد واستمر عمه الملك المنصور في السلطنة وقتل القاضي عبد الرحمن الظفاري استدعى الملك المنصور بابن الأديب المذكور. فطلع في شهر شعبان من سنة اثنين وعشرين فأمره في القضاء الأكبر فأقام بقية أيام الملك المنصور. فلما عاد الملك المجاهد في السلطنة استأذنه القاضي أبو بكر بن الأديب في الرجوع إلى بلاده فأذن له فسار إلى بلاده فأقام فيها إلى أن توفي وكانت وفاته في الحادي والعشرين من جمادى الأولى من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

(194/1)

وفي سنة ست وعشرين تقدم السلطان إلى تعز في شهر المحرم فكان دخوله تعز يوم الثاني والعشرين من الشهر المذكور في عسكر جيد. وطلع معه الزعيم عشية فحط السلطان في بستان الشجرة ونزل أهله إليه في دار الشجرة نحواً من تسعة أيام فخرج الزعيم عشية من العشايا يسير فبينما هو يلعب على فرسه إذا اصطدم هو وفارس آخر فسقط الزعيم عن ظهر حصانه سقطة شنيعة غاب حسه فيها ساعة من نهار. فلما أفاق حمل إلى داره على بغلة ومعه من يشده عليها فركب السلطان في النهار الثاني إلى قريب من دار الزعيم يريد زيارته ورجع ولم بزره. ويقال انه زاره

في وقت آخر والله اعلم. ثم تقدم السلطان إلى الجند وكان تقدمه إليها يوم الأحد الرابع عشر من صفر فأقام فيها يوماً أو يومين. ثم أمر ابن شكر أن يتقدم إلى تهامة ويقف فيها فتقدم من الجند إلى تهامة وتقدم السلطان إلى عدن فكان خروجه من الجند يوم الجمعة التاسع عشر من الشهر المذكور فحط في الرجامية. ثم سار منها إلى عدن فوصل الأحبة يوم الثالث والعشرين من صفر فلبث إلى صبح الخميس الخامس والعشرين من الشهر المذكور ثم غزا المياه يوم الخميس وكان في المياه عسكر من قبل الظاهر فحصل بين العسكرين حرب عظيم فانهزم العسكر الظاهري هزيمة شنيعة. وقتل منهم مقتلة عظيمة نحو من سبعين رجلاً فيهم عمر بن السواق هذا ولم ينصح غالب العسكر ولما انهزم العسكري الظاهري منعهم الظاهر من دخول عدن فوقفوا في المياه. وقتل من العسكر المجاهدي أربعة نفر أحدهم شاوش البغلة يقال له أبو بكر بن حمزة ثم أقام السلطان في الأحبة ستة أيام. ثم حصل آخر فقتل من عسكر السلطان فارسان ولزم ابن أخي ابن السوع وانهزم عسكر مولانا السلطان إلى جبل حديد. ولما علم السلطان ملزم ابن أخي ابن السوع غلب على ظنه أن الأكراد غير ناصحين وكان الناس قد تحدثوا بذلك. ثم عاد السلطان إلى الأحبة فأقام بها نحواً من نصف شهر ثم غزا إلى جبل حديد فخرج عسكر عدن وحصل يومئذ حرب شديدة وقاتلت الشفاليت قتالاً عظيماً وظهر نصحهم ونصح معهم الملك المفضل وداود بن عمر بن سهيل والأسد بن صالح وجماعة نصحهم ونصح معهم الزعيم وصاح أهل عدن للشفاليت بالطيب وشتموا الغز شتماً قبيحاً وعاد السلطان إلى الأحبة فلما كان يوم الثامن من شهر ربيع الآخر قبض مكتب لابن الأسد بريد عدن وقبضت كتبه منه وإذا بها أنه واصل هو والإمام محمد بن مطهر في ألف فارس واثني عشر ألف راجل فاضطربت المحطة لا سيما محطة الأكراد. وهم معظم العسكر فتأَيد السلطان وتأَمل العسكر وظهر له أنهم غير ناصحين لا سيما الأكراد فخشي السلطان البيعة. فركب وتقدم تعز فوصل الجند صبح يوم الخميس لنيف وعشرين من شهر ربيع الآخر ثم تقدم تعز فوصل الجند صبح يوم الخميس لنيف وعشرين من شهر ربيع الآخرة ثم تقدم تعز يوم الثلاثاء الخامس من جمادى الأولى فحط في الشجرة وأقام بها أياماً ثم تقدم إلى بلاد العوادر يوم الأربعاء الثامن عشر من الشهر وقتل منهم جماعة ثم عاد إلى تعز وقدم الملك الفائز وابن شكر من تهامة في جمادى الأولى فمرَّا على بلد بني أستاني فأخرباها خراباً شنيعاً. ثم دخلا تعز في آخر الشهر المذكور فأقاما أياماً ثم عاد ابن شكر إلى إقطاعه حيس وموزع.

(195/1)

وفي شهر جمادى الآخرة خرج الظاهر من عدن إلى لحج وخرج جميع من كان معه من أصحابه فسار هو طريق الخبت وسار الباقون طريق هبيب فطلع الظاهر السمدان وأقام فيه. وفي شهر شعبان تقدم السلطان إلى زبيد فأوقع بالعوارين وقبض شيخهم محمد الدعيسي وجماعة كثيرة منهم

فشنق منهم طائفة وقتل آخرين بالسيف وكان ذلك يوم الثلاثاء ثامن وعشرين شعبان المذكور. وكان قد اقطع قطب الدين أخاه مدينة حرض فبلغه عنه انه قد خرج عن الطاعة فسار إليه من زبيد وكان مسيره إليه يوم السبت العشرين من شوال ولم يزل يتلطف به حتى انتزعه من حرض. ولما خرج السلطان من زبيد وكان شيخهم يومئذ أحمد الأسد شوال وكان الوالي بها يومئذ عبد الرحمن بن الفخر المعروف بالركن بن العفاء فهرب من زبيدا إلى حلة المجانية. وظن أن أهل المدينة كلهم راضون بذلك. فاجتمع أهل المدينة في ليلتهم وساروا بأجمعهم في طلب راضون بذلك. فاجتمع أهل المدينة في ليلتهم وساروا بأجمعهم في طلب المفسدين فأمسكوا جماعة منهم وشنقوهم حتى رجع الأمير فتولى أمرهم فشنق طائفة منهم وكحل طائفة أخرى ورجع السلطان إلى زبيد.

وفي هذا التاريخ قدم القاضي جمال الدين محمد بن مؤمن من الديار المصرية ومعه نحو من ثلاثين فارساً من المماليك وكان قدومه يوم الاثنين التاسع والعشرين من ذي القعدة وعيد السلطان عيد الأضحى في مدينة زبيد وحصل عليه بعض وعك فطلع تعز ثم من الله تعالى بالعافية.

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل أبو العباس أحمد بن أبي بكر المعروف باليماني من أهل حرار وكان فصيحاً عارفاً أديباً له ذكر مشهور وكرم مذكور. وكان صبوراً على إطعام الوافدين وأكرم الواردين والسعي في قضاء حوائج الناس إلى الأماكن الغريبة والبعيدة يقول القول عند كل أحد وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفي سنة سبع وعشرين طلع السلطان حصن العسكر وكان طلوعه يوم الأحد الخامس من المحرم فأقام فيه أياماً وفي أثنائها تقدم الزعيم إلى تهامة. وفي يوم السبت الثاني عشر من جمادى الأولى أخذت منصورة الدملؤة بمساعدة مرتبيها وجعل فيها عسكر من جهة السلطان وطلع القاضي جمال الدين محمد بن مؤمن إلى جبلة ليعمل في فتح الجبل المعروف ببعدان وطلع بعسكر جيد خيل ورجل وذلك بعد أن وصل ابن السوع إلى تعز ومعه ابن شكر فقابلهم السلطان مقابلة جيدة وخلع عليهم وأحسن إليهم ووصل معهم جماعة من مشائخ مذحج وأعيانهم فطلبوا من السلطان مالاً يبذل لهم على فتح الجبل فبذل لهم السلطان مالاً جيداً وطلعوا يوم السابع من جمادى الآخرة إلى جبلة فحط القاضي جمال الدين محمد بن مؤمن في جبلة وحط ابن السوع معه في أب. وحط الزعيم في وادي ضبا وطلعت مذحج جبل بعدان وفتحوا فيه الحرب فلم يتم لهم فيه ما يريدون فقيل كان سببه عدم الوفاء بما بذل لهم وقيل غير ذلك. وطلع أهل الشوافي إلى أهل بعدان بمكاتبة من ولد الفقيه أبي بكر محمد بن عمر اليحيوي. وكتب أيضاً كتباً إلى الملك الظاهر وقد كان من السلطان على وجه خير واقترب أمان.

ولما لم يتفق فتح الجبل كما ذكرنا نزل القاضي جمال الدين محمد ابن مؤمن من جبلة وابن السوع من أبو الزعيم من محطته بوادي ضبا بطلب ممن السلطان وأقام السلطان في تعز إلى شهر رمضان ثم خرج متوجهاً إلى عدن يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر رمضان حتى حط بالأحبة ونزل معه الزعيم وهو يومئذ أتابك العسكر. وكان مشكور التدبير حسن الثناء يعمل كل يوم

سماطين بكرة وعشية لذوي الحاجة من العسكر وذلك في وقت قد عز فيه الطعام وقل وجوده. ولم يزل السلطان يغزو عدن وتخرج إليه عسكر وخيل ورجال وكانت الحرب بيتهم سجالا وظهر من الحمراني وجماعة من المماليك وأولاد تعز سوء أدب وسفه باللسان. وأقام القاضي جمال الدين محمد بن مؤمن في المحطة إلى أن دخل شهر الحجة. ثم تقدم تهامة وصحبه ابن مفضل لجباية الأموال بها فتقدم المذكور في طائفة من العسكر فعيدوا الأضحى في الغارة ثم توجهوا إلى زبيد.

وفي هذه السنة توفي الفقيه البارع إسحاق إبراهيم بن الفقيه أحمد ابن موسى بن عجيل وكان فقيهاً دينياً ورعاً يحب الاعتزال قلما يجتمع به أحد من الناس الواصلين إليه وأخذ الفقه عن أبيه والنحو عن الفقيه رحمه الله تعالى.

(196/1)

وفيها توفي الفقيه الخطيب أبو عبد الله محمد بن أحمد بن جامع المباركي المعروف ابن العجمي. والمباركي نسبة إلى شيخ لوالده احمد. وكان من أهل شيراز ما زار مريضاً قط ودعا له إلا عوفي من مرضه فسمى مباركاً لذلك ونسب إليه أصحابه وكان ولده هذا محمد رجلاً فاضلاً فقيهاً محدثاً صوفياً أخذ عن جماعة من أعيان المدرسين كالفقيه أحمد بن أبي الخير وأمثاله وكان فيه مروءة وحسن خلق وكرم نفس. وكان بيته موئلا للمنقطعين من الفقهاء والمتصوفين وصنف كتاباً في الرقائق واستمر خطيباً في مدينة زبيد مدة طويلة إلى أن توفي يوم الرابع عشر من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه أبو الحسن أحمد بن الفقيه علي الجنيد بن الفقيه أحمد ابن منصور الجنيد وكان مولده في صفر من سنة سبع وخمسين وستمائة ولما توفي والده في التاريخ المذكور استمر هذا معيداً في المدرسة الأسدية بتعز وجدب الفقيه أبو بكر بن محمد بن عمر اليحيوي عليه وعلى اخوته مراعاة لصحبة أبيهم وأسد الملك المؤيد في أيام آمريته وقرأ عليه وارتفعت منزلته عنده. وكان فقيهاً أصولياً نحويا شاعراً فصيحا وله في التصوف كلام مرضى وشعر رائق وتوفى يوم الأحد الثاني عشر من جمادى الأولى من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه البارع أبو عبد الله محمد بن بكر بن محمد بن عمر اليحيوي وكان مولده في السابع عشر من ذي الحجة من سنة أربع وسبعين وستمائة وبوقفه وولي قضاء الأقضية في سنة أربع عشرة وسبعمائة فقام كقيام أبيه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان عالي الهمة شريف النفس يقوم بالمنقطعين من أهل العلم وغيرهم وعمل في أيامه مآثر جيدة لم يعملها أحد من أهله ولا من غيرهم واجلب الماء إلى المدرسة الشمسية بذي عدينة بعد أن انقطع مدة وتوفي مقتولاً صبراً على يد السناني في شهر صفر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفى الفقيه الفاضل أبو محمد بن أحمد الحضرمي وكان يسكن قرية في جبل يافع يقال لها

رخمة باسم الطائر المعروف وكان مذكوراً بالدين والورع والصلاح والزهد والعبادة وتولى حكم بلده سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة وتوفي في سنة سبع وعشرين المذكورة رحمه الله تعالى.
وفيها توفى الفقيه الصالح أبو مسلمة محمد بن الحضرمي وكان مولده قرية الطرية بأبين وكان تفقه بأبين على ابن الرسول وعلى علي بن إبراهيم التهامي وإبراهيم الحرف ثم قدم لحج وتديرها بأنس من ابن مناس وامتحن بالعمى وحصر البول إلى أن توفي في شهر السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

(197/1)

وفي سنة وعشرين تقدم القاضي جمال الدين محمد بن مفضل نحو الجهات الشامية وأقام ابن مؤمن في مدينة زبيد إلى أن رجع إليه ابن مفضل بأموال الجهات الشامية فساق منها مالاً جزيلاً ولم يزل السلطان رحمه الله في محطته بالأحبة والزعيم في سائر العسكر في المحطة على عدن وهو صاحب الباب وكان على أحسن طريق من وضع الأشياء في مواضعها وفعل ما يذكر عنه. وفي أوائل صفر من السنة المذكورة باع رتبة الدملؤة الحصن على يد من هو في المنصورة فبادر الأمير عز الدين وموالينا الأدر الكرام جهة صلاح بإرسال الطواشي صفي الدين جوهر الرضواني ليقبضها فخرج مسرعاً من تعز بمال نقد وخلع فلما طلع حصن الدملؤة لاطف وبذل حتى استمكن وكان مبذوله فيها ستة آلاف دينار ملكية غير الخلع والكساوي وكان في الحصن يومئذ نور الدين وولد له ووالدة الظاهر وبنت فأرسل لهم السلطان عز الدين طلحة بن أخت الزعيم فلما وصل المنصورة انزلوا إليه فسار بهم تحت الحفظ إلى حصن تعز فجعلوا في دار الإمارة من الحصن المذكور وقيد الرجال منهم هذا والسلطان يومئذ في محطته على باب عدن. ولما كان آخر شهر صفر كلاماً وأخذ جمعاً من الشفاليت وطلع بهم من جهة التعكر ليلاً فلما كان يوم الخميس الثالث والعشرين من صفر المذكور زحف السلطان على عدن فخرج أهلها لحربه على عادتهم فخرج عليهم العسكر المجاهدي من ورائهم وصاحوا باسم السلطان ففشل أهل عدن وفتح باب المدينة فدخل الزعيم والملك المفضل بعد الظهر. ووصل السلطان بعد العشاء من ليلة الجمعة فبات في التعكر فلما اصبح صبح يوم الجمعة الرابع والعشرين من الشهر المذكور نزل السلطان من التعكر وسار إلى الخضراء على طريق الدرب. فلما كان يوم السبت استدعى بجماعة من المماليك وجماعة من الشفاليت الظاهرية وهو في الخضراء فطلعوا بهم إليه فأمر بقتل جماعة من المماليك وجماعة من الشفاليت والحمراني ومولد اسمه السغولي والهمذاني والشهابي ونزلوا بالوالي والناظر محمد بن الموفق والد الفخر بن الرضى الذي قتل في الشحر وكحل من الرجل جمع كثير. ولما كان اليوم الحادي عشر من شهر ربيع الأول أمر بشنق ابن أيبك وابن الموفق وغرق ثمانية منهم الجرباني والزمغري. وأقام السلطان إلى يوم العشرين من جمادى الأولى ثم خرج من عدن يريد الدملؤة فدخلها في غرة جمادى الآخرة فأقام فيها نحو نصف شهر ثم نزل منها إلى الجوة ثم سار إلى الجنيد فدخلها آخر يوم الثلاثاء الثاني والعشرين

من الشهر المذكور. ووصل الأمير عز الدين صالح بن ناجي يوم الخميس غرة شهر رجب في عسكر جيد وأعلام وطبلخانة فأقام أياماً وساعة قدموه دخل على مولانا السلطان القصر وضربت له خيمة خارج البلد فخرج إليها بعد السلام. فلما كانت ليلة الخميس الثامن من الشهر المذكور سرق من خيمته مال وقماش له قدر. وفي شهر شعبان وصل حسن بن الأسد من ذمار وصحبته هدايا للسلطان فيها خيل جياد وفي جملتها فرس لا نظير له طوله ثمانية أشبار بالتحقيق. وفي الثامن من شهر شعبان.

(198/1)

خالف الأمير عز الدين في حصن تعز واخرج الخدام الذين فيه وأمر بنهب بيت الزعيم وبيت ابن مؤمن والرشيدية. ثم كاتب السلطان واعتذر مما صنع فتقدم إليه الطواشي جوهر الرضواني وهو يومئذ زمام الباب الشريف فسأل ذمة فعاد الطواشي يخبر ذلك. ووصل ولده الأسد بن صالح ووصل معه جماعة من فقهاء تعز المدرسون والحاكم بها محمد بن عمر بن عبد الله ورأس الفقهاء يومئذ أبو بكر بن جبريل فقصدوا باب السلطان فأذن لهم بالحضور وقابلهم السلطان احسن مقابلة. ورجع السلطان الفقهاء بذمة للأمير عز الدين صالح. ووصل القاضي جمال الدين محمد بن مؤمن من عدن بخزانة جيدة نقداً وعرضاً. ووصل الأمير عز الدين صالح إلى السلطان يوم السادس عشر من الشهر المذكور. ووصل صحبة الفقهاء فدخلوا على السلطان إلى البستان وفي خلال ذلك الحضور أمر السلطان على الطواشي كافور ويران أن يتقدم لقبض حصن تعز فتقدم لفوره في جماعة من الأصباهية. وحصل من السلطان كلام حاصله عتاب وأوجده طيبة نفسه. وخرج الفقهاء وصالح من عند السلطان وتقدم الفقهاء إلى تعز. وسكن صالح في بيت من بيوت الجند. فلما كان يوم العشرين من شعبان المذكور خرج السلطان في جماعة قليلة وأشعر على كافة العسكر بالخروج فخرجوا سراعاً إلى الميدان فطلب صالح وولده من جملة الناس فتقاعد ثم خرج وهو غير راض وخرج معه ولده وجماعة من الشفاليت. فلما وقف صالح وابنه في طرف الميدان برز لهما الزعيم ودعاهما على إنه يشاورهما ثم أبعدهما إلى وسط الميدان ومعه جماعة من أصحابه قد أشار إليهما فقالوا لهما التزما وبادروهما بالطعن والضرب فما نزل صالح من بغلته إلا ميتا وأما ابنه فقاتل ساعة ثم قتل فلبثا بقية يومها وليلتها ويومها الثاني إلى الليل والليلة الثانية إلى نصف الليل مكبوبين على وجوهما.ثم أمر بدفنهما فدفنا ولما كان يوم الثالث والعشرين تقدم السلطان إلى تعز فحط في بستان الشجرة وطلع السلطان الحصن يوم السادس والعشرين من الشهر المذكور وفي شهر رمضان خالف بعض أهل صبر على ابن منير فاخذ الحصن من يد قوم يعرفون ببني شريف. وفي يوم الخامس والعشرين من شهر رمضان المذكور أوقع الملك المفضل بالأهمول في جهة موزع وكان قد كثر فسادهم وقصدوا موزع فخرج إليهم الملم المفضل فهزمهم هزيمة شنيعة وقتل منهم نحوا من مائة نفر وجز رؤوسهم

فذلوا بعد ذلك ذلاً شديداً. وفي اليوم السادس والعشرين قبض حصن الشرف لولانا السلطان. وخرج يوم الخامس من شوال من تعز يريد الشرف فدخله يوم السادس وأقام فيه أياماً ثم رجع إلى تعز فأقام في الحصن أياماً ثم تقدم إلى تهامة يوم السبت الخامس والعشرين من ذي العقدة وأقام فيها إلى آخر السنة وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل محمد بن عثمان بن محمد بن عمر الهزاز. وكان فريد قومه على ما قيل شريف النفس فقيهاً مدرساً في مدرسة أم السلطان بعد والده ثم ترتب في المؤيدية وأعاد المدرسة إلى ابنه فأقاما مستمرين إلى أن توفي في السنة الذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه الصالح أبو بكر بن عمر بن مدافع. وكان من أخير أولاد المشايخ له اشتغال بالعالم واستمر مدرساً في المدرسة التي في ناحية الوزير وكان فيه مكارم أخلاق وفضل وأنس للأصحاب توفي السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

(199/1)

وفيها توفي الفقيه الفاضل محمد بن علي بن جابر الجبائي نسبة إلى البلد المقدام ذكره. وكان فقيها فاضلا متقناً ولد سنة ثمان وستين وستمائة وتفقه بابن أبي مسلم وبالفقيه الليث. وكان مدرس البلد ومفتيها. وحج في سنة ثماني عشر وعشرين وسبعمائة فتوفي في الطريق ظناً قاله الجندي رحمه الله تعالى. وفيها توفي الفقيه الفاضل أبو عبد الرحمن بن الجنيد بن الفقيه عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم بن زكريا. وكان فقيهاً فاضلاً مدرساً ولد سنة ثلاث وستين وستمائة وتفقه بعلي بن إبراهيم بن محمد بن حسين صاحب شحينة ودرس مدة في بلاده ثم انتقل إلى قرية أخرى. فلما مرض وأحس بالموت أمر أن ينقل إلى الشويراء فتوفي بها في شهر رمضان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى. وفيها توفي الفقيه الصالح الوارع الزاهد أبو الفرج عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن أبي السعود. وكان فقيهاً صالحاً عالماً وكان زميله في القراءة ابن الرسول وتوفي في السنة المذكورة رحمه الله تعالى. وفي سنة تسع وعشرين وسبعمائة وصل الحجاج وأخبروا بخصب الحجاز وإن الوقفة كانت الجمعة. وفي صفر حصل من بعض أهل منصورة الدملؤة مخامرة وأدخلوا جماعة من الأشعوب وانتبهوا غالب بيوت أهل المنصورة الذين لم يخامروا معهم ثم كاتبوا الظاهر يخبرنه بقبض المنصورة له ويطالبون منه الممادة بالمال والرجال فرجع جوابه بكراهة ذلك وأنه لا مال عنده ولا رجال. فأخربوا غالب بيوت المنصورة فلما بلغ العلم بذلك إلى السلطان الملك المجاهد وكان يومئذ في مدينة زبيد جرد الطواشي صفي الدين جوهر الظفاري في مائة رجل وثلاثين فارساً وكان مقدمهم الشامي فلما علم بهم الأشعوب هربوا من المنصورة فقبضها الطواشي أمين الدين أهيف وطلع الشامي إليها وطلع الطواشي جوهر من الجناب بالخيل والرجال إلى تعز. ووصل السلطان من تهامة يوم الخامس عشر من صفر. وكان مريضاً قد علق به جدري فأقام في الحصن أياماً وتوفي له ولد ثم ولد آخر ومن الله بعافيته في شهر ربيع الآخر فأمر باستخدام الخيل والرجل وطلب الرجال من كل جانب ولم يعلم أحد

أين يريد. وفي أول جمادى الأول نزل السلطان من الحصن إلى الشجرة ثم تقدم نحو عدن فأقام بها إلى العشرين من رجب. وفي خلال ذلك صودر ابن مؤمن بمال جزيل واستمر ابن الغنمي شاد الدواوين ثم طلع السلطان من عدن إلى أبين وحضر الكتيب في ليلة السابع والعشرين من رجب وتصدق بصدقة جليلة فلما انقضت أيام الكتيب في ليلة السابع عاد إلى عدن وأقام بها أياماً ثم طلع إلى محروسة تعز في أثناء شعبان فأقام في الحصن إلى أن انقضى عيد الفطر وفي أثناء أقامته اخرج ابن عمه من السجن وهو الأشرف بن الواثق وتزوج السلطان على كريمته بنت الواثق في الثامن من شوال ودخل بها في آخر الشهر المذكور. وفي خلال ذلك طلعت قافلة من عدن فقبضها أهل الهجر فغزاهم السلطان في رابع شهر ذي العقدة وقتل منهم عدة ثم طلع الدملؤة فأقام فيها مدة ثم نزل الجوة فعيد فيها عيد الأضحى. ولما انتصف شهر الحجة خرجا السلطان على الأشعوب وحصل قتال شديد أياماً. وانهزم عسكر السلطان يوم التاسع عشر من الشهر فقتل الحسام بن ظاهر وقريب له وجماعه من العسكر خيل ورجل وفي هذه السنة توفي الإمام أبي الخير منصور بن أبي الخير الشماخي وكان فقيها عالما عاملا وهو شيخ مشايخ الحديث باليمن وأحد أعلام الزمن وكان موصوفاً هو ووالده بجودة الضبط والإتقان وعنها انتشر علم الحديث وسمع عليه السلطان الملك المؤيد سنن أبي داود سنة ثلاث عشرة وسبعمائة. وكانت وفاته في يوم الثلاثاء خامس عشر ربيع الأول من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه الفاضل هندوه بن عمر بن سلم الخولاني وكان مولده ليلة الجمعة العشرين من شهر رمضان سنة سبعين وستمائة. وكان له ثلاثة اخوة علي وعبد الله وعبد الرحمن فاشتغل علي وعبد الرحمن بالقراءات السبع واشتغل عبد الله وهنده بالفقه وكان تفقههما بجباء ولما أخرب السلطان الملك المؤيد خولان هرب المذكور عن بلدهم. فلما تفقه هندوه رجع إلى بلاده وسكن أخوه عبد الله في نواحي قدس إلى أن توفي هناك في سنة خمس وعشرين وسبعمائة وسكن في قرية الحباجر مدة ثم انتقل إلى بلاده ورجع إليها وأما عبد الرحمن فغاب وانقطع خبره. وتوفي هندوه يوم السابع من شهر رمضان السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

(200/1)

وفيها توفي الشيخ الفاضل أبو محمد الحسن بن محمد بن نصر بن علي عرف بمختار الدولة وكان مختار الدولة وزير أحد العبيديين ملوك مصر. وقدم أبو محمد اليمن في أيام الملك المؤيد فلم يصف له معه حال. وكان من أعيان القضاة الواصلين من مصر وكان عارفاً بالحساب والأصول والفلك والنحو والفرائض والجبر والمقابلة. فقام في تعز مدة فلم يصف لها مع المجاهد وقت فسافر عن تعز في سنة أربع وعشرين وسبعمائة فقام في التهائم حتى ارتفعت المحاط ثم عاد إليها فقام أياماً ثم جعل كتاباً للخزانة والإنشاء. ولما نزل السلطان عدن نزل صحبه ركابة فتطلع عليه وعرف فضله فجعله

من جملة خواصه ولم يزل على ذلك مستقيم الحال إلا أن توفي في سلخ شهر رمضان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.
وفيها توفي الفقيه الفاضل أحمد بن سليمان بن أحمد بن صبره الحميري وكان فقيهاً مجوداً ولد سنة ثمان وخمسين وستمائة في قرية من معشار حصن أنور من وادي مسرعة أخذ عند محمد الأصحبي وقرأ الفرائض على طاهر. وولى القضاء مدة وكان إمام الجامع ودرس في بعض مدارس فيروز. ولم يزل على أحسن حال إلى أن توفي في شهر شوال من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.
وفيها توفي الفقيه الصحابي أبو الحسن علي بن أبي بكر بن محمد الزيلعي العقيلي نسبة إلى عقيل بن أبي طالب صاحب قرية السلامة من وادي نخلة وكان اصل بلدهم بطة قرية من قرى الحبشة ولذلك يقال لهم بنو الزيلعى وكان أول من قدم منهم قرية السلامة جدهم محمد فتأهل بها فظهر لها أبو بكر ثم تأهل بأمرائه من أهل العقيلية فظهر لها على المذكور وأخوه أيضاً. وهم بيت صلاح وعلم. وكان علي بن أبي بكر فقيهاً ناسكاً كثيراً طعام الطعام وكان كثير الحج وكذلك كان والده. وتوفي بمكة المشرفة آخر شهر الحجة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.
وفي سنة ثلاثين وسبعمائة أخذ السلطان حصن يُمَيْن من الغياث بن السناني قهراً على يد الزعيم بعد حاصره مدة حصاراً شديداً وهرب ابن السناني إلى ناحية ذخر ثم حصل الصحابي بين السلطان والظاهر في الحرم ثم اخذ السلطان ذخر قهراً بالسيف وخرب بلاد الغياث بن السناني خراباً شديداً بعد أن ولى في قدس والياً وولى في حصن يمين والياً وهو الطواشي جوهر الظفاري وفي حصن سامع طاهر بن الحسام بن طاهر الذي قتل أبوه فقتل من الأشعوب كثيراً.
وفي هذه السنة أصلح الغياثي بن السنان على يد الزعيم وتوثق له بالأيمان المغلظة وفصل إلى الباب الشريف وسلم بلاده بأسرها ثم لقدم السلطان إلى تعز في اثني عشر ألفاً وقيل في سبعة عشر ألفاً خارجاً عن الخيل من الترك والعرب والأكراد والأشراف وغيرهم. وكان أستاذ داره يومئذ الشرف بن حباجر وأتابكه الزعيم وأمير خان داره أقباي. فلما استقر السلطان في تعز وجد أهل تعز على أخبث ما كانوا عليه من الخلاف وخرق العرض والشتم الشنيع فلما كان ليلة الأحد والعشرين من الشهر المذكور طلب السلطان العسكر وسائر المقدمين ووجه كل مقدم في قطعة من العسكر إلى ناحية من جبل صبر ففتحوا عليهم الحرب من عدة نواحي وغشيهم العسكر من كل طريق وطلع السلطان الجبل وتسنمه فلم يصل الموادم حتى قد صار عنده نحو من أربعين رأساً وسار في عسكره يريد الحصن وشنق في طريقة طائفة منهم ولم يزل يتبعهم وفي كل بلاد وشنقهم في كل طريق ويجز رؤوسهم حتى ذلوا ذلاً شديداً وهرب شيخهم ابن منير إلى الحشا فقام فيها إلى أن توفي هنالك في النصف من جمادى الآخرة وبعد خمسة عشر يوم من يوم الوقعة أمر السلطان صائحاً يصيح بالذمة الشاملة على صفوف أهل صبر ومن لا يحمل السلاح. ولما نزل السلطان من صبر أَقام في ثعبات. فلما كان اليوم الرابع من شهر ربيع الآخر سار إلى الجند.

وفي هذا التاريخ حصل من الملك المفضل وسيف بن حسن بن داود إلى السلطان كلام كثير وأن قصده الخروج عن الطاعة فطلبه السلطان إلى الجند فلما وصل لزمه وقيده وأرسل به إلى حصن تعز فأقام مسجوناً إلى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة. وفي اليوم الثامن من شهر ربيع المذكور وصل العسكر بالقاضي إبراهيم بن محمد بن عمر بن اليحيوي ومعه بعض أولاده فأودعهم السجن. وفي يوم الثالث عشر من الشهر المذكور قدم الشيخ عبيد بن مهجف وكان مستولياً على حصن التعكر وحافظاً له فخرج غالب العسكر في لقائه ونزل مع الأمير الزعيم فلما كان يوم الرابع عشر أطلق خطه إلى ابنه بأن يسلم الحصن والعهد إلى نائب السلطان فطلع به الطواشي بارع فقبض الحصن ليلة الخميس الخامس عشر من الشهر المذكور. ولما كان يوم الثالث من شوال تقدم في عساكره المنصورة إلى بلد المعافر وفرق المحاط عليها. وكانت محطته في منصورة الدملؤة وكان القاضي جمال الدين محمد بن مؤمن يومئذ صاحب الباب وكان بينه وبين الزعيم من البغضاء ما قد علمه الخاص والعلم وليس لذلك سبب إلا التنافس على الرياسة والتقدم عند السلطان فأوقع ابن مؤمن في قلب السلطان ما أوحشه عنه وذلك انه اخبره انه اتفق هو والغياث بن السناني على الميل إلى الظاهر وأيّد ذلك في قوله الشرف بن حباجر وكان ابن حباجر صديقاً لأبن مؤمن فوقع في قلب السلطان من ذلك أمر عظيم وصدقهما.

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح محمد بن علي الزيلعي. ويروى عنه أنه كان يقول أنه شريف حسيني وكان فقيهاً متقناً صالحاً ورعاً تفقه بإسماعيل الحضرمي وبعلي بن صالح الحسيني وأخذ عن عمر السروي وغيره وكان معروفاً بالفقه والصلاح وإصابة الفتوى وشرح اللمع شرحاً مفيداً. وكان وفاته في السنة المذكورة.

وفيها توفي الفقيه الصالح أبو بكر بن أحمد بن موسى بن عجيل وكان فقيهاً نبيلاً ورعاً جواداً عالماً عاملاً ناسكاً. وكان تفقه بخاله علي بن أحمد الصريدح وكان أجود اخوته فقهاً وورعاً وعلماً وعملاً. قال الجندي توفى على رأس الثلاثين وسبعمائة رحمه الله تعالى.

وفيها توفى الفقيه الصالح الجواد أبو العباس أحمد بن علي بن منامس الوافدي صاحب لحج وكان من أَعيان الزمان كرماً وفضلاً وجوداً ونبلاً ما صحب أحداً قط إلا وكان له عليه الفضل وما وصله طالب إلا وأعانه.

قال الجندي سمعت الشريف إدريس يثني عليه بالكرم وبالفقه. ويقول ما كنت أظن أن في اليمن مثله ولا أظن مثله في غيرها. وتوفى لأيام مضت من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى وفي سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة أوقع السلطان بالزعيم لما أوقع ابن مؤمن في قلب السلطان منه فاستوحش منه السلطان واسودّ ما بينه وبينه ولا علم للزعيم بشيء من ذلك. وكان الزعيم صاحب إطعام لا سيما في المحاط فإنه لا يكاد ينقطع. فاتفق أن عمل سماطاً وكان السلطان قد

زحف على أهل مطران ذلك اليوم فاجتمع به الزعيم وعرفه أنه عمل سماطاً للعسكر كافة وسأل من السلطان حضور السماط وان يمشي معهم تلك الليلة فأجابه السلطان إلى ذلك فرجع إلى موضعه وسعى في لتميم السماط والزيادة فيه ولما علم ابن مؤمن بذلك بادر إلى السلطان وهو ابن حباجر وعرّفاه أنه ما مراده إلا القبض على السلطان والقيام بالدولة الظاهرية فما شك السلطان في ذلك مع تقدّم ما قد أوقعا في قلبه فنهض من فوره إلى منصورة الدملؤة فدخلها بعد صلاة المغرب واستدعى الزعيم من فوره فلما وصل أمر بقتله فقتل وقطع رأسه ولزم جماعة من أصحابه وقيدهم ولم يسلم من خاصته إلا القاضي جمال الدين محمد بن حسان وكان كاتب الزعيم يومئذ فيما دق وجل وعليه مدار أمره.

(202/1)

ولما قتل الزعيم كما ذكرنا واخذ السلطان مطران وعاد إلى تعز عرض ابن مؤمن يذكر الغياث بن السناني وانه ركن من أركان الفساد فأعرض السلطان عن إجابته إلى ما يريد وقال هذا رجل قد توثق مني بالأيمان المؤكدة ولا أنقض ما عقدت له على نفسي ولا أشك أنه قطعة فساد ولكن قد أمنته ولكن إذا ادعى عبد الرحمن اليحيوي أنه قتل أخاه ظلماً أحضرناه له شرعاً. فأشار ابن مؤمن إلى القاضي وجيه الدين في ذلك واستحضر ابن السناني وطلب السلطان قاضي الأقضية وهو القاضي عبد الأكبر وحضر أعيان الفقهاء ووجوه الدولة وادعى وجيه الدين على الغياث أنه قتل أخاه ظلماً وعدواناً فأنكر ابن السناني ذلك من دعواه فقال الحاكم للقاضي وجيه الدين أقم البينة وإلا استحلفه الأيمان الشرعية فالتفت وجيه الدين إلى السلطان وقال يا مولانا السلطان عندك شهادة أريد أداءها فقال السلطان ما عندي شهادة لك ولا له ولكنه كتب إليَّ كتاباً يخبرني فيه بقتل أخيك فقال يا مولانا السلطان أريد حضور الكتاب فأمر السلطان في مقامه ذلك من احضر الكتاب فلما قرئ الكتاب على الحاضرين اعترف ابن السناني أنه خطه وأنكر أن يكون باشر القتل. فقال له الحاكم قد توجه الحكم عليك لأنك اعترفت أن هذا الكتاب كتابك وقد أقررت في الكتاب انك قاتله فسأل القاضي وجيه الدين من السلطان أن يمكن من غريمه فأمر السلطان بتسليمه إليه فسلم إليه فقبضه ورسم عله من ساعته واخرج إلى الجهملية فقتل في السلف. وكان قتله بعد قتل الزعيم بمدة يسيرة.

وفي هذه السنة أمر السلطان بإنشاء المدرسة التي عمرها في ناحية الجيل من مدينة تعز وجعلها مدرسة وجامعاً وخانقة ورتب فيها إماماً وخطيباً ومؤذناً وقيماً ومدرّساً يقرؤون الفقه ومحدّثاً وطلبة يقرؤون الحديث ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن وشيخاً ونقيباً وفقراء وطعاماً للواردين ووقف عليها وقفاً جيداً يقوم بكفاية الجميع منهم.

وفي هذه السنة توفي الفقيه البارع أبو محمد الحسن بن أحمد بن سالم بن عمران المنبهي السهلي وكان مولده في شعبان سنة سبع وثمانين وستمائة وكان تفقه بالفقيه صالح بن عمر وارتحل إلى

جباء فأخذ عن الفقيه جمال الدين عثمان الجبائي ونقل التنبيه غيبا وحصل المنهاج للنواوي نسخاً ونقلاً في أربعة اشهر وحفظ بعض المهذب لأبي إسحاق الشيرازي غيبا وكان أوحد زمانه علماً وعملاً وفضلاً وورعاً مشهوراً بالصلاح. ولما بلغ درجة في الوصف عالية تناقلها الناس عنه. وكان وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه الصالح أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين بن أبي السعود الهمداني الفراوي وكان فقيهاً جيداً فاضلاً زاهداً ورعاً. وكان وثمانين يوم الاثنين الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث مولده وستمائة. وكان تفقه بأخيه. وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفي سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة جرد السلطان العساكر إلى المخلاف وفتح الحرب عليهم من كل ناحية فقبض حصن حبّ في ذي القعدة من السنة المذكورة.

وفيها توفي الفقيه أبو الخطاب عمر بن عثمان بن محمد بن علي بن أحمد الحبائي الحميري وكان فقيهاً صالحاً ورعاً استظهر القرآن الكريم وقرأ التنبيه قراءة محققة على فقهاء جُبْلة وسمع بعض المسموعات على غيرهم وكان بارعاً توفي في ذي القعدة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه الفاضل الأديب أبو الخطاب عمر بن عيسى بن محمد ابن سليمان المنسكي ثم العامري وكان مسكنه الغُقْء بضم العين المهملة وسكون القاف وكان فقهياً متأدباً ويروى من الشعر شيئاً وله مشاركة جيدة في كثير من العلوم مقبول الكلمة في بلده. وكان وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

(203/1)

وفي سنة ثلاث وثلاثين قبض السلطان سائر الحصون الحدقية وأذعنت القبائل طوعاً وكرهاً واتسقت المملكة ودخل المخالفون في الطاعة وأمر السلطان رحمه الله بعمارة سور ثعبات ولم تكن مسورة قبل ذلك وجعل لها أبواباً ورتب على الأبواب حراساً وحفظةً واستقر الملك وهرب أصحاب الملك الظاهر منه لما ضاق بهم الأمر ولم يجدوا ملاذاً يلوذون به. فكتب الملك الظاهر إلى القاضي جمال الدين محمد بن مؤمن والأمير شرف الدين بن حباجر بأن يسعى له في الصلح والصفح ويطلب له ذمة شاملة عليه وعلى من معه من أهله وغلمانه فأجاب مولانا السلطان إلى ذلك وأرسل القاضي جمال الدين محمد بن مؤمن والأمير شرف الدين بن حباجر بالتقدم إليه ليصل في صحبتهما فتقدما إليه إلى السمدان بالذمة الشريفة فوصل صحبتهما.

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل أبو العتيق أبو بكر بن الفقيه يحيى بن أبي الرجاء. وكان فقيهاً فاضلاً مشهوراً ديّناً ورعاً معروفاً بجودة الفتوى في جبلة ونواحيها. ولد سنة سبع وستين وستمائة تفقه بأبيه وكان هو المشهور المشار إليه في وقته بجودة الفقه إلى أن توفي في السنة المذكورة رحمه الله

تعالى.

وفي سنة أربع وثلاثين وسبعمائة نزل الملك الظاهر من السمدان على الذمة الشاملة صحبة القاضي جمال الدين محمد بن مؤمن والأمير شرف الدين فأمر السلطان بتطليعه الحصن وان يودع دار الإمارة على الإعزاز والإكرام موسى بن حباجر فأقام به إلى شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة وتوفي رحمه الله تعالى. فلما بلغ علم موته إلى السلطان أمر على الحاكم بمدينة تعز يومئذ وسائر أعيان الفقهاء بها أن يشاهدوه وقت غسله ويتفقدوا أعضاءه فلم يجدوا فيه أثراً وإنما مات حتف أنفه فغسل وكفن وصلى عليه وقبر في تربة الملوك بعدينة وهي التربة التي هي ملاصقة لجامع عدينة من الناحية القبلية.

وفي هذه السنة كملت عمارة سور ثعبات وركبت أبوابها وصارت مدينة حصينة وعمر جامعها وأجري إليه الماء ورتب فيه إماماً ومؤذناً وخطيباً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن الكريم ومحدثاً يقرأ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقف السلطان عليهم وقفاً جيداً يقوم بكفاية الجميع منهم.

وفيها توفي الفقيه الفاضل أبو حفص عمر بن الفقيه أبي بكر بن أحمد بن الفقيه علي بن أبي بكر الساعي تفقه أولاً في بلدة المخادن ثم ارتحل إلى زبيد فتفقه بأحمد بن سليمان الحكمي وغيره ودرس في مدرسة ميكائيل التي أنشأها في زبيد وكان فقيهاً فاضلاً ذا معرفة شافية في الأصول والفروع معروفاً بشرف النفس وعلو الهمة. وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفي سنة خمس وثلاثين وسبعمائة أوقع السلطان بالقاضي جمال الدين محمد بن مؤمن.

قال علي بن الحسن الخزرجي واخبرني الفقيه إسماعيل بن علي بن تمامة وكان من نقلة الأخبار أن القاضي جمال الدين كانت قضيته في سنة سبع وثلاثين والله أعلم.

(204/1)

قالوا وكان ابن مؤمن رجلاً حسوداً لذوي الأقدار لا يزال يغرى السلطان بذوي المكانة من علمائه حتى يهلكهم فتلف بسعايته كثير من الناس. وكان القاضي موفق الدين عبد الله بن علي بن محمد بن عمر اليحيوي المعروف والده بالصاحب أوحد زمانه فصاحة وصباحة ورياسة وسياسة قل أن يأْتي الزمان بمثله. وكان ابن مؤمن يحسده حسداً كثيراً لكماله وتأَهله للرياسة فكان يحط من قدره عند السلطان ويقع فيه ويغريه به مرة بعد أُخرى فصودر مراراً ثم صودر مرة على يد ابن مؤمن فرسم عليه ترسيماً عنيفاً وضيق عليه ضيقاً شديداً وقصد هلاكه. وكان لابن مؤمن نقيب على بابه يقال له سعيد. وكان بينه وبين القاضي موفق الدين أُنس شديد لم يعلم به ابن مؤمن فاطلعه النقيب على مراد ابن مؤَمن فيه فسأَل منه إحضار دواة وقرطاس سرّاً إلى المستحم فأَحضر له دواة في نصف جوزة وقلماً فكتب وهو في المستحم إلى السلطان كتاباً لطيفاً يقول فيه يا مولانا الغارة الغارة. أن تكن روح أقل العبيد فبيدك يا مولانا السلطان ولا بيد ابن مؤمن وبعدّتك وإن يكن الغرض المال

فأدركوني فإني على آخر دقيقة من عمري مع ابن مؤمن ويضاف أقل العبيد إلى من شئتم. فلما وقف السلطان على كتابه أرسل جماعة من الجاندارية فهجموا بيت ابن مؤمن ونزعوه من يده وجاءَوا به إلى الباب الشريف فأضافه السلطان إلى أمين جاندار. فضمن عنه بعض أهله بعشرة آلاف دينار وأطلق من يومه ذلك. فكان القاضي موفق الدين من يومئذ يحرر على خط ابن مؤَمن. وكان بن مؤمن يخط خطاً حسناً فلم يزل يحرر على خطه حتى أتقنه حرفاً بحرف وحاكاه في هيئته كلها. فلما أتقنه كتب بخطه إلى كافة القبائل من أصحاب بعدان والشوافي وغيرهم وهو يقدح في السلطان وبسيرته ويطلب منهم أن يمكنوه من الحصون ويعدهم من نفسه بكل خير وبجميع ما يحبونه عاجلاً وآجلاً. وأسقطت الأوراق في الطرق فالتقطها الناس من السيارة وغيرهم ووقف عليها من وقف فحمل إلى السلطان شيء منها فلما وقف عليها ما شك أنها خطة فوقع في نفسه منه شيء عظيم. ثم أن القاضي جمال الدين لما أمكنته الفرص انتهزها وواطأ جماعة من الحرفاء وخواص السلطان أن يكثروا ذكر ابن مؤمن وأفعاله القبيحة فما يذكرونه إلا بكل ذكر قبيح حتى اشمأز منه السلطان واسودّ ما بينه وبينه وحقق القاضي موفق السلطان للسلطان خيانة ابن مؤمن من وجوه كثيرة. فلما عزم السلطان على الفتك به أقبل عليه إقبالاً كليّاً بخلاف العادة حتى لا يقطع أمراً إلا بإشارته ووعده بالوزارة شفاهاً. وكان قبل ذلك مستمرّاً في قضاء الأقضية وحمل له أربعة أحمال طلبخانة وأربعة أعلام. وكان قاضياً مقطعاً ويتحدث في أمر الوزارة. وكان الباب كله بيده.

فلما كان يوم الجمعة طُلب إلى ثعبات طلباً حثيثاً وكان يسكن المعزية مدينة تعز فطلع بعد صلاة الجمعة. فلما دخل ثعبات من باب تعز قبض هنالك ورسم عليه ترسيماً عنيفاً وحيز في باب تعز وأمر السلطان من ساعته على الطواشي صفي الدين جوهر الرضواني بأن يركب ويهجم بيت ابن مؤمن ويقبض جميع ما كان فيه. فركب وهجم البيت وقبض جمع الآنية وقبض دوابه وفرشه وجواريه. ثم أودع السجن بثعبات فأقام فيه إماماً. ثم أرسل السلطان به إلى المعسكر فقتل هنالك وقبر في البقيلين وقبره هنالك معروف مشهور.

وفي هذه السنة توفي الفقيه الإمام البارع أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمر بن علي الأحمر الخزرجي الساعدي الأنصاري وكان فقيهاً بارعاً عالماً متفنناً محققاً مدققاً درس مدة في مدينة زبيد واخذ عنه بها جماعة من فقهائها وكان امثل من يشار إليه في العلم والتواضع والصبر على التدريس طلبه السلطان الملك المجاهد في تعز للتدريس في المدرسة التي أَنشأَها في مدينة تعز فكان أول مَنْ درس فيها ثم عزل عنها وعاد إلى زبيد ثم طلب إلى تعز أَيضاً للتدريس في المدرسة المجاهدية فأقام فيها مدرساً إلى أن توفي هنالك في أثناء السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفي سنة ست وثلاثين قبض السلطان على جميع الحصون السُردُدِية. وفي هذه السنة المذكورة ظهر الدرهم الجديد الرياحيّ وبرز أمر السلطان أن لا يؤخذ من الرعية والتجار في جميع أموال الخراج إلا هذا الدرهم الجديد فتضررت به الرعية. وكانت العادة في الدولة المؤَيدية والمظفرية والمنصورية أن يطلب من الرعية ما يتوجه عليهم من الخراج في الغلة على حكم السعر في ذي الحجة الماضي.

وكان السعر في تلك السنة قد ارتفع في ذي الحجة ارتفاعاً عظيماً وانحط في أيام الصراب انحطاطاً كليّاً مع ظهور هذا الدرهم الجديد الرياحي فتضررت به الرعية ضرراً عظيماً وانكشفت أحوالهم وهرب طائفة منهم وفيهم من صبر. فلما انقضت السنة تركت الرعية في وادي زبيد الحرث وتفرقوا في أثناء البلاد ولم يعمر منهم إلا قليل عجزوا عن الحرث لقلتهم.

وفي سنة سبع وثلاثين وسبعمائة نزل السلطان من تعز إلى زبيد لما بلغه خراب الوادي وافتراق الرعية وكان رحمه الله محبّاً للرعية ومشفقاً عليهم فلما استقر في محروسة وبيد صاحت الصوائح للرعية بالأمان وكشف المظالم التي يشكونها فوصلوا إلى الباب الشريف فبرز أمر السلطان بحضور جماعة من كبرائهم فحضر منهم أربعة نفر وحضرت الأمراء والوزراء والحجاب والكتاب وكان حضوراً عظيماً. فقال السلطان للوزير عرّف رعيتنا ما هو الذي يشكونه منا حتى نزيله عنهم. فقال الوزير للرعية يا هؤلاءِ الرعية ما هو الذي تشكونه من مولانا السلطان وما سبب هربكم وترككم عمارة بلادكم. فقالوا والله ما نشكو من مولانا السلطان شيئاً. وإنما نشكو من سعر ذي الحجة. فقال السلطان وما هو سعر ذي الحجة. فقالوا يا مولانا السلطان صرنا نطلب بما يتوجه علينا للديوان السعيد من كل مغل في وقت الصراب ووقت الطعام ورخصه ولكنهم يطلبون منا سعر السنة الماضية وقت ارتفاع الأسعار وعدم الطعام فلا يتعلق المد إلا بعدة إمداد كثيرة. والذي يتوجه علينا للديوان السعيد إنما هو طعام من عين ما ازدرعناه أو ثمنه في وقت الطلب فهذا السبب الذي اضربنا وهرّبنا.

فقال السلطان هذا والله ظلم بين ولا لوم عليكم إذا هربتم. ثم طبق الدواة وكان من عادته أنه إذا طبق الدواة في مجلس الحضور انفض المجلس. فلما طبق الدواة كما ذكرنا خرج الحاضرون بأجمعهم ولم يبق إلا الوزير والحاجب فأمر السلطان على الوزير أن يأْمر كتاب الدرج بكتب منشور بإجراء النواصف لجميع الرعية بالتهائم. وذلك شيء لم يسبقه إليه أحد من الملوك وهو أن يأْخذ في كل نصف شهر أضبط سعر للديوان السعيد فيكون في كل شهر سعر أن سعر لمستهله وهو من أول يوم فيه إلى آخر الخامس عشر. وسعر لسلخه وهو من يوم السادس عشر إلى آخر الشهر. ولم يزالوا على ذلك إلى أن توفي قدس الله سره. فكانت هذه الفعلة من حسناته المشهورة.

قال علي بن الحسن الخرزجي. ولما توفي السلطان الملك المجاهد رحمه الله سمعتُ الرعية تعدّد له حسنات كثيرة منها ثلاث حسنات لم يسبقه إليهن أحد إحداهن زيادة ميعاد في جميع الجهات في التهائم كلها على اختلاف قطائعها ولم يسبقه إلى هذه الزيادة أحد من الملوك. الثانية إجراء النواصف في جهات التهائم كلها ولم يسبقه إليه أحد. الثالثة إجراء مزال الربع في جميع الجهات

وكانت هذه الثلاثة في آخر عمره. وقد قال صلى الله عليه وسلم العمل بالخواتيم فرحم الله مثواه وبل بوابل الرحمة ثراه.

وفي سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة طلع السلطان إلى ذي جبلة وأَقام في دار السلام ودرد العساكر إلى ذمار صحبة الأمير زين الدين قراجا في أربعمائة فارس وأَحد عشر أَلفاً من الرجل وأصحبهم منجنيقاً فحطوا على ذمار حتى أخذوها قهراً. ثم حطوا على حصن هرّان حتى أَخذوه قهراً. وكان ذلك في ذي الحجة من السنة المذكورة. واستمر الأمير زين الدين قراجا والياً بها.

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل عمر بن أحمد بن سالم بن عمران المنبهي السهلي وكان ميلاده في مستهل رمضان من سنة ست وسبعين وستمائة. وتفقه بأهل الجبال ثم إلى تهامة وتفقه بها على فقهاء زبيد. وكان غالب أَخذه فيها عن الفقيه الإمام أبي عبيد الله محمد بن عبد الله الحضرمي.

وكان المذكور فقيهاً فاضلاً عالماً عاملاً عارفاً متفنناً ولم يزل في زبيد حتى توفي بها في أثناء السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

(206/1)

وفي سنة تسع وثلاثين وسبعمائة انفصل الأمير زين الدين قراجا عن ولاية ذمار واستمر فيها ابن الحجازي فساءَت سيرته وخالف عليه الأكراد وحصروه في هرّان أَياماً ثم نزل إلى باب السلطان وقد فاتت البلاد فاغتاظ عليه السلطان وغضب غضباً عظيماً وصادره بمائة ألف دينار وقبض دوابه أربعين رأساً من جياد الخيل المشهورة وستين جملاً.

وفي هذه السنة أمر السلطان بتجديد سور زبيد وعمارة أبوابها وخنادقها وكان متولي العمارة يومئذ الأمير شجاع الدين عمر بن عثمان بن مختار. وكان هو يومئذ أميرها ومشدّها وناظرها فاستمرت العمارة بها إلى سنة أربعين وسبعمائة.

وفيها توفي الفقيه الصالح أبو العباس أحمد بن سالم بن عمران بن عبد الله ابن جبران بضم الجيم وسكون الباء الموحدة المنبهي نسبة إلى منبه بن خولان وكان صاحب عبادة وفقه وأُنس للواصل إليه. وكان كثير العبادة والتلاوة والعزلة عن الناس. وكان إذا دخل شهر رمضان اعتزل عن الناس ولا يتكلم بشيء من أمور الدنيا ولا يكاد يوجد في عصره شبيه له وكان ميلاده في سنة خمس وخمسين وستمائة. وتوفي في سلخ ذي القعدة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفي سنة أربعين وسبعمائة أمر السلطان بإنشاء المدرسة التي في مكة المشرفة المعروفة بالمجاهدية ووقف عليها وقفاً جيداً من أَملاكه المباركة يقوم بكفاية الجميع وجعل وقفها في ثلاثة مواضع من وادي زبيد موضع في أعلاه. وموضع في أسفله. وموضع في أَوسطه نظراً للمرتبين واحتياطاً لهم خوفاً أن يتغير موضع فيكون في غيره ما يستعينون به سنتهم إلى العام المقبل فرحمة الله عليه ما أَحسن نظره. وأطيب خبره ومخبره.

وفي سنة إحدى وأربعين وسبعمائة انقضت عمارة سور زبيد وجددت الأبواب الثمانية وزخرفت شراريعها حتى كانت كالنجم الزاهر.
وفي هذه السنة أفسد المعازبة بالتهائم فساداً شديداً فنزل السلطان من تعز كجاري عادته فلما صار في حيث أَغار إلى بلاد المعازبة ولم يدخل وحط بالعسكر في بلادهم وأمر بقطع نخل المدبي فقطع من أُصوله. وقتل من المغاربة عدة مستكثرة وأَمسك آخرين فلعب الفيل ببعضهم وغرق الباقين في البحر ثم كان آخر أَمرهم أن شيخ عليهم امرأَة منهم يقال لها بنت العاطف وكساها فكانت تركب دابة من الحمر أو ناقة وتقود المعازبة بأَسرهم بعد الفساد الشديد والطغيان العظيم.
وفي هذه السنة توفي الفقيه الإمام الصالح أبو العتيق أبو بكر بن جبريل ابن أوسام العدلي بفتح العين والدال المهملتين. وكان فقيهاً صالحاً حرّاً أديباً تقياً شريف النفس وأهله في بلاد السودان أهل دين وخير وكان تفقهه بجماعة منهم جمال الدين أحمد بن علي العامري شارح التنبيه وموفق الدين علي بن أحمد الصريدح. والإمام أبو الحسن علي بن أحمد الأصبحي صاحب المعين. ولما توفي الإمام أبو الحسن الأصبحي انتقل المذكور إلى تعز ودرس بالأتابكية ثم درس في الشمسية وكان مبارك التدريس وحصل عليه دين كثير فانتقل بسببهِ إلى زبيد. ودرس في المدرسة الصلاحية إلى أن توفي في شهر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.
وفي سنة اثنتين وأربعين سافر السلطان إلى مكة المشرفة يريد حج بيت الله الحرام وسار في ركابه من الجيوش والعساكر ما يزيد على حد الوصف خيلاً ورجلاً فكان تقدمه من تعز المحروسة صبح يوم الخميس السادس من شوال من السنة المذكورة ودخل زبيد يوم الثلاثاء حادي عشر شوال المذكور

في جحفل ستر العيون غباره ... فكأنما تبصرن بالآذان
يرمي بها البلد البعيد مظفر ... كل البعيد لهُ قريب داني

(207/1)

فحط في بستان الراحة المعروف بحائط لبيق. وكان تقدمه من زبيد يوم الجمعة الرابع عشر من شوال وصحبته الشريف الخطير الأمير عز الدين ابن رميثة بن أبي نمى صاحب مكة يسير صحبة ركابه. وكان دخوله المُهْجَم صبح يوم الجمعة الثامن والعشرين من الشهر المذكور. فأقام فيها إلى ثالث ذي القعدة ثم ارتحل منها في التاريخ المذكور فكان دخوله على بن يعقوب يوم الأحد الخامس عشر من ذي القعدة فأقام فيها إلى يوم الثامن عشر ثم ارتحل منها في التاريخ المذكور فكان وصوله وادي يلملم يوم الاثنين سلخ ذي القعدة. فأَمر السلطان بنصب الأحواض فنصبت وملئت ماء وطرح فيها من السويق والسكر ما شاء الله تعالى وسبلها للناس فشرب منها الصغير والكبير وتصدق على الناس بصدقة عظيمة من الدراهم والثياب للإحرام. ووصل يومئذ الشريف رميثة بن أبي نمى وهو

يومئذ صاحب مكة ووصل معه سائر الأشراف وأكابر أهل مكة وحضروا عند السلطان فتصدق على الجميع منهم على قدر مراتبهم. وأعطى الشريف رميثة أربعين ألف درهم من الجدد المجاهدية وأعطاه من الكسوة وأنواع الطيب من المسك والعنبر والعود شيئاً كثيراً وخلع عليه وعلى من معه من الأشراف وأعطاه عدة من الخيل والبغال كوامل العدد والآلات. ثم ارتحل السلطان فأَمسى على بئر علي عليه السلام أول ليلة من ذي الحجة فاصبح يومه هنالك ثم سار فكان وصوله مكة ليلة الأربعاء الثاني من ذي الحجة فدخل مكة عشاءً وطاف طواف القدوم وسعى ودخل البيت المعظم بعد الطواف والسعي فلما خرج من البيت دخل مدرسته المجاهدية. ثم خرج إلى المخيم آخر ليلته فلما اصبح صلى صلاة الصبح ثم دخل مكة فأقام بها في مدرسته نهار الأربعاء الثاني من ذي الحجة المذكور وليلة الخميس ويوم الخميس وهو يشاهد الكعبة المشرفة ومن يطوف بها.

فلما كان يوم الجمعة وصل الركب المصري ومن معه من المغاربة والتكاررة ولما كان بعد صلاة الجمعة طلب أمير الركب المصري فكساه كسوة سنية. ووصل الركب الشامي يوم السبت الخامس من ذي الحجة صحيح أهل الشام من الصفديين والحلبيين وغيرهم وتصدق السلطان على أمير الركب الشامي بكسوة حسنة وذلك في يوم الاثنين السابع من الشهر المذكور وفي يوم الثلاثاء الثامن من الشهر المذكور ركب السلطان في عساكره المنصورة إلى منى وأمسى بها ليلة الأربعاء التاسع من ذي الحجة فلما أصبح سار إلى الموقف الشريف في عساكره

وجنده في تواضع وخشوع ... وتأَدب وخضوع

ونفس لا تميل إلى خسيس ... وعين لا تدار على نظير

وكانت الوقفة المباركة يوم الأربعاء فلما أذن المؤّذن الظهر يوم عرفة صلى بصلاة الإمام وركب نحو الصخرات يتوخى موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل واقفاً بين يدي الله سبحانه وتعالى في تقديس وتهليل وتسبيح وتبجيل إلى آخر النهار. وفي آخر النهار وصل أمير الركب المصري وأمير الركب الشامي وسأَلاه المثول بين يديه بتقبيل كفه الشريف فأذن لهما فوصلا وقبلا كفه الكريمة مراراً وأكثرا من الدعاء له. فلما غربت الشمس سأَلاه أن يأْذن لهما في المسير في خدمته فأَمرهما أن يسيرا في عساكرهما ومحاملهما فقبلا يده وانصرفا وتوقف هو ومن معه من عساكره وخواصه فلم يزل في بكاءٍ وخشوع ودعاءٍ وخضوع والحاضرون يبكون لبكائه ويؤَمنون على دعائه فلما غشيه الليل ستر في عساكره المنصورة إلى الموقف بمزدلفة. ولم يزل بها إلى أن صلى الصبح يوم النحر وأخذ حاجته من الحصى لرمي الجمار ثم سار إلى منى وقد حفت به العساكر وأَحاطت به الفرسان

همام إذا ما هم أمضى همومه ... بأرعن وطء الموت فيه ثقيل

وخيل براها الركض في كل بلدة ... إذا عَرَّست فيها فليس تقيل

ولم يزل سائراً إلى الجمرة الكبرى فرماها هنالك وسار إلى مخيمه وسارت عساكر الشام ومصر بين يديه إلى المخيم فأقام يومه ذلك وهو يوم الخميس العاشر من الشهر فلما كان يوم الجمعة سار إلى مكة المشرفة وطاف بها طواف الزيارة ثم رجع إلى منى فرمي الجمار الثلاث وبات ليلة السبت الثاني عشر في منى فلما أصبح يوم السبت الثاني عشر هرب أمير جاندار من الخدمة وكان قد تنسك وتاب إلى الله تعالى فأقر السلطان في وظيفته الأمير حسام الدين لاجين في التاريخ المذكور. وأقام السلطان في منى يوم الرابع عشر ثم تقدم إلى مكة المشرفة صبح يوم الاثنين وطاف بها طواف الوداع. فلما كان يوم السابع عشر برز السلطان إلى خارج باب النحر وأَشعر على كافة العسكر بالتأهب وسافر آخر يوم الثامن عشر فاصبح على بئر آدم فأقام هنالك يوم السبت التاسع عشر ثم سار في عساكره قليلاً قليلا فكان دخوله حلى ابن يعقوب يوم الأحد الخامس من المحرم فأقام بها إلى يوم الخميس التاسع من الشهر. وفي إقامته بها أمر الأمير صارم الدين داود بن كشد غدي أستاذ دار الباب الشريف. ثم ارتحل السلطان من حلى ابن يعقوب آخر يوم الخميس فكان وصوله إلى حَرَض ليلة الاثنين العشرين من الشهر المذكور. فلما أصبح في حرض يوم الاثنين تصدق بصدقة جليلة على سائر الناس. وأَقام فيها أياماً ثم ارتحل المَحَالِب يوم الجمعة الرابع والعشرين وقد عمل صاحب المحالي طلعات على باب الدار وأقام الفرحة بوصول السلطان فأقام السلطان فيها أياماً ثم ارتحل فدخل المهجم يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من الشهر المذكور. وقد عمل صاحب المهجم طلعات تمشى على العجلات بمن فيها من المغاني وأهل الطرب وفرش من الثياب الحرير عند قدوم السلطان شيئاً كثيراً. وكان خروج عسكر السلطان من المهجم آخر نهار الأربعاء التاسع والعشرين فصبح الكَدْرا يوم الخميس سلخ المحرم وكان خروجه من الكدرا آخر يوم الجمعة فصبح فشَال يوم السبت ثاني يوم في صفر وقد عمل صاحب فشال طلعات ومداريه ومغاني. وفي ذلك اليوم وصل السلطان الملك المؤَيد داود بن السلطان وصحبته الوزير القاضي جمال الدين محمد بن حسان في العساكر المنصورة من الخيل والرجل ما يضيق عنه الفضاء. ثم ارتحل السلطان عن فشال ليلة الأحد فصبح مدينة زبيد يوم الأحد الثالث من صفر في العساكر المنصورة. والجيوش المتكاثرة. وقد أَحدقت الفرسان من كل مكان

تحف أغرّ لا قود عليه ... ولا دية تساق ولا اعتذار

تُريق سيوفه مهج الأعادي ... فكل دم أَراقته جبار

فحط في بستان الراحة المسمى حائط لبيق. وقد عمل أمير زبيد ومشدها وناظرها ومشد الأملاك بها من الطلعات المزينة بالذهب والفضة والمدارية المزخرفة وفرشوا من الثياب شيئاً كثيراً. وفرش الملك المؤَيد بن مولانا السلطان وفرش الوزير القاضي جمال الدين محمد بن حسان. وكان أمير زبيد يومئذ الأمير نجم الدين محمد أحمد الخَرْتَبِرْتي ومشدها وناظرها القاضي شهاب الدين أحمد بن علي بن قبيب ومشد أملاكها الشهاب بن عبد الرحمن أخو الحكيم الزبيدي. وكان ذلك اليوم يوماً عظيماً مشهوداً وأقام في زبيد يوم الأحد ويوم الاثنين. وفي يوم الثلاثاء الخامس من الشهر تقدم السلطان

إلى نخل الأبيض وكان ذلك الوقت استواء النخل فأقام في النخل الثلاثاء والأربعاء في قصره المعروف بالفائق. وأمسى ليلة الخميس السابع من الشهر في قصره بزبيد فأقام فيه إلى يوم الأحد العاشر من الشهر. ثم ارتحل فاصبح يوم الأربعاء في حيس وكان فيها من الطرب والمغاني والطلعات ما يعجب ويطرب فأقام إلى يوم الخميس الرابع عشر من الشهر. ثم ارتحل منها فأمسى في الزراعي وصبح يوم الجمعة في الروض. فلما كان يوم السبت السادس عشر انعم على كافة العسكر بشيءٍ كثير من الذهب والفضة وأعطاهم من الكساوي والخلع على قدر مراتبهم وكان دخوله تعز يوم الأحد السابع عشر من الشهر في بزة حسنة وعسكر جرار من الملوك والوزراءِ والأشراف والأمراء.

من كل ابيض وضاح عمامته ... كأنما اشتملت نوراً على قبس

(209/1)

وخرج في لقائه الملوك والفقهاء واعيان البلد وخرج عامة الناس وخاصتهم فوقف لهم في الجُبيْل وقبلوا كفه الكريمة واكثروا من الدعاء له وهو يؤَمن على دعائهم ويقول كثر الله أمثالكم. فلما انقضى سلام الفقهاءِ وأَتباعهم سار في مواكبه وكتائبه ولم يزل سائراً إلى قصره وبستانه بالجهملية وقد عمل أهل تعز من الطلعات التي تمشى على العجل والمدارية شيئاً كثيراً فأقام في بستان الجهملية إلى صبح يوم الأربعاء العشرين من الشهر المذكور.

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح جمال الدين محمد بن يوسف الصبري وكان قاضي مدينة تعز فتوفي بعرفة يوم عرفة من السنة المذكورة فحمل إلى الأبطح بمكة ودفن قريباً من تربة الفقيه على بن أبي بكر الزيلعي صاحب قربة السلامة. وكان فقيهاً مجوداً عارفاً محققاً اخذ الفقه عن جماعة من العلماء كالفقيه عمر الشعبي وابن العزاف وكان نحويّاً لغويّاً عارفاً بالقراءات السبع والفرائض والجبر والمقابلة درس في المدرسة المعروفة بالغزالية في مدينة تعز ثم انتقل إلى المظفرية. وامتحن بالقضاء في آخر عمره ثم سافر به السلطان إلى مكة المشرفة فتوفى يوم عرفة مبطوناً كما ذكرنا رحمه الله تعالى.

وفي سنة ثلاث وأربعين استقر السلطان في بلاده ولبست البيوت وعملت الفرحات سبعة أيام وأَنفق السلطان على العسكر المنصور نفقة أربعة اشهر. ووقع مطر عظيم عام في يوم التاسع عشر من الشهر المذكور فدفع الوادي زبيد في آخر ذلك اليوم دفعة عظيمة فوصل السيل قربة المُسَلِّب من وادي زبيد بعد صلاة المغرب فاحتمل معظم القرية. وسال في السيل من سكانها نحو من مائة وخمسين نفساً ما بين رجل وامرأَة وصغير وكبير وهلك من البقر والغنم والحمير شيءُ كثير ولم يبق من البيوت المسكونة إلا شيءُ يسير. وافتقر يومئذ كثير من أهلها. وانتقل أهل القرية من موضعهم إلى موضعهم اليوم وهو قبلي القرية القديمة.

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح إبراهيم بن مهنا بن محمد بن مهنا وكان فقيهاً ورعاً ناسكاً وكان مولده سنة تسع وثمانين وستمائة وهو أحد الفقهاء المدرسين على مذهب الإمام أبي حنيفة. واستمر مدرساً في المدرسة الدعاسية بزبيد. وكان ذا مروءة وخلق حسن توفي في أثناء السنة المذكورة وقيل أن وفاته كانت في سنة سبع وأربعين والله اعلم رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه الفاضل أبو محمد عبد الله بن عبد الوهاب وكان فقيهاً فاضلاً تفه بذي السفال على الفقيه صالح بن عمرو على ابن أخيه محمد ابن عبد الرحمن. وولى قضاء صعدة مدة ثم عاد إلى تعز وجعل له رزقاً في جامع المهجم فأقام بها إلى أن توفي في سنة ثلاث وأربعين رحمه الله تعالى.

وفي سنة أربع وأربعين خالف الملك المؤيد على أبيه في شهر رمضان وكان إقطاعه الجثة فاستولى على مدينة المهجم فجرد إليه السلطان العساكر صحبة القاضي موفق الدين ثم جرد الأمير سيف الدين طغي الخراساني في عشر آخر.

وفي هذه السنة حط السلطان في عساكره على جبل شورق وارتفع منه في النصف من المحرم.

وفيها ظهرت عجيبة من العجائب وذلك أن جارية يقال لها غناء من بيت الأمير بدر الدين محمد بن الفخر وضعت ولد أربعة اشهر وجهه وجه جدي وله قرنان وأربع عيون عينان من قدام وعينان من خلف وآذانه في راس الكتفين في كل كتف أذان وأنفه أعوج وله سن وناب ولسان ابن آدم متلسن أعني مخرج وشعره بين الجنبين وله أربع أرجل في كل رجل أربع أصابع وكوع حمار وله عجز مشقوق وله من قدام فرج ذكر ومن خلفه فرج أُنثى فسبحان الخلاق العليم الفعال لما يريد. وكان ولادته يوم الأحد سلخ شهر رجب من السنة المذكورة والله أعلم.

وفيها توفي الفقيه الصالح أبو العتيق أبو بكر بن أحمد بن عمران المنبهي السهلي وكان فقيهاً ورعاً صالحاً فاضلاً مولده ثامن ذي القعدة من سنة ثلاث وثمانين وستمائة. وكان تفقه بالفقيه صالح بن عمر ثم ارتحل إلى جباء وتفقه بالفقيه عثمان وكان يحفظ كتاب التنبيه لأبي اسحق ومنهاج النواوي غيباً وكان له في الفرائض يد طولى. وكان له في الفقه معرفة تامة وصلاحه مشهور وكان سليم القلب عن الأحقاد الطارئة وتوفي في السنة المذكورة.

ويروى أنه لما توفي وقبر توفي بعده أحد أولاده فقبر إلى جنبه وقد افتتح قبره فالتمسوه في القبر فلم يجدوه فيه أعاد الله علينا من بركاته في الدنيا والآخرة.

وفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة أصلح الملك المؤيد ورجع إلى طاعة أبيه وضمن له القاضي شمي الدين يوسف بن الصاحب والأمير سيف الدين طغى الخراساني الرضا من أبيه فوصل إلى آخر المحرم أول الشهر من السنة المذكورة. فلما وصل مدينة تعز ودخل على أبيه عاتبه على ما

فعل وضربه وحبسه فمات بعد ذلك بأيام قلائل رحمه الله. وكان سبب خلافه استكثاراً من أبيه حين قدَّم عليه أخاه المظفر وكان المظفر الصغير والمؤَيد الكبير فانف من ذلك هذا سبب خلافه. وفي شهر رمضان من السنة المذكورة أخذ السلطان كيكة من جبل السورق.

وفيها توفي الفقيه الفاضل أبو محمد القاسم بن عبد الرحمن المؤمن بن عبد الله بن راشد وكان فقيهاً فاضلاً نحوياً لغوياً قرأَ النحو قراءة متقنة في صنعاء واقرأَه فيها مدة ثم ارتحل إلى تعز ودرس النحو في المدرسة المؤَيدية. وأَخذ المهذب قراءة عن ابن جبريل. وكان أيضاً معيداً في المؤَيدية. ودرس في مدينة ذي هُزَيْم ثم عاد إلى صنعاء وأقام فيها مدة يسيرة ثم عاد إلى تعز فتوفي فيها في أثناء السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفي سنة ست وأربعين تسلم السلطان جبل السورق جمعيه وذلك في الثاني والعشرين من ربيع الأول من السنة المذكورة.

وفي ذي القعدة منها تقدم السلطان إلى عدن فأقام فيها أياماً وتفرج موسمها.

وفيها توفي الأمير أسد الدين محمد بن الملك الواثق إبراهيم بن يوسف ابن عمر بن علي بن رسول وكان عاقلاً شهماً فارساً مقداماً سقط عليه الدار الذي سكنه في عدن رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه الفاضل أبو الحسن محمد بن أحمد بن سالم بن عمران ابن أحمد بن عبد الله بن جبران المنبهي السهلي وكان فقيهاً ذكيّاً عارفاً ولد سنة تسع وتسعين وستمائة. وتفقه بالفقيه صالح بن عمر البريهي. وكان أحد المعدودين المشار إليهم بجودة الفقه في ناحية السحول وكان حسن التدريس موفقاً في الفتوى وتوفي في السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

(211/1)

وفي سنة سبع وأربعين رجع السلطان من عدن إلى زبيد وتفرج في زبيد على السبوت ونزل النخل فأقام فيه أياماً ثم سار إلى البحر كجاري عادته. فكانت قصة الملك الفائز قطب الدين أبي بكر بن حسن بن داود بن يوسف ابن عمر بن علي بن رسول. وذلك أن المماليك الغرباء لما تأَخرت نفقاتهم اجتمعوا واتفقوا على لزم السلطان في البحر لأنه هنالك فير غير حرز منيع وافق رأُيهم على سلطنة الملك الفائز أبي بكر بن حسن بن داود. فوصل إليه جماعة من أكابرهم ليلاً وعرفوه صورة الأمر فقال لا أوافقكم على شيء من هذا ولا أصحبكم في شيء منه قالوا فأنا نسعى في الأمر حتى نتمه فإذا تم الأمر فما حجتك. قال ما أظن هذا يتم وان تمَّ فلا إكراه فخرجوا من عنده واتفقوا على انهم يقصدون السلطان إلى البحر ويظهرون أنهم مطالبون بالنفقة. وافترقوا على هذا الرأي فلما عزموا على الخروج تقدم واحد منهم. وأخبر السلطان بالأمر وقال هؤُلاءِ هم بعدي فركب السلطان للفور وسار يريد النخل في طريق غير الطريق المعروفة. وأرسل نفرين من الجماعة أن يسيروا في الطريق المعتادة لينظروا من في الطريق منهم فلما وصل قصره المشيد في السوجين واجهه النفران اللذان

أرسلهما. فاستخبرهما عمن وجدا في الطريق. فاخبراه انهما لقيا الغرباءَ قاطبة على دوابهم. فأرسل السلطان حينئذ إلى الأمير سيف الدين الخراساني والطواشي نظام الدين حصين وقيل بارع في عبيد السلاح وغلمان البغلة وقال تقدموا إلى قطب الدين وجيئوا به طوعاً وكرهاً وانظروا هيئته فتقدموا بأجمعهم إليه. فلما وصلوا موضعه دخل عليه الطواشي والأمير وقد أحاط العسكر بالموضع فوجدوا دوابه كلها مشدودة فقالا بسم الله يا مولانا قم طلبك عمك إلى مقامه الشريف فلم يجد بدّاً من ذلك فقربا له بغلة فركبها وساروا بأجمعهم إلى السوجين. فلما وصلوا به اشرف عليه السلطان وعاتبه ووبخه وأمر بقيده والتقدم به إلى تعز فقيدوه للفور وخرجوا به في ليلتهم فلما وصلوا به إلى تعز لم تطل مدته بل توفي عن قريب. وكان قبضه ليلة الثلاثاء السابع عشر من ربع الآخر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى. وفي آخر الشهر طلع السلطان إلى تعز وأتلف جماعة من الغرباء قتلاً وشنقاً وتغريقاً.

وفي هذه السنة توفي الفقيه الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحضرمي وكان أوحد أهل زمانه فقهاً ونسكاً وهو أكبر فقهاء زبيد في عصره لا يختلف في ذلك اثنان. وكان مولده في سنة ثلاث وستين وستمائة وكان تفقه بابيه ثم بعلي بن إبراهيم البجلي وبابن ثمامة. وبأحمد بن سليمان الحكمي ثم ارتحل إلى ناحية المهجم فأقام في بيت ابن أبي الخل وأخذ عن أحمد بن أبي الحسين وانتهت إليه رياسة الفتوى في زبيد ونواحيها وكانت وفاته ليلة الجمعة غرة شهر رمضان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الشيخ الصالح العارف بالله محمد بن عمر بن موسى النهاري المشهور صاحب الكرامات المشهورة والمقامات المذكورة وكان أوحد أهل زمانه علماً وعملاً واجمع الناس على صلاحه وزهده وقلما وصله زائر إلا خاطبه باسمه واسم أبيه واسم بلاده وأين مسكنه منها.

ومن كلامه رحمه الله تعالى الدنيا مدينتي وجبل قاف حصني ومحضري من الفرش إلى العرش والدليل على ذلك أنى آتى الناس بأسمائهم وأسماء آبائهم وما احتووه في قلوبهم وأين مساكنهم ومن صحبني وصحبته أَمن من الفزع الأكبر وأنا فقير لا زرع ولا بقر الماء والمحراب والرزق على الوهاب. اللهم خلصنا من المدر وصفنا من الكدر وأنت عنا راض غير غضبان يا ملك يا ديان. اللهم هذه الأيادي واصلة متصلة بحبلك المتين الذي لا ينقطع. وحصنك المنيع الذي لا ينظلع. واجعل هذه الصحبة والاخوة في مقعد صدق عند مليك مقتدر. اللهم من كادنا فكده ومن تعدى علينا فأهلكه واحمنا بحمايتك لا حامي ولا ضائر لنا سواك بذرنا حبيبات وعليك النبات بيت بيت. وكان يقول وحق الحق ومن له الحق ومن سمى نفسه الحق صاحب الحوض وعدني بحوض أشرب منه وأَسقي من أحب ونحن بين الروضة والمنبر وكان وفاته يوم الخميس سابع المحرم أول شهور السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفي سنة ثمان وأربعين وسبعمائة خالف أهل الشوافي وكان أول خلافهم في شهر صفر من السنة المذكورة فجمع السلطان عساكره من كل ناحية ومكان وسار إليهم بنفسه في جنود لا قبل لهم بها

ووجه البحر يعرف من بعيد ... إذا يسجو فكيف إذا يموج

وكان خروجه إليهم في آخر شهر ضفر من السنة المذكورة واستولى على الجبل وأهله يوم السادس من شهر ربيع الأول. ولما ظفر بهم قتل منهم طائفة بالسيف وغرق طائفة في البحر وكحل طائفة أخرى وأذلهم ذلاًّ شديداً ونزل السلطان إلى زبيد فأقام فيها أياماً وصام شهر رمضان في المدينة وعيّد عيد الفطر بها. ثم توجه إلى عدن في شوال أو في ذي القعدة من السنة المذكورة.

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن عمر بن أبي بكر بن إسماعيل الريهي وكان فقيهاً مجتهداً عالماً ورعاً نقالاً للفقه إليه انتهت رياسة الفتوى والفقه في الجند ونواحيها تفقه بعمه صالح بن عمر واخذ وسيط الغزالي عن الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الأصبحي واخذ عنه المعين ودرس بالمدرسة التي أنشأها خادم الدار النجمي سنة ثمان وعشرين وستمائة. وولي التدريس في المدرسة المؤيدية ثم عاد إلى بلده واختصر شرح صحيح مسلم. وله فتاوى جمعها بعض أصحابه وكان مشاركاً في كثير من فنون العلم وكانت وفاته في أثناء السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة رجع السلطان من عدن إلى زبيد فأقام فيها أياماً وتفرج في النخل كجاري عادته ثم سار إلى البحر فأقام هنالك أياماً ثم طلع تعز.

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل جمال الدين محمد بن منبر الزيلعي وكان أحد فقهاء المحدثين بزبيد وكان فصيحاً صبيحاً له خط حسن مشهور توفي يوم السادس عشر من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الأمير الكبير شهاب الدين أحمد بن علي بن إسماعيل الحلبي النقاش وكان ذا همة عالية ورتبة سامية وكان وجيهاً عند السلطان وأَقطعه إقطاعاً حسناً يقوم بكلفته في السنة كلها وكان ناسكاً له عبادة ونقشف توفي ليلة الاثنين السادس من ذي القعدة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى وقيل كانت وفاته في سنة خمسين وسبعمائة.

وفي سنة خمسين وسبعمائة قتل الشيخ عكم بن وهبان صاحب أبيات حسين وكان قد كثر منه الفساد والخروج عن الطاعة وفعل أفعالاً قبيحة في تجار بيت حسين وغيرهم. وكان يقتل وينهب في البلاد وهو مقيم في القرية فتغافل عنه السلطان مدة لا يذكره ولا يذكر عنده فلما كانت هذه السنة المذكورة نزل القاضي صفي الدين أحمد بن محمد بن عمار لجباية أموال الجهات الشامية. فلما وصل المهجم وقد أَوصاه السلطان في حديثه تزوج امرأَة من بنات عمه وأحسن إليهم إحساناً كثيراً وأنسوا به وأقام في المهجم أياماً ثم سار إلى بيت حسين فأقام فيها أياماً فسألوه أن يستذم له من السلطان فقال لا تفعلوا فإن السلطان قد نسيه فلا تذكروه به. قالوا فإنه يجب أن يدخل إليك قال إذا قد عزمنا على السفر إلى المهجم وأما الساعة فلا فاظهر لهم أنه لا يريد دخوله إليه. فلما عزم على

الرجوع قال لا يأتيني إلا ساعة الركوب وكان عزمه بعد صلاة المغرب فرتب جماعة من الغز عنده فلما استأذنوا له أذن فدخل فأخذوا سلاحه فلما تجرد عن سلاحه وقعوا به فقتلوه. وقتلوا معه رجلاً آخر من بني عمه. واحتزوا رؤوسهما. وركب وركب العسكر معه وخرجوا بالرأسين معهم. وسار إلى المهجم. وكان قتله ليلة الأحد الثالث عشر من ذي الحجة من السنة المذكورة.

وفيها توفي الفقيه الفاضل شهاب الدين أحمد بن مليح النحوي وكان فقيهاً ظريفاً نحوياً لغوياً وكان نادرة الزمان لطافة وظرافة لين الجانب دمث الأخلاق حسن المعاشرة وامتحن في آخر عمره بالعمى وكان وفاته في النصف الأخير من ذي القعدة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

(213/1)

وفي سنة إحدى وخمسين عزم السلطان على الحج فتجهز وتوجه إلى مكة المشرفة وكان تقدمة من تعز يوم الرابع والعشرين من شوال وترك الأمير شمس الدين بن القاهري والياً في الحصن والطواشي أمير الدين أهيف معه في الحصن مقدماً وشداده. وترك القاضي موفق الدين عبد الله ابن على اليحيوي شداده في تعز. وكان يومئذ وزيراً وقاضي قضاة وترك القاضي جمال الدين بارع في حصن أرباب في عسكر جيد من الخيل والرجل وأعطاه مالاً على حفظ تلك الناحية الشرقية وجعل في حصن تعز من أولاده المظفر والصالح. ومن الأولاد الصغار يومئذ الظافر والأفضل والناصر والمنصور والمسعود. وتقدم بالعادل معه إلى مكة المشرفة مع جدته جهة صلاح. فلما تقدم قاصداً ما ذكرنا تقدم القاضي موفق الدين إلى جبلة يوم الأحد الثاني من ذي الحجة لأمر أوجب ذلك فأقام فيها.

ولما دخل السلطان مكة المشرفة دخل معه الشريف بقية بن رميثة وكان أخوه عجلان قد طرده عن مكة فلاذ بالسلطان وسافر معه فلما صار في مكة نقل إلى الشريف عجلان أن السلطان يريد يولي أخاه البلاد ويترك معه عسكراً من اليمن وأنه يريد يلزمك ويسير بك صحبته إلى اليمن فوقع الكلام في قلبه. فدخل على أمير ركب مصر وقال أن صاحب اليمن يريد أن يقف في مكة بقد تقدمكم وينزع كسوة البيت ويسكوه بكسوة قد جاء بها معه من اليمن. ويريد أن يولي في مكة والياً من جهته ويترك معه عسكراً ويغير أوضاعكم ولا يترك لكم في مكة أمراً ومن المصلحة أن لا تفوت. وإن لم تفعلوا تقدمت معكم وتركت مكة وبرئت من العهدة. فوقع هذا الكلام في قلوبهم. فاتفق رأْيهم على الإقدام عليه. فلما كان يوم الثاني عشر ركبوا بأجمعهم وانتهبوا المحطة على حين غفلة وأحاطوا بمخيم السلطان وهو في جماعة قليلة فرأى السلطان أنه أن قاتل قتل هو ومن معه لقلتهم وكثرة العدو فبرز إليهم وسأَلهم أن لا يعترضوا أحداً من الناس ففعلوا وساروا بين يديه إلى محطتهم مرجلين وهو على بغلة على ما يجب من التبجيل والتعظيم وضربوا له خاماً خاصّاً فأنزلوه وسأَلوه أن يصطحب من غلمانه من شاء فاختار الأمير فخر الدين زياد بن أحمد الكاملي وتوجه معهم إلى

الديار المصرية.
وسارت الأدر الكرام جهة صَلاح إلى مكة وسار معها الطواشي صفي الدين جوهر الرضواني وسائر غلمان السلطان فلما دخلوا مكة أقاموا فيها واسترجعوا شيئاً كثيراً من الخيل والبغال والحمير والجمال والآلات ثم ساروا متوجهين إلى اليمن فيمن معهم من المقدمين كالقاضي جمال الدين محمد بن حسان والقاضي فتح الدين عمر بن الخطباء والقاضي صفي الدين أحمد بن عمار وسائر المعسكر.
وفي هذه السنة توفي الفقيه البارع أبو الحسن علي بن نوح الأبوي بضم الهمزة وفتح الباء وكسر الواو نسبى إلى أبي بن كعب الأنصاري الصحابي. وكان فقيهاً فاضلاً بارعاً حنفي المذهب نقالاً للحديث حافظاً لمعانيه. وكان ينقل الهداية عن ظهر الغيب واصل بلاده بلاد السودان مما وراء البحر. وكان أول وقوفه في قرية السلامة عند الفقيه أبي بكر الزيلعي المذكور أولاً ثم دخل زبيد فاستمر مدرساً في المنصورية الحنفية في زبيد. فأخذ عليه جمع كثير وكان مشهوراً بالفقه والصلاح وكان وفاته في أثناء السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

(214/1)

وفي سنة اثنتين وخمسين وصل الحاج عمر بن زريزر ثاني يوم من المحرم. وكان ابن زريزر هذا رجلاً من أهل قرية التُّربة بوادي زبيد. وكان يحج كل سنة ولا يتقدمه أحد في الرجوع إلى اليمن بعد انقضاء الحج البتة البتة فيصل بأخبار الموسم وخبر من حج في تلك السنة من الملوك والأمراء وغيرهم ووصل في صحبته في هذه السنة بأوراق من مكة فضربت الطبلخانة ثلاثة أيام. ثم شاع الخبر بما تضمنته الأوراق. وفي ذلك اليوم وصل القاضي موفق الدين من جبلة إلى تعز ولما اتصل العلم بالطواشي جمال الدين بارع وعلم بنزول الوزير من جبلة نزل من أرباب ووقع في نفسه أن السلطان لا يرجع اليمن أبداً وأنه ربما اتفق الأمر على قيام واحد من أولاد السلطان فيكون هو صاحب الباب. فلما صار في الجند هو وكافة العسكر الذي معه كتب إليه الطواشي أمين الدين أهيف كتاباً يقول فيه عرفني ما سبب نزولك من عهدتك وما مرادك بهذا العسكر الذي جمعته من كل مكان فلم يجد عذراً يقيمه. فكتب جواباً يقول فيه ما وصلت إلا بأمر الوزير كتب لي أن أصل بعسكر الجبل جميعه فوصلت بهم فان تأْمرني بالوصول وصلت. وإن تأْمرني بالرجوع رجعت. ولم يكن الوزير كتب إليه في شيء من هذا فلما وقف الطواشي أهيف على كتابه طلب القاضي موفق الدين إلى الحصن فطلع وطلع القاضي عفيف الدين عبد الأكبر والفقيه تقي الدين عمر بن عبيد علي فقبض الطواشي أهيف على الوزير ورسم عليه وحبسه عنده في الحصن. ثم قبض الأمير شمس الدين يوسف بن القاهري أمير الحصن وكاتبه ونقيبه. وكان ذلك يوم السبت الحادي والعشرين من اشهر المذكور. فلما علم الطواشي بارع يقبض الوزير وأمير الحصن سرى ليلاً من الجند فأصبح في المدرسة المجاهدية في تعز متحيراً فأمر الطواشي أهيف من لزمه من المدرسة المجاهدية فلزم

واطلع حصن تعز يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من الشهر. ثم قابل بينه وبين الوزير فقال الوزير للطواشي بارع أن كنت كتبت إليك كما تقول فأوقفني على كتابي إليك فقال الطواشي وأين أجد كتابك الساعة وقد اخذ جميع ما كان معي فأمر بهما فقيدا وباتا في الحصن وأمر في ليلته تلك الأمير شمس الدين يوسف بن القاهري وبالنقيب والكاتب فاصبحوا مطروحين في الجند يوم الخامس والعشرين من الشهر.

ولما كانت ليلة السبت الثامن والعشرين أمر الطواشي أهيف بشنق الوزير والطواشي بارع فلما أصبح أمر بهما فقبرا في المقبرة بتعز. وفي يوم الأربعاء الثاني من شهر صفر أمر الطواشي أمين الدين أهيف على الشيخ رضي الدين أبي بكر بن حسن بن الفضل أن يكون نائب القاضي فتح الدين في الوزارة وفي يوم الثالث من صفر أمر القاضي عفيف الدين عبد الأكبر في قضاء الأقضية. ولما خرج عسكر السلطان من مكة كما ذكرنا وتوجهوا نحو اليمن ساروا على هيئتهم. فلما وصلوا حرض وكان فيها الأمير نور الدين بن ميكائيل فأمرت موالينا الآدر الكرام جهة صلاح على القاضي جمال الدين محمد بن حسان أن يقف فيها لما يعلمون من سكينته وحسن تدبيره. ثم سارت في بقية العسكر حتى دخلت في مدينة زبيد. فأقامت فيها أياماً ثم سارت إلى تعز فيمن معها من العسكر فوصلتها ليلة الأربعاء السادس عشر من شهر صفر. فوقفت في المحلية وبرز أمرهم العالي بأَن يضرب الطبلخانة نوبة جليل ولم تك تضرب قبل ذلك ووصل معهم القاضي فتح الدين والقاضي صفي الدين أحمد بن محمد بن عمار والطواشي نظام الدين خضير. وكتبت إلى الطواشي أهيف أن يرسل إليها بالملك المظفر والملك الصالح ليسلما إليها فنزلوا وسلموا إليها ووقفوا عندها في المحلية. فلما صاروا عندها طلعت الحصن وطلبت الطواشي أهيف فاستخلفته وتوثقت منه وأمرته أن يطلب الأولاد من المحلية فطلبهم فطلعوا يوم الخميس السابع عشر من صفر.

وفي يوم الرابع والعشرين من الشهر المذكور وصل رجل يسمى الجمري بأوراق من السلطان كتبها له من المدينة فضربت الطبلخانة لأجل ذلك.

(215/1)

وفي يوم السادس عشر من شهر ربيع الأول وصل الفضل بن الحرازي براس ابن قمار صاحب بعدان إلى مدينة تعز فكسى كسوة وأعطى مالا يستغني به. وفي يوم الخامس والعشرين من الشهر المذكور وصل القاضي جمال الدين محمد بن علي الفارقي بابتداءات من السلطان كتبت له من مصر وضربت الطبلخانة لأجل ذلك ثلاثة أيام. وفي يوم السادس عشر من شهر ربيع الآخر وصل الحاج مفتاحِ الشداد بابتداءات من السلطان فضربت الطبلخانة لأجل ذلك سبعة أيام وفي يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر وصل العلم أن السلطان خرج من مصر متوجهاً إلى اليمن فلما سار أياماً أمر صاحب مصر برجوعه إلى مصر.

وفي هذه السنة حصل في اليمن موت عظيم فتوفي في يوم الخميس غرة جمادى الأولى سبعون إنساناً في مدينة تعز. وفي غرة جمادى الآخرة وصل الشريف سليمان بن الهادي صاحب صعدة فأقام في تعز أياماً ومرض فتوفي في يوم الخميس الخامس والعشرين من رجب. وفي آخر شهر رمضان قبض الأشعوب حصن سامع وقتلوا من الرتبة خمسة عشر رجلاً. وخالف أهل بعدان وكان أول خلافهم من أبٍّ. وفي يوم الخامس من شوال نهب الأشعوب جباء. وفي يوم السابع من شوال قتل عباس بن جسمر قتله بنو عمه. وفي عشر من الشهر المذكور خرج العسكر المنصور لقتال الأشعوب وفيهم القاضي صفي الدين أحمد بن محمد بن عمار وأحد بني زياد والأمير الحسام ابن عبد الغني فأخذوهم قهراً بالسيف ورجعوا إلى تعز ظافرين. وكان رجوعهم يوم السابع والعشرين من الشهر المذكور.

وفي التاريخ المذكور وصل رجل يقال له العشيري وشيخ يقال له الجمري بأوراق من الطواشي صفي الدين جوهر الرضواني من مكة وأخبروا بوصول السلطان وأنه قد صار في أثناء الطريق فضربت الطبلخانة سبعة أيام وعملت فرحة عظيمة وبرز أمر موالينا الآدر الكرام جهة صلاح بتجهيز العساكر للقاءِ السلطان. فلما كان يوم الأربعاء الثالث عشر من ذي القعدة وصل من السلطان بابتداءات شريفةٍ من سواكن فضربوا لأجله الطبلخانة ثلاثة أيام. وبرز العسكر للقاءِ السلطان يوم الرابع عشر من ذي القعدة وتقدمت الطبلخانة صحبة العسكر بأعلام جدد وخلعات جدد وبزة حسنة وآلة كاملة قد هيئت لوصوله. وتقدم الأمير بهاء الدين السنبلي إلى المخلاف آخر ذلك اليوم. ولما دخل العسكر زبيد أقاموا فيها يومين أو ثلاثة ثم توجهوا نحو الجهات الشامية.

وكان خروج السلطان من البحر إلى ساحل الحادث يوم الاثنين السادس من ذي الحجة فسار إلى المهجم وعيَّد فيها عيد الأضحى من السنة المذكورة. وفي ليلة الجمعة السادس عشر من ذي الحجة وصل رسول من مولانا السلطان إلى موالينا جهة صلاح فنزلت من حصن تعز يوم الثامن عشر إلى المحلة وتقدمت حينئذٍ ليلة التاسع عشر من الشهر المذكور. ونزل صحبتهم بقية العسكر وأولاد الملوك. فكان دخولهم زبيد يوم الحادي والعشرين من الشهر المذكور. وتقدم السلطان من المهجم الزبيد في عساكره المنصورة

حتى إذا عقدت فيها القباب له ... أهلَّ لله باديه وحاضره

وجددت فرحاً لا الغم يطرده ... ولا الصبابة في قلب تجاورهُ

وكان دخوله بستان الراحة من زبيد يوم الأربعاء الثامن والعشرين من ذي الحجة. وقد عملت الفرحات والطلعات وزينت المدينة وفرح الناس بوصوله فرحاً عظيماً فأقام في محروسة زبيد أياماً.

وفي هذه السنة توفي الفقيه الإمام الحافظ أبو اسحق إبراهيم بن عمر ابن علي بن محمد العلوي. وكان فقيهاً نبيهاً حنفي المذهب عارفاً محققاً واليهِ انتهت الرياسة في علم الحديث باليمن. وكان أخذه عن كبار العلماءِ كابي العباس بن أحمج بن أبي الخير الشماخي وإبراهيم بن محمد الطبري والحجار وغيرهم. وعنهُ أخذ فقهاء العصر واليهِ كانت الرحلة من الآفاق وحضر مجلسه جلة العلماء وكان

جامعاً بين فضيلتي العلم والعمل. وكان متواضعاً سهل الأخلاق كثير البشاشة مسموع القول له قبول عظيم عند الخاص والعام درَّس في مدرسة أم السلطان بزبيد وهي المعروفة بالصلاحية. وكان ميلاده سنة ثلاث وتسعين وستمائة وتوفي وقت صلاة العشاءِ من ليلة السبت العشرين من ذي الحجة من السنة المذكورة.

(216/1)

وفيها توفي الفقيه الصالح المشهور أبو بكر بن أحمد دعسين القرشي وكان فقيهاً بارعاً متفنناً زاهداً ورعاً باذلاً نفسه لطلبة العلم تفقه به كثير من الناس من أهل الجبال والتهائم. وكان مشهوراً بالعلم والصلاح والتواضع يسعى من موضع إلى موضع في ثوب واحد إذا لم يجد لحافاً ولم يشتغل بكسب شيءٍ من الدنيا. وكان وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه أبو الحسن علي بن محمد بن يوسف الصبري. وكان فقيهاً بارعاً ذكيّاً تفقه بالفقيه عمر بن سعيد التعزي وبالفقيه عمر بن أبي بكر العرَّاف. وكان عمره عشرين سنة حفظ القرآن العزيز ونقل التنبيه والمنهاج غيباً وأخذ من النحو واللغة ما أعجز أمثاله ودرَّس في المدرسة السابقة بالحميرا. وكان ميلاده في التاسع عشر من صفر سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة رحمه الله تعالى.

وفي سنة ثلاث وخمسين أقطع السلطان ولده المظفرِ فشال وأقطع الصالح الكدراء وأمرهما بالتقدُّم إلى إقطاعهما فتقدما. ولذلك في أول شهر المحرم. ثم تقدم السلطان من زبيد إلى تعز فكان دخوله يوم العاشر من المحرم. فلما استقر في بلاده شفعت إليه والدته جهة صلاح في إطلاق المسجونين من الملوك فأطلقهم جميعاً وكانوا ثلاثة نفر. شمس الدين محمد بن الملك المنصور أيوب بن يوسف بن عمر وزين الإسلام أحمد بن محمد الناصر ابن الملك الأشرف عمر بن يوسف بن عمر. والثالث المفضل شمس الدين يوسف بن حسن بن داود بن يوسف بن عمر. وأطلق أيضاً معهم الشيخ عمر بن حسين الزميلي. وكان مسجوناً أيضاً ثم أمرهم بسكنى قرية السَّلامة فسكنوها إلى أن توفوا إلى رحمة الله تعالى. وأقام السلطان في تعز إلى شهر جمادى الأولى. ثم نزل فأقام فيها بقية جمادى الأولى وشيئاً من جمادى الآخرة. ثم تقدَّم إلى تعز وتقدَّم معه والداه الصالح والمظفر. فلما استقر في تعز جهز عسكراً لأهل بعدان. فكان القاضي صفي الدين أحمد ابن محمد بن عمار في محطة ومعه قطعة من العسكر. وكان القاضي فتح الدين في محطة ومعهُ قطعة من العسكر. وكان الطواشي أمين الدين أهيف في قطعة من العسكر من محطة ثالثة وشرعوا في بيعة في الجبل فلم يتفق لهم ذلك فأقاموا إلى شهر شعبان ونزلوا. وفي شهر شعبان الكريم أرسل السلطان بهدية جليلة وسار فيها ولده الناصر أحمد وسار معه القاضي فتح الدين عمر بن محمد بن الخطباء. والأمير شمس الدين علي بن حاتم والطواشي نظام الدين حضير فتقدموا جميعاً إلى الديار المصرية. فتوفي الطواشي في عيذاب وقبر هنالك ولما وصل خبر وفاته بادر السلطان بإرسال الطواشي صفي الدين

جوهر الرضواني فتقدم مسرعاً فلم يدركهم إلا وقد دخلوا مصر.
وفي هذه السنة توفي الفقيه الأوحد أبو الحسن علي بن الفقيه أحمد بن علي بن الجنيد وكان فقيهاً ماهراً نحويّاً لغويّاً بارعاً في علم الطب تفقه بجماعة من فقهاء تعز وأخذ عن ابن الأديب وعن ابن الأحمر ودرس في المدرسة الأسدية بتعز. وكان حسن الأخلاق كريم الطبع شريف النفس عالي الهمة وكان يقول شعراً حسناً على طريقة الفقهاء ثم انتقل إلى مدينة زبيد فسكنها واستوطنها واستمر بعيداً في مدرسة أم السلطان المعروفة بالصلاحية في زبيد. وولي القضاء الأكبر إلى أن توفي في أثناء السنة المذكورة رحمه الله تعالى.
وفيها توفي الفقيه الماهر أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عمر بن سلمة الحبشي الوصابي وكان مولده عاشر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة فنشأ نشوءاً صالحاً وختم القرآن في اقرب مدة وتفقه على والده. وكان ذا فهم وفطنة محباً في جميع العلوم ملازماً للقراءة زاهداً عابداً كارهاً للدنيا رافضاً لها إلى أن توفي في السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

(217/1)

وفي سنة أربع وخمسين وسبعمائة برزامر السلطان يقبض المشايخ بني زياد ومصادرتهم على يد الأمير بهاء الدين بهادر المجاهدي وكانوا ثلاثة نفر أحدهم مقطع لحج وأبين. والثاني ناظر الجهات الجملئية يحكم من المفاليس إلى المعافر. والثالث كان ناظر الجباية والتغزية يحكم إلى حد بطحوات وأكثر عليهم الكلام وحسدوا وأُغرى السلطان بهم وكان لهم فضل ومروءة ومكارم أخلاق. وكان الناس يقولون هم برامكة الوقت لفضلهم وجودهم واستيلائهم على معظم مملكة اليمن. فنقل إلى السلطان عنهم ما غيَّر باطنه وظاهره فأوقع بهم وصودروا مصادرة قبيحة حتى هلكوا في المصادرة جميعاً في مدينة الجوه ودفنوا فيها فقبورهم هنالك والله أعلم رحمهم الله تعالى.
وفي شهر صفر من السنة المذكورة انفصل الملك المظفر من إقطاعه بفشال واستمر فيها الأمير شجاع الدين عمر بن العماد فكانت ولايته سبباً لخراب التهائم وذلك أنه لما تولى في الجهة المذكورة كانت ولايته على يد القاضي شهاب الدين أحمد بن قبيب وكان القاضي شهاب الدين أحمد بن قبيب المذكور ببعض الأشاعر ويتابعهم متابعة شديدة لميلهم إلى القاضي جمال الدين محمد ابن إحسان الوزير وكان القاضي شهاب الدين أيضاً غساني النسب فلم تعطفه عاطفة فأَخذ ابن العماد أَخذاً شديداً لمتابعتهم ولاسيما الشيخ أحمد بن عمر بن عبد الله الاشعري. فلما دخل ابن العماد فشال. وكان دخوله في جمادى الأُولى طلب الشيخ أحمد بن عمر وقال له أريد منك خمسة آلاف دينار. فقال بأي حجة فقال مالك طريق إلا على تسليمها طوعاً وكرهاً فخرج الشيخ من عنده. وتقدم إلى قرية المخيريف ولم يأْته بعدها فكتب إليه يطلبه فاعتذر عن الوصول ثم طلبه مرة أُخرى فاعتذر وقال لا ادخل فشال أبداً. فكتب ابن العماد إلى القاضي شهاب الدين يعلمه بامتناعه عليه فكتب

القاضي شهاب الدين إلى السلطان يسأله أن يكون الأمير حسام الدين لاجين مقدماً في فشال فأُجيب إلى ذلك. فنزل الأمير الحسام لاجين إلى فشال. فركب ابن العماد إلى المخيريف لجباية الأموال بها. وكان خروجه إلى المخيريف يوم الثالث عشر من ذي القعدة. فلما وصل المخيريف دخل في عسكر جيد من الخيل والرجل فطلب الشيخ أحمد بن عمر فوصل إليه في جماعة من أهله وعبيده. فلما دخل عليه هد عليه وأسمعه من الكلام ما لا يحسن فخرج الشيخ وهو في أشد ما يكون من الغيظ. فلما جن الليل عول على رجل من أهل البلد أن يدخل على الأمير ويصلح بينه وبينه بما يرى فيه المصلحة فتقدم ذلك الرجل إلى الأمير وحادثه ساعة ثم شرع في حديثه فلم يتفق له معه أمر بل وجده على أخبث نية فيه. وكان آخر كلامه والله ما لي طريق إلا على أخذ رأْسه ولا أخرج من المخيريف إلا به. فخرج ذلك الرجل إلى عند الشيخ أحمد بن عمر وأَخبره بجميع ما سمع من الأمير فقال له الشيخ جزيت خيراً. فلما أصبح الشيخ ركب حصانه وطلب ابنه علي بن أحمد وكان ابنه فارساً فتاكاً فأوصاه بالأمير وخرج على حصانهِ لبعض الأمور فطلب ابنه نفرين من بني عمه وعبداً من عبيد أبيه ودخلوا على الأمير من غير إذن فوقعوا عليه. وكان عنده أحد غلمانه فلما نظرهم الغلام أخذ شيئاً من سلاحه وقصدهم فانفرد له واحد منهم فتضاربا حتى وقعا على الأرض قتيلين ومضت الجماعة على الأمير فقتلوه موضعه فتشعشع العسكر فقالوا لهم كلكم في الأمان والضمان فخرجوا ولم يتعرض لهم أحد وكان قتله يوم الرابع عشر من القعدة من السنة المذكورة فاستمر القاضي عفيف الدين عثمان بن سليمان بن طلحة الدوري فوصل وقرر أحوال الناس.

وفي هذه السنة نزل السلطان إلى زبيد في آخر شهر ربيع الأول فأقام فيها أياماً.

وتوفي القاضي صفي الدين أحمد بن محمد بن عمار المعروف بالنشو وكان وفاته ليلة السبت الثالث عشر من شهر ربيع الآخر وقبر عند قبر الأمير بدر الدين حسن بن علي الحلبي على جنب طريق الزّيبة من باب سهام. وطلع السلطان تعز في أول شهر جمادى الأولى فلما استقر في تعز أمر القاضي جلال الدين علي بن محمد بن عمار وزيراً في الباب الشريف. وفي أول ليلة استمر في الوزارة حرقت الركبخانة وحرق جميع ما كان فيها من ذهب وفضة وجواهر وسروج وغير ذلك مما يساوي بثلاثمائة ألف دينار.

(218/1)

وفي شهر رجب استخدم السلطان العساكر ونهض إلى المخلاف فحط في دار السلام من جبلة. وحط الطواشي صفي الدين أبو معلق والصارم بن حباجر والمشايخ بنو ناجي في مصال. وكان معهم من العسكر أربعمائة فارس وثمانية آلاف راجل. وكان الأمير البهاء السنبلي والقاضي شهاب الدين أحمد بن قبيب والأمير بدر الدين علي بن إسماعيل بن إياس في مدين وكان معهم من العسكر مائة فارس من الباب وخمسون من الأكراد وأربعة آلاف راجل فأحاطت العساكر بالجبل

وضيقوا على أهل بعدان ضيقاً شديداً. فلما رأى السيري ما هم فيه من الضيق وتزايد الأمراء أراد الحيلة في ذلك وكان رجلاً دهياً مكاراً فطلب فقيراً من المدروزين ووهب له شيئاً ووعده بشيء آخر. وقال له أريد منك أن تنفعنا حتى ننفعك قال وبماذا أنفعكم. قال نتقدم إلى خيمة السلطان ونقول للزمام عندي نصيحة للسلطان وأريد مواجهته ولا اذكرها إلا له. فإذا دخلت على السلطان قلت له يا مولانا السلطان أنا رجل فقير مدروز وبت هذه الليلة في المسجد الفلاني من بعدان. فلما كان نصف الليل وصار جماعة إلى المسجد ووقفوا ساعة ثم جاء جماعة آخرون فإذا هم أهل بعدان وجماعة من أهل الشعر. فاتفقوا وتحالفوا على أن أصحاب الشعر ينزلون إليكم مغيرين ومستنهضين لكم في فتح الحرب على أهل بعدان. فإذا افتتح الحرب وطلعتم للقتال أحاطوا بكم وأشاروا لأهل بعدان بالجملة فيأخذونكم باليد وهم واصلون إليكم غداً أو بعد غد وقد والله أكلنا صدقاتكم غير مرة وإحسانكم علينا وعلى غيرنا كثير. وأردت أن أطلعكم على ما قد اجمع رأيهم فلا يطلعوا إلا على أهبة. فقال له السلطان بارك الله فيك ووهب له نحواً من خمسين ديناراً. وكان أهل الشعر يقاتلون مع السلطان قتالاً عظيماً. وكان القاضي جمال الدين يشكرهم للسلطان ويثنى عليهم عنده وفي مكاتباته. فلما أظل العيد أمرهم القاضي جمال الدين بأن ينزلوا إلى الباب الشريف لأجل العيد.

وفي ظن القاضي جمال الدين أن السلطان يكسوهم ويحسن إليهم فانهم يزدادون بذلك اجتهاداً في القتال ومحافظة على النصيحة. فلما علم السيري بأنهم سينزلون إلى باب السلطان صنع هذهِ المكيدة. فلما نزلوا إلى الباب الشريف طلب السلطان عبيد السلاح وجماعة من الغز ولزم منهم ثمانية عشر شيخاً وقيدهم للفور وأطلعهم حصن تَعْكَر وهرب من أصحابهم من هرب. فلما اتصل العلم بأهل الشعر هجموا المحطة ولزموا القاضي جمال الدين محمد بن حسان والأمير البهاء السنبلي وحرّقوا المنجنيق فارتفعت المحاط وهرب الأكراد إلى ذَمَار وارتفع السلطان إلى الجَنَد واتصل الخلاف وظهر الفساد في كل ناحية.

وفي هذه السنة نزل القاضي جلال الدين علي بن محمد بن عمار لاستخراج أموال الجهات الشامية. وكان نزوله في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة.

وفيها توفي الفقيه الصالح تقي الدين عمر بن أبي بكر العرَّاف. وكان مولدهُ في تاسع المحرَّم من سنة ثمان وثمانين وستمائة. تفقه بابن النحوي وتزوَّج ابنته. ولما احتضر ابن النحوي أوصى إليه في ضم تركته وقضاء دينه فقام بذلك أتم قيام. ثم خلفهُ في تدريسه بالعربية فوقف فيها مدة ثم حج سنة خمس وعشرين وسبعمائة وجاور بمكة سنتين ثم رجع إلى اليمن فقابله المجاهد بالإجلال والإكرام. وكان له عنده منزلة عظيمة وأمرهُ مدرساً في مدرسته التي أنشأها في مدينة تعز وجعل نظر الخانقة بحيس. وكان يعدُّ من أهل الزهد والورع وسعة العلم. وكان شريف النفس بشوشاً وامتحن بقضاء تعز مدة في أيام ابن الأديب ثم عزل عنه. وكان وفاته يوم السابع من جمادى الآخرة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه البارع عفيف الدين عبد الأكبر بن الفقيه أحمد الجنيد وكان فقيهاً عاملاً عابداً

زاهداً ورعاً حسن السيرة. ولى قضاء السحول في مدة ثم تولى القضاءَ في مدينة تعز وأقام فيه مدَّة ثم تولى قضاء الأقضية في أيام الملك المجاهد. وكانت سيرته مرضية وكان له فهم جيد وحسن نظر وسياسة في الأحكام يعجز عنها غيره. وكانت وفاته بالسهولة في السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

(219/1)

وفي سنة خمس وخمسين وسبعمائة استورد القاضي شهاب الدين أحمد ابن قبيب أمر السلطان إلى صاحب فشال أن يغير بالعسكر المنصور على الأشاعر وأن يغير بالقرشيين عليهم وكتب إلى القرشيين يأمرهم بالغارة على الأشاعر كما ورد الأمر الشريف فخرج المقدم لاجين في السكر السلطاني من فشال وخرج أهل القرشية أيضاً في جمعهم وسبق العسكر قبل وصول القرشيين فاقتتلوا ساعة من نهار فانهزم العسكر ورجعوا خائبين.
وأقبل أهل القريشة عند هزيمة العسكر فاقتتلوا قتالا شديداً حتى قتل من كل طائفة ثم افترقوا فقال الشيخ أحمد بن عمر يا هؤلاء الناس ما لنا بقتا السلطان من طاقة فارتفعوا عن البلاد فارتفعوا عنها وتفرَّقوا في وادي زبيد وفي الجوار. فكان خروجهم من البلاد سبب خراب التَّهائم كلها وذلك أن المعازبة اتفقوا هم وأهل القرشية على الفساد فاخرجوا وادي زبيد ووادي رِمَع شيئاً فشيئاً. وكانت الأشاعر ترساً على الودابين ولجاماً في رؤوس المعازبة. فلما غابت الأشاعر عن البلاد تقلبت المعازبة ووجدوا مقرَاً في طرف البلاد.
ثم أن القاضي جلال الدين علي بن محمد بن عمار رجع من الجهات الشامية في شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة. وكان في صحبته عدة من غز الرتب نحو من مائتي فارس فاتفق رأيهم على غزو المعازبة فقصدهم العسكر المذكور يوم الأحد الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة. وكانت المعازبة حلالاً في أطراف الوادي رمع بعد خراب المخيريف. وقد كثرت خيلهم يومئذٍ فلما وافاهم العسكر استتروا عنهم حتى أخذ العسكر شيئاً من أموالهم واجتمعت خيل المعازبة بأسرها وحملوا على العسكر وقد افترق العسكر فهزموهم هزيمة شديدة وقتل المقدم لاجين وقتل معه طائفة من العسكر فأخذوا من الخيل شيئاً كثيراً فرجع ابن سمير إلى فشال فأقام فيها إلى شهر رمضان. ووصل الشجاع ابن يعقوب أميراً في رمع فأقام إلى آخر السنة.
وفي هذه السنة جهز السلطان هدية جليلة إلى الديار المصرية وتقدم فيها الطواشي صفي الدين جوهر الرضواني فالتقاهم شعب عند جبل الزقر فانصلحت القطعة التي فيها الطواشي فهلك هو وجماعة من الذين معه. وكان هذا جوهر الرضواني معدوداً في أهل الرياسة معروفاً بكرم النفس وعلو الهمة وعذوبة الأخلاق خدم الجهة الكريمة جهة الطواشي شهاب الدين صلاح والدة مولانا السلطان الملك المجاهد وجعلته زمام بابها وأضافت إليه أمورها كلها فارتفع شأنه وكان له سيرة حسنة. ونال من السلطان ثقة تامة وعول في كثير من الأمور عليه وندبه سفيراً في الهدية الأولى

لما توفي الطواشي خضير. فقام في ذلك أحسن قيام وعاد على أحسن حال ثم ندبه في هذه الهدية فتوفى كما ذكرنا وكانت وفاته في شهر ذي الحجة من السنة المذكورة وقبر في مقبرة باب سهام رحمه الله تعالى.

وفي سنة ست وخمسين قويت شوكة العرب المفسدين في التهائم فاجتمع المعازبة وأهل القريشة ورماة البسيط والقحراء ومن انضم إليهم وقصدوا قرية المخيريف بأجمعهم في آخر شهر المحرم فأحاطوا بالقرية فخرج أهل القرية لقتالهم فقتل الشيخ أحمد بن عمر بن عبد الله الأشعري وقتل معه جماعة من أهل القرية وكانت الوقعة في آخر النهار فلما أصبحوا انتقلوا عن القرية وخرب بخرابها طائفة من قرى رمع وهي الرقبة والمكابرة والحلة والمقترعة والمضرب والبطة والكحلاني ومحل كهلان. وخرب أيضاً بعض قرى الوادي زبيد ولكن تراجعوا بعد أيام. وأما هذه القرى المذكورة من رمع فما رجع منعا إلا الرقبة فان أهلها رجعوا وأقاموا فيها مدة ثم خرجت أيضاً ثم رجعوا وأما القرى المذكورة فلم يرجع منها شيء إلى وقتنا هذا.

ثم استمر القائشي فضمن وادي زبيد ورمع والقحمة فاختبطت عليه البلاد وما عرف ما يفعل فحمل من وادي رمع خمسة عشر ألفاً فلما تحقق السلطان عجزه فصله وأمر القاضي جمال الدين محمد بن حسان الوزير وكان استمراره في آخر السنة المذكورة.

(220/1)

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح أبو يعقوب إسحاق بن الفقيه أحمد بن يحيى بن زكريا وكان ميلاده لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول من سنة اثنتين وثمانين وستمائة. وكان تفقه بأخويه محمد وداود وغيرهما ودرس في الأتابكة بذي هزيم ناحية من نواحي تعز ثم درس بالمؤَيدية وتفقه به جماعة من أهل العصر. وكان ممن يعّد محققاً وكان عارفاً بالفقه نقالاً للمذهب لا تدور الفتوى في تعز إلا عليه. ثم على الفقيه أبي بكر بن جبريل. وكان عالي الهمة شريف النفس توفي في أثناء السنة المذكورة بزبيد وقبر في مقبرة باب سهام شرقيها وقيل كانت وفاته في سنة ستين وسبعمائة والله أعلم رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الأمير الكبير أقباي بن عبد الله الحاجب التركي وكان ذا ديانة ونسك وله مقامات مشكورة قل أن يوجد نظيره في أبناء جنسه وكانت وفاته يوم الأحد السابع عشر من شهر صفر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفي سنة سبع وخمسين وسبعمائة اشتد فساد العرب في التهائم وكثرت خيول العرب المفسدين وأخرجوا عدة من القرى وانقطعت الطرق وانضم القرشيون إلى المعازبة فكانوا يغيرون على أطراف البلاد للقتل والنهب والحريق.

وفيها أقطع السلطان ولده الملك الصالح القَحْمَة فسار إليها وقد عظمت شوكة العرب وعظم الفساد

فلم يصنع شيئاً وكان فيها المحصور. ثم أن القاضي جمال الدين محمد بن حسان جمع العسكر الذي معه في فشال وطلب عسكر القحمة وجمع فيها جمعاً كثيراً من العرب وقصد القرشية فأغارت المعازبة بخيلها ورجلها فانهزم العسكر وقتل من الرجل طائفة وجماعة من الخيل وفي جملة من قتل الأمير سيف الدين الشهابي أستاذ دار الملك الصالح وكان فارساً شجاعاً وكانت الوقعة يوم السبت الثامن والعشرين من ذي الحجة من السنة المذكورة. وحمل القاضي جمال الدين محمد بن حسان نيفاً وسبعين ألفاً من رمع وشكر السلطان همته وفي سنة ثمان وخمسين انفصل القاضي جمال الدين محمد بن حسان من رمع واستمر فيها الملك الصالح واستمر الأمير شمس الدين علي بن حسن الحلبي في القَحْمة.

وفي هذه السنة وصلت التجار من الجهات الشامية بعدة من الخيل يريدون بها موسم عدن كما جرت عادتهم فلما دخلوا فشال رأتها الأشاعر ونظروا انتشار الفساد في البلاد فاخذوا الخيل الواصلة إليهم بأسرها وكان أخذهم للخيل يوم الرابع عشر وكان ذلك بموافقة الوالي كما قيل وهو الأمير بدر الدين حسن بن باساك فلما ركبوا الخيل امتنع المعازبة من وادي رمع. فأمر السلطان بقبض الأمير المذكور فقبض في شهر رمضان وكان الذي قبضه الأمير بهادر المجاهدي وهو يومئذ أمير جاندار الباب وطلع به تحت الحفظ إلى السلطان فأمر السلطان بشنقه فشنق في آخر شهر رمضان المذكور.

(221/1)

ونزل الملك الصالح إلى أقطاعه فشال في شهر شوال ونزل بعده الوزير القاضي جمال الدين محمد بن حسان في عسكر من الباب نحو من سبعين فارساً خارجاً عن عسكر الملك الصالح. ولما امتنعت المعازبة عن وادي رمع باجتماع الأشاعر في فشال اجتمع المعازبة وقصدوا مدينة القحمة فحرقوها وأخرجوها ونهبوا أهلها نهباً شديداً وانتقل أميرها إلى بيت الفقيه ابن عجيل بنشبه وثقله. ولما وصل الملك الصالح فشال ومعه الوزير في العسكر كما ذكرنا انتقلت الأشاعر من فشال إلى قرية الغزالين وهي أَعلى وادي رمِع فأقاموا هنالك وتركوا سائر البلاد خوفاً من السلطان فكانت المعازبة تغير على وادي زبيد تمر في حدود المخيريف وهي خراب لا ساكن فيها وكثر تكرارهم هنالك فتبعهم جماعة من خيل الأَشاعر من الغزالين فقتلوا منهم ثلاثة نفر من الفرسان وهم حسن بن بهيلة وكان كبيراً من كبرائهم سناً وقدراً وكان قتله في شوال من السنة المذكورة. فأَرسلت المعازبة إلى سائر قبائل العرب المفسدين كالقحرا ورماة البسيط ومقاصرة الشام والعامريين واجتمعت دؤال بأسرها وكافة القرشيين خيلاً ورجلاً وقصدوا الأشاعر إلى الغزالين وتركوا كافة الخيل والرجل في ثلاثة مكامن من غربي الغزالين بمسافة. وأَتاهم نحو من عشرين فارساً من شرقي القرية فساقوا أموال الأشاعر وساروا بها نحو تلك المكامن المذكورة فتبعهم الأشاعرة فانبعثت عليهم المكامن فلم يرجع من الأشاعر في

تلك الليلة إلا من لم يُعرف. وكانت القضية في وجه الليل فكان الحاضرون أكثرهم لا يعرفون الأشاعر ولا يعرف بعضهم بعضاً. وكان ذلك يوم الثلاثاء السابع والعشرين من ذي القعدة فقتل من الأشاعر يومئذ وممن معهم سبعة وثلاثون نفراً منهم خمسة وعشرون فارساً واقتلعت خيلهم. وكان في جملة المقتولين يومئذ الجلال ابن معيبد وعبد الله بن القلقل وابن قرين وأبو بكر بن الدبر وكان أفرس أهل عصره وأشجعهم.

وفي يوم الثامن والعشرين صبحت المعازبة فشال فخرج الملك الصالح والوزير محمد بن حسان ومن معهم من العسكر وانتقلوا إلى مدينة زبيد وخرجت فشال وارتفع الحكم عن وادي رِمَع بأسره.

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل عمر بن محمد بن الجبلي بضم الجيم وفتح الباء الموحدة وكان فقيهاً عارفاً مشتغلاً بالفقه كان من اعلم أهل عصره بالطب في مدرسة زبيد وانتفع به كثير من الناس. وله أوصاف في الطب يعرفها كثير من أهل زبيد. وكان فقيراً قانعاً بما هو فيه من العيش صابراً على ذلك إلى أن توفي في أثناء السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو عبد الله محمد بن عثمان بن حسن بن شنيبه المقري وكان عارفاً بالقراءَات السبع وطرقها مشاركاً في الفقه والحديث والنحو أَخذ علم القراءة عن عدة من الأئمة منهم المقري علي بن شداد. وموسى ابن راشد الحرازي ويوسف بن محمد الأصابي الجعفري. واخذ بمكة عن الإمام برهام الدين إبراهيم بن مسعود بن إبراهيم المروزي. والشيخ أبي زكريا يحيى بن عبد العزيز بن سالم الزواوي واخذ الحديث عن الإمام أبي اسحق إبراهيم بن عمر العلوي. وانتفع به كثير من الناس في فن القراءة خاصة وعليه قرأت القراءات السبع أفراداً وجمعاً. واخبرني شفاهاً انه رأى في النوم انه يقرأُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفي تسع وخمسين وسبعمائة نزل السلطان إلى زبيد في عسكر جيد وأرسل لابن ميكائيل إلى حَرَض. فوصل أيضاً في عسكر ووصل معه طائفة من غز الرتب. فخرج السلطان في جمع كثيف يريد المعازبة والقرشيين فارتفعوا عن بلادهم ولم يظفر السلطان منهم بأحد فحرّق بلادهم ورجع. وفي هذه الغزوة قتل ياقوت عبد ابن ميكائيل وكان فارساً شجاعاً إلا أنه لا يعرف البلاد. فلما انفرد عن العسكر قتل. ولما رجع السلطان إلى زبيد أقام أياماً ثم طلع تعز ورجع ابن ميكائيل إلى بلاده حَرَض وتقدم السنبلي إلى إقطاعه الجثة ونزلت المعازبة وسائر المفسدين إلى بلادهم فلما استقروا أقاموا أياماً ثم اجتمعوا نحو الكدراء في آخر شهر صفر فأخربوها وحرقوها فارتفع الحكم عن وادي سَهَام واتصل الخراب والفساد وانقطعت السبل وصار أهل زبيد لا يتصلون بأهل المهجم وأهل المهجم لا يتصلون بأهل زبيد.

وفي اليوم السابع من شعبان من السنة المذكورة قصدت المعازبة والقرشيون النخل من وادي زبيد فنهبوا أهله وانقطع الحكم فيه وخرج أهله منه لا يملك أحدهم قوت يومه ثم اقتسموا النخل فكان الأبيض للقرشيين والمغارس العليا لبني يعقوب من المعازبة والمغارس السفلى لبني بشير وارتفعت أيدي أهل النخل عن أملاكهم وتملكه العرب.

وفي اليوم الثالث والعشرين من شوال اجتمعت طوائف الفساد من المعازبة والرماة والقحرا وقصدوا الجثة وفيها يومئذ الأمير بهاء الدين السنبلي فأحاط العرب بالقرية ومن فيها فخرج إليهم الأمير بها الدين السنبلي ومن معه فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل جماعة من العسكر وقتل محمد بن السنبلي وأخوه مقبل وجرح أبو بكر جراحة شديدة وكان معدوداً من جملة القتلى وانحاز السنبلي ومنه معه من بقية العسكر إلى المهجم وأميرها يومئذ الكمال ابن التهامي.

ثم اجتمعت العرب جميعاً في شهر ذي الحجة من السنة المذكورة وأرسلوا إلى أهل سُرْدد يشتورونهم في قصد المهجم وكان رئيس بني عبيدة يومئذ حسن بن أبي القاسم ورئيس الزيديين ابن حفيص فاتفقوا على قصد المهجم يوم الاثنين الثالث من ذي الحجة من السنة المذكورة فوصلت المعازبو والرماة والقحراء إلى المهجم في اليوم المذكور قبل طلوع الشمس وتأَخر أهل سردد فوقعت الهزيمة في العرب فقتل منهم اكثر من مائة رجل وأقبل ابن حفيص وأهله من الزيديين وحسن بن أبي القاسم العبدي في أهله من بني عبيدة فلقيهم الهارب من العرب فرجعوا من حيث جاءوا.

وفي هذه السنة توفي الفقيه البارع ابو الغيث محمد بن راشد السكوني وكان فقيهاً فاضلاً عارفاً متفنناً جامعاً لعلوم شتى من الفقه والنحو واللغة وعلم المعاني والبيان والعروض والقوافي وله مصنف لطيف يدل على جودة معرفته وصفاء ذهنه وتدقيق فطنته وولي القضاء مدى في فشال. ثم انتقل إلى زبيد فدرس بها في المدرسة العفيفية ثم ولي القضاء في مدينة زبيد مدة. ثم نقله السلطان الملك المجاهد إلى مدرسته التي أنشأها في مدينة تعز بناحية الجبيل فأقام هنالك إلى أن توفي مسموماً على ما قيل في السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفي سنة ستين وسبعمائة نزل القاضي شهاب الدين أحمد بن علي ابن قبيب ونزل معه من أولاد السلطان الولد المسمى أحمد الناصر في عسكر جيد من الباب فوقف في زبيد شدَّاده وكانت خيول العرب تدور حول المدينة في كل يوم لا تغيب أبداً.

(223/1)

ولما كان يوم النصف من شهر ربيع الآخر جاء الشيخ أبو بكر بن عراب القرشي المعروف بالهبل وكان داهية الزمان ووصل معه ابن عمه علي ابن محمد بن عمر بن عراب يريدان حاجة من زبيد. وكان من عادة العرب في ذلك الوقت أن من بدت له حاجة إلى المدينة وصل ووقف خارج المدينة على حصانه وان من وجده من الخطابة أو الحشاشين أو غيرهم أرسله إلى من يريد من معارفه

يطلب منه الحاجة التي جاء بسببها ويعلمه بمكانه الذي هو فيه. فلما وصل الهبل وابن عمه كما ذكرنا أرسلا رسولاً إلى الأمير الصارم ابن نشوان وكان يظهر لهم الصداقة هو وغيره لاحتياج الناس إليهم. فلما جاء الرسول وأعلمه بمكانهما صنع لهما طعاماً نفيساً وكذلك كان يصنع هو وغيره. ثم انه جعل لهما في ذلك الطعام شيئاً كثيراً من البنج واخرج لهما ماء مطيباً وفيه ما فيه من البنج أيضاً فأكلا بحسب الكفاية وشربا من الماء ووفقا ينتظران الحاجة التي جاءَا بسببها فأثر فيهما البنج تأثيراً كلياً. وكان الهبل لا يعتاد مسكراً فلما وجد من نفسه ما وجد من الانحلال عرف أن الطعام مشغول. وكان ابن عمه يعتاد المسكر وقد كان في ذلك اليوم استعمل شيئاً منه فلما وجد من نفسه ما وجد ظن إنه عمل المسكر الذي كان استعمله فلما أيقنا بالشر قاما ليركبا فرسهما فركب الهبل وعجز ابن عمه عن القيام من موضعه ذلك. وقيل إنه ركب وسقط عن فرسه. فأخذ الهبل فرسه وسار بالفرسين معاً. وهذا الفعل من الصارم بن نشوان بإشارة ابن قبيب. وكان قد أرسل جماعة من العسكر حينئذ إلى باب النخل وأقام جماعة فوق السور ينظرون ما يكون من الأمر. فلما نظروا الهبل قد ركب فرساً وجنب الآخر صرخوا عليه وخرج بعسكر فلزموا علي بن محمد ووجدوه مطروحاً لا يعقل شيئاً فاركبوه جملاً ودخلوا به المدينة. وأما الهبل فإنه ساق فرسه لما خرج العسكر من زبيد فلما صار في أثناءِ الطريق سقط وقد اشتد عليه الأمر وحمى النهار ففطس وسار الفرسان يطرَّدان حتى دخلا القرشية فصرخ الصارخ في القرية وخرج أهل القرية يقصون أثر الخيل حتى وجدوا الهبل ميتاً قد تفطر جسمه من شدة الرمضاء فحملوه وقبروه وأقام ابن عمه معتقلاً في زبيد إلى أن نزل السلطان في ذي القعدة. وفي يوم الأربعاء الخامس من شهر رمضان وقع مطر شديد في مدينة زبيد ونواحيها وكان ابتداؤه وقت آذان العصر إلى ما بين المغرب والعشاء فهدمت بيوت كثيرة على أصحابها. ومات تحت الهدم على ما سمعت في مدينة زبيد نحو من ثمانين إنساناً ولم يبق بيت من بيوت المدينة صغيراً كان أو كبيراً إلا ما تشعث بعضه ومنها ما استولى عليها الخراب وهو كثير أيضاً.

وفي شهر ذي القعدة نزل السلطان إلى زبيد في عسكر جيد يريد الخروج على المفسدين من العرب وأرسل إلى الأمير نور الدين محمد بن مكائيل فلم يصل بل دافعه بالكتب مرة بعد أخرى وكان قد حسن له جماعة من بطانته أن يستولي على الجهات الشامية وهي سَهَام وسُرْدد ومَوْر ورحبان وبترك دؤَال ورمع خراباً فإذا قد استقوى بأموال الجهات المذكورة وغلب عليها قصد بعد ذلك زبيد وحينئذ تتسق له التهائم بأسرها وهي أمهات الأموال فيعجز السلطان وغيره عن مقاومته فوقع هذا الكلام منه موقعاً ورأى إنه كائن لا محالة فامتنع عن الوصول إلى السلطان.

وحصل من قضاء الله وقدره في الخيل من دواب السلطان وغيره داء يقال له مشفرا وقيل مشيفر فهلك في مدة يسيرة من خيل السلطان والعسكر عدد كثير حتى كاد يستولي عليها كلها فأخر السلطان عزم الخروج في ذلك الوقت.

وفي هذه السنة توفي القاضي جلال الدين علي بن محمد بن أبي بكر بن عمار وكان يومئذ يتولى

الوزارة للسلطان وكانت له رياسة وسياسة وكان عاقلاً ساكن الريح حسن السيرة وتولى نظر عدن قبل أن يتولى الوزارة وكانت وفاته يوم الثالث والعشرين من شعبان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.
وفيها توفي الأمير صارم الدين داود بن إبراهيم الدمرداشي وكان أميراً كبيراً عالي الهمة من كبراء الأمراء ممكناً عند السلطان له سيرة حسنة وكانت وفاته في سلخ صفر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

(224/1)

وفي سنة إحدى وستين طلع السلطان من زبيد في غزة شهر صفر فلما استقر في تعز نزل القاضي عفيف الدين عثمان بن سليمان بن طلحة الدوري في جماعة من العسكر ووقف في زبيد مقدماً عوضاً عن القاضي شهاب الدين أحمد بن قبيب. وطلع ابن قبيب إلى الباب الشريف. وقد استولى الخراب على معظم التهائم ولم يبق من وادي زبيد إلا ثلاث قرى أو أربع وإلا المدنة وكانت الخيل تظل تدور حولها كل يوم.
وفي هذه السنة وصل الشريف الكبير علي بن محمد المعروف بابن الجارية إلى مدينة المهجم وكان معه جماعة من بني الحمزة الشرفاء فخرج في لقائه أمير البلد الشجاع بن يعقوب ومقدمها يومئذ الأمير شمس الدين علي بن حاتم وبعض مشايخ العرب. فلما وقفوا في الميدان وأرادوا أن يلعبوا تنازعوا في التقدمة فاقتتلوا فانحاز أهل المدينة ومن معهم من عسكر أباب إلى المدينة. ومنعوا الشريف وأصحابه من دخول المدينة. فاصلح بينهم الأمير شمس الدين علي بن حاتم ودخلوا المدينة وجلس الشريف فيالدار. ثم أن بعض غلمان الأشراف اخطأ على واحد من أهل المدينة فلزم وأتى به إلى الشريف فأمر بقطع يده فقطعت للفور فغضب الأشراف وخرجوا من المهجم راجعين إلى بلادهم. وبقى الشريف علي بن محمد في جماعة من أصحابه. وكان السلطان قد أحال له على الأَمير صارم الدين داود بن خليل صاحب المحالب بمال فانتقل إلى المحالب بسبب ذلك. فدافعه صاحب المحالب ولم يعطه إلا التافه اليسير. فلما رأى الشريف انه غالب له على حوالته خرج إليه في جماعة من أصحابه فدخل عليه بيته وقتله فيه وأخذ من بيته ما وجده فيه من المال والقماش والدواب والسلاح وكان قتله ليلة الجمعة السادس عشر من شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة. فلما علم الأمير شمس الدين علي بن حاتم بقتل داود بن خليل أرسل إلى القائد وهاس وبعث إليه بعكسر المهجم وقد جعل عليهم شرياً يقال له علي بن حازم وأمر على القائد أن يسير في العسكر والعرب لقتال الشريف وإخراجه من بلاد السلطان. فسار القائد وهاس والشريف بن حازم فيمن معهما من العسكر وعرب البلاد إلى المحالب فخرج إليهم الشريف علي بن محمد وسأَل من القائد أن يمهله يومه ذلك. فإذا كان الليل خرج من بلاد السلطان. فقال القائد ما تخرج إلا الساعة وإن لم تخرج راضياً خرجت غير راض فلم يجبه إلى الخروج فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل القائد وقتل معه تسعة نفر

وانهزم الباقون هزيمة شديدة. وكان ذلك يوم الخميس الثاني والعشرين من الشهر المذكور. فلما علم ابن حاتم بذلك ارتفع من المهجم ورجع إلى السلطان وكان رجوعه في البحر من ساحل الجردة. ولما قتل القائد كما ذكرنا سار الشريف علي بن محمد من المحاب يريد المهجم فدخلها يوم الأحد الخامس والعشرين من الشهر المذكور وأمامه رأس القائد ورؤوس أصحابه الذين قتلوا معه فلما دخل الشريف المهجم قبض الشجاع بن يعقوب أميرها يومئذ وولى فيها الكمال بن التهامي ولم يزل يعذب ابن يعقوب حتى هلك من شدة العذاب. وكان وفاته ليلة الجمعة السابع من شهر جمادى الثانية من السنة المذكورة.

ولما استولى على المهجم أرسل جماعة من الغزالي المحالب فوقفوا في البستان فقصدهم العرب فهربوا من المحالب فنهبها العرب وحرقوها. ثم خرجت القواد في كل ناحية والى كل قبيلة من قبائل العرب يستغيرون بهم فجمعوا المعازبة والرماة والقحراء وعرب وسردد وقصدوا الشريف في المهجم فخرج إليهم فهزمهم إلى الحرمة. ثم عاودوه في النهار الثاني فخرج إليهم فانهزموا إلى أطراف المدينة ثم تفرقوا عنه وعاودوه في اليوم الثالث فأحاطوا بالمدينة فوقف الشريف يمانعهم إلى آخر النهار ثم انه استذم المعازبة وخرج في ثقله بالليل فلما اصبحوا دخلوا المدينة ونهبوها وحرقوها واخذوا منها أموالاً لا تحصى ولا تحصر وذلك في يوم الاثنين الثاني من شهر رجب من السنة المذكورة واستولى الخراب على التهايم كلها ولم يبق الا زبيد وحرض.

(225/1)

فلما استولى الخراب على البلاد كما ذكرنا ثار الأمير نور الدين محمد بن ميكائيل واستخدم العساكر وحدثته نفسه بتصديق ما خيل له أصحابه فطلب أشراف صعدة وغيرهم فلما اجتمعت العساكر عنده في حرض قدم الأمير شهاب الدين أحمد بن علي بن سمير. وكان فارساً هماماً فصيح اللسان حديد الجنان فسار بالعساكر من حرض إلى قرية البرزة فأقام فيها وكانت المحالب يومئذ خراباً فأراد أن يعمرها وتكون إقامة العسكر في البرزة وأرسل إلى الرعايا يطلب منهم واجبات الديوان. فلما وصل كتابه إلى الضميين امتنعوا عن الوصول إليه وأرسلوا العرب السرددية يطلبونهم لحربه وقتاله فأسرعوا إليهم فاجتمعت العرب من الضميين ومن انضم إليهم وعرب السرددية وقصدوا ابن سمير ومنع معه إلى البرزة فخرج إليهم فيمن معه من العسكر فاقتتلوا قتالاً شديداً ووقعت الهزيمة في العرب فقتل من العرب نحو ثلاثمائة إنسان فيهم من أهل الواسط أكثر من مائة رجل. وكانت الوقعة يوم الرابع عشر من ذي الحجة من السنة المذكورة.

ولما انقضت الوقعة سار ابن سمير ومن معه من العسكر إلى المحالب واستولوا عليها ودخل العرب في طاعتهم طوعاً وكرهاً.

وفي هذه السنة توفي الملك المنصور عمر بن السلطان الملك المجاهد رحمه الله تعالى.

وفي هذه السنة أيضاً توفي رجل غريب في جامع المرثاة من حارة وادي زبيد فأقام في الجامع أياماً ثم توفى له كنفاً فحفروا له قبراً ولفوه في حشر الموز وربطوه بشعار وأدخلوه القبر فلما استقر في اللحد وصل الشيخ يوسف ابن نجاح الصوفي بثوب يريد تكفينه فيه فوجدهم قد أنزلوه في اللحد فنزل يريد أن يخرجه من القبر فلم يجد في القبر إلا حشر الموز فأخرج الحشر إلى خارج القبر ودفنوا القبر ترابا على غير ميت وهو معروف بقبر الغريب والله أعلم.

وفي سنة اثنتين وستين سار العسكر من حدود المحالب إلى سردد وذلك في أول شهر صفر من السنة المذكورة فاجتمعت عرب سردد جميعاً في بيت حسين ثم خرجوا من بيت حسين يريدون العسكر فلما اتجهوا هربت العرب من غير قتال فتبعهم العسكر وقتلوا منهم شيئاً كثيراً ولكنه اقل من القتلة الأولى وسلبوا سلبا كثيرا ودخلوا بيت حسين فحرقوا بيت العبيد والشرجة وبيوت بني وهبان وكانت هذه الوقعة عند عدابة العروس ووقفت العسكر في بيت عطا وأطاعت العرب وسلموا الواجبات السلطانية ودخلوا الطاعة ثم انتقل العسكر إلى المهجم فدخلوها يوم الرابع عشر من شهر ربيع الأول واستولى العسكر على ملك الناحية بأسرها.

وفي يوم السابع من شهر رمضان اقتتلت المعازبة والقرشيون وكانوا يومئذ جميعاً في النخل بوادي زبيد فقتل يومئذ ابنا العظامي رجلان من المعازبة قتلهما القرشيون. فسافروا يومئذ ثم اتفقوا على الهدنة حتى ينقضي أمر النخل. وكان النخل يومئذ تحت أيديهم معاً فكان هذا أول خلف وقع بينهم. فلما انقضى أمر النخل وارتفع كل أحد منهم إلى بلاده أغارت المعازبة في آخر شهر رمضان وقتلوا من القرشيين رجلاً يقال له داود بن رزام. ثم أغاروا غارة أُخرى في أول شوال وقصدوا القرية فخرج إليهم القرشيون فاقتتلوا عند بيوت المجانبة فقتل من القرشيين رجلان أحدهما يقال له العباسي والآخر الجعالي.

ثم أن القرشيين طلبوا الذمة من السلطان والدخول في الطاعة فأَذم عليهم ذمة شاملة فاصلحوا وطلبوا النصرة من السلطان على المعازبة فأمر السلطان بمناصرتهم وخرج العسكر إليهم فأغاروا يوم الثاني عشر من شوال فقتلوا من المعازبة تسعة رجال فيهم الحيق بن الحري وحرقوا عليهم البريت والكرنبسة ونهبوهم وأخرجوهم من ذلك الحد.

فجمعت المعازبة خيلها ورجلها في آخر شهر شوال وقصدوا القرشية فخرج أهل القرشسة إليهم فاقتتلوا فقتل من القرشيين نحو من أربعين رجلاً فيهم عيسى من الهبل وقتل من المعازبة رجل واحد يقال له مفرح بن الأسحم وأغار القرشيون بعد ذلك في شهر ذي القعدة فقتلوا من المعازبة رجلاً يقال له ابن العقيد وابنه وثلاثة أنفار.

ثم جمعت المعازبة جمعاً عظيماً من قبائل الشام وغيرها وقصدوا القرشية آخر يوم من القعدة فوصلوا إلى طرف القرية العليا ووقعت الهزيمة فيهم فقتل منهم ومنن معهم نحو من ثلاثمائة رجل وكانت الوقعة مشهورة وفي ذلك يقول الفقيه محمد بن سرداح القرشي

ثلاث مئين قتلهم لا حقيقة ... ولكن تقريباً لعلم المسائل

واحتز من رؤوس القتلى في هذه الوقعة اكثر من مائة رأْس وطلعت الرؤس إلى تعز وكان السلطان يومئذ بها وكسى الجماعة الواصلين بالرؤس وجرد السلطان عسكراً جيداً صحبة القاضي شهاب الدين أحمد بن علي بن قبيب والأمير بهاء الدين بهادر السنبلي وأمرهما بالتقدم إلى الجهات الشامية فسارا من تعز إلى زبيد ثم خرجا من زبيد يريدان المهجم فيمن معهما من العسكر فلما توسطوا بلاد الرماة اجتمعت العرب من كل ناحية عليهم وقصدوهم في جموع كثيرة فاهتزم العسكر وقتل ابن قبيب وكانت الوقعة في حد سهام وقد خرجوا من عواجه فحمل ابن قبيب وقبر في عواجه. واهتزم السنبلي إلى العامرية فأرادوا قتله فسار إلى بني معمة أصحاب بيت المدور ثم سار من بيت المدور إلى الزيدية وكانت الوقعة يوم الثلاثاء الحادي عشر من ذي الحجة من السنة المذكورة.

ولما علم ابن سمير وكان في المهجم كما ذكرنا بان السنبلي قد صار في الزيدية جمع جموعاً كثيرة وأرسل لطوائف العرب وقصد السنبلي إلى الزيدية يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من ذي الحجة من السنة المذكورة فخرج السنبلي إلى حصن منابر فأقام فيه أياماً ثم رجع إلى السلطان في طريق الجبل ورجع سائر المنهزمين إلى السلطان فكساهم وانعم عليهم وصرف لهم دوابَّ وسلاحاً.

وفي هذه السنة المذكورة توفيت الآدر الكريمة جهة الطواشي شهاب الدين صلاح والدة السلطان الملك المجاهد وكان وفاتها في مدينة تعز ودفنت في مشهدها المعروف هنالك. وكانت امرأَة سعيدة عاقلة رشيدة حازمة حليمة سخية كريمة ذات سياسة ورياسة وكرم نفس وعلو همة. ولما غاب ولدها السلطان الملك المجاهد في مصر وكانت غيبته عن البلاد أربعة عشر شهراً وهي القائمة في البلاد فضبطت البلاد وجمعت العساكر ولم يكن في ذلك الوقت الحسن احسن من تلك السنة خصباً وأماناً وعدلاً وإحساناً ولها آثار حسنة في الدين. وكانت تحب العلماء والصلحاء وتكرمهم وتجلهم وتعظمهم وكانت تدور بيوت الناس تتفقدهم بالعطايا الوافرة. وقل أن يأتي الزمان بمثلها وما أحقها بقول أبي الطيب المتنبي حيث يقول

ولو كان النساءُ كمن ذكرنا ... لفضلت النساءَ على الرجال

وما التأْنيث لاسم الشمس نقص ... ولا التذكير فخر للهلال

ومن مآثرها الدينية المدرسة المعروفة الكبيرة المشهورة بالصلاحية في مدينة زبيد ورتبت فيها إماماً ومؤَذناً وقيماً ونازحاً للماء إلى المطاهر بها ومدرساً للشرع ومدرساً في الحديث النبوي. ومدرساً في النحو وطلبة في كل فن من الفنون المذكورة ومعلماً وأيتاماً من خيار ما تملكه ما يقوم بكفاية الجميع وابتنت قبالة المدرسة المذكورة خانقة رتبت فيها شيخاً ونقيباً وفقراء وأوقفت عليهم وقفاً جيداً حسناً كافياً وابتنت في قرية المسلب من وادي زبيد وجعلت فيها إماماً ومؤَذناً وقيماً ونازحاً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن ومدرساً على مذهب الإمام الشافعي ومدرساً على مذهب الإمام أبى حنيفة وطلبة في المذهبين وسيلاً لشرب الدواب وغيرهم. وابتنت مسجداً في قرية التربية من وادي زبيد ورتبت فيه

إماماً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأيتاماً ودرسه يقرءون القرآن وسبيلاً لشرب الجواب. وابتنت أيضاً في قرية السلامة مدرسة وهي التي على يمين السالك إلى تعز ورتبت فيها إماماً وخطيباً ومؤذناً وقيماً ونزاحاً للماء إلى المطاهر والى السبيل هنالك ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن ومدرساً للفقه على مذهب الإمام الشافعي ومدرساً للحديث النبوي وطلبة مع كل مدرس وأوقفت على الجميع أوقافاً جيدة نفيسة تقوم بكفايتهم وتزيد. وابتنت مسجداً في مدينة تعز في ناحية المحلية أيضاً وأفعالها في الخير كثيرة وكانت وفاتها يوم الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

(227/1)

وفيها توفي القاضي فتح الدين عمر بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الحميد بن الخطبا القرشي المخزومي. وكان أحد الرجال المعدودين فضلاً ونبلاً ورياسة وسياسة وكان عاقلاً فطناً ذكيّاً مفرطاً في الذكاء مشاركاً لذوي الصناعات الدقيقة والجليلة ويزيد على فضلائهم زيادة ظاهرة لا أعرف أحداً سبقه في جودة الصنعة. وكان يخط خطاً حسناً ونال حظوة عظيمة عند السلطان الملك المجاهد وتولى الشد الكبير والخاص. ثم استوزره بعد ذلك وكان حسن التدبير والسيرة طاهر السريرة إلى أن توفي في مدينة تعز يوم التاسع والعشرين من صفر أحد شهور السنة المذكورة رحمه الله تعالى.
وفي سنة ثلاث وستين خالف الملك الصالح والملك العادل على أبيها السلطان الملك المجاهد وكان خروجهما من تعز في العاشر من صفر من السنة المذكورة والله اعلم.
وفيها قتل المقاصرة أخا ابن سمير فأغار عليهم أخوه الأمير الشهاب أحمد ابن سمير فنهب بلدهم وحرقها ولم يلق منهم أحداً وكان قتله يوم الثامن عشر من المحرم ولما رجع ابن سمير من الغارة على المقاصرة طلع حسن منابر فقبضه وذلك يوم الرابع والعشرين من المحرم المذكور والله أعلم.
وفي هذه السنة أدعى ابن ميكائيل السلطنة وكان ذلك في شهر صفر من السنة المذكورة فخطب له الخطباء في المهجم والمحالب وحرض وما ينضاف إليها من القرى في الناحية المذكورة. وضربت السكة على اسمه وتسمى في الخطبة بالشريف الحسيب النسيب من أسرى بجده ليلة الاثنين إلى قاب قوسين محمد بن ميكائيل الحسيني الفاطمي النبوي. وكانت مدة سلطنته أربعة وعشرين شهراً أولها صفر من سنة ثلاث وستين وآخرها سلخ المحرم من سنة خمس وستين والله أعلم.
وفي هذه السنة قتل الشيخ أحمد بن حفيص الزيدي وكان شيخ الزيديين في عصره فصادره ابن سمير في المهجم إلى أن قتله ليلة الخميس من رجب من السنة المذكورة والله أعلم.
وفي يوم التاسع والعشرين من رجب المذكور أغار الأمير بهادر السنبلي على المعازبة وأغار معه أهل القرشية فحرقوا الأقطعية وقتلوا ثلاثة من فرسان المعازبة وهم ابن اليماني وابن العنيزي وابن خلف المكني وكانت المعازبة قد اجتمعت وقصدت القرشية على حين غفلة في يوم الخميس الرابع عشر من شهر ربيع الآخر. وكان خروجهم على أهل القرية السفلى فخرج أهل القرية إليهم فلما

توافقوا هم والمعازبة على مصافهم أَقبل أهل القرية العليا معارضين لهم فاهتزمت المعازبة هزيمة شديدة وقتل منهم نحو من سبعين رجلاً فيهم من الكواكرة ثلاثة وعشرون رجلاً وفيهم من سائر بيوت المعازبة لا يطاق وقتل من القرشيين يومئذ سبعة نفر فيهم إبراهيم الزيلعي كان من فرسانهم المشاهير.

وفي يوم الثامن والعشرين وصل السفراء من الديار المصرية وهم الطواشي صارم الدين نجيب والقاضي جمال الدين محمد بن عمر الشريف والقاضي جمال الدين محمد بن الفارقي والأمير شمس الدين علي بن حاتم ووصل معهم عدّة من أمراء الترك فقابلهم السلطان أَحسن مقابلة.

وفي هذه السنة توفي الطواشي شمس الدين صواب صبري وكان المجاهد رحمه الله قد جعله زمام بابه وتولى في أيامه بعض الجهات فكانت سيرته مرضية. وكانت وفاته في يوم الأربعاء غرة شهر شعبان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

(228/1)

وفي سنة أَربع وستين خالف الملك المظفر على أبيه السلطان الملك المجاهد وأَفسد المماليك الغرباء الواصلين صحبة السفراء وكان خروجه من تعز ليلة الاثنين السادس والعشرين من المحرم بعد أن هجم اصطبل السفر الذي للسلطان وأخذ ما فيه من الخيل وأخذ من المناخ ما احب ونزل نجد عدن واستخدم جماعة من العقارب وأمرهم بالتقدم قبلة نحو باب عدن فلما تقدموا قبله وقدر أنهم قد صاروا في الباب تبعهم في الذين معه من المماليك فواجهه في الطريق جمل يحمل بطيخاً كثيراً. فنزل المماليك بأجمعهم فأكلوا من ذلك البطيخ حاجتهم. ولما وصل العقارب الباب من عدن وقفوا عند البوابين ينتظرون وصول المظفر ومن معه فلم يظهر لهم علم. فلما طال وقوفهم تشوش منهم البوابون لطول مقامهم من غير حاجة فنحوهم عن الباب فلم يقبلوا منهم فرأَى البوابون كلامهم غير منتظم فطردوهم عن الباب فلم ينطردوا وظهر لهم من الأمر ما أحوجهم إلى قتالهم وإغلاق الباب فلما أغلقوا الباب أَقبل المظفر وأصحابه وقد فات الأمر. فخرج الأمير وأهل المدينة فتقاتلوا ساعة من نهار ثم رجع المظفر إلى الحج وأبين.. وكان الوزير القاضي جمال الدين محمد بن حسان يومئذ في أبين فقبضه المظفر وقبض ولده علياً وصادرهما أياماً ثم أَطلقهما.

ولما وصل العلم إلى السلطان بما كان من المظفر جهز له جيشاً وقدم عليه بهاء الدين السنسبلي وبعض الأَشراف الحمزيين وسار السلطان إلى الجوَّةِ وسار السنسبلي ومن معه نحو المظفر. والتقوا في موضع يقال له الشراجي فانهزم السنسبلي ومن معه وقتل منهم طائفة فنزل السلطان إلى عدن بسبب ذلك.

وفي هذه السنة أَصلحت المعازبة وأذم عليهم السلطان وطلعوا إلى تعز واجتمع شيخهم الذي يسمى العطور بالسلطان وتكفل له بإصلاح التهائم وجرد السلطان عسكراً إلى زبيد. وأمرهم بالتقدم إلى

فَشَال والوقوف فيها حتى يرجع أهلها إليها ويتقرروا فيها. ثم ينتقل العسكر منها إلى القَحْمَةِ فيقفوا فيها حتى تعمر أيضاً ثم ينتقلون إلى أَكَلْدرَاء. فلما اجتمع العسكر في زبيد اتفق العسكر والقرشيون على قتل المعازبة فغقال العسكر للمعازبة إنّا لا نخرج من المدينة حتى يتقرر إلينا أن كنتم مصلحين فوصل عدّة من وجوههم ودخلوا المدينة واطمأَنوا بها فلما عزموا على الخروج إلى فشال أوقع الغز والقرشيون بالمعازبة فقتلوا منهم بضعاً وعشرين رجلاً وكان القتل يوم الثلاثاء العاشر من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة.

وكان فيمن قتل يومئذ الشيخ محمد العكور وكان يومئذ شيخ المعازبة وقتل معه اثنان من إخوته.

وقتل يومئذ عمر بن سهيل وابن الأقدر وحسين ابن عبادة وابن العجمي وسهيل بن الحاذق ومكيمن بن فلان بن الأقدر والقصد أن الذين قتلوا كلهم فرسان ومشاهير وسلم منهم جماعة كانوا عند القاضي ناصح الدين أبو بكر بن علي بن مبارك فامتنع عليهم وخشي أن يغلب عليهم فأرسل بهم إلى السجن فأقاموا فيه يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس فلما كان يوم الجمعة هجم الغز عليهم فقتلوهم وكانوا بضعة عشر رجلاً فكان جملة من قتل من المعازبة نحوا من أربعين رجلاً كلهم فرسان.

ولما نزل السلطان إلى عدن كما ذكرنا أقام بها وجرد العساكر لولده المظفر فلم يظفر به أحد. وكان المظفر فتاكاً مهيباً لا يعاقب إلا بالسيف قد استباح عدة من الأنفس بغير وجه لا يأْخذه على أحد شفقة ولا رحمة ولهذا احرمه الله تعالى الملك انه بعباده خبير بصير.

وتوفي السلطان الملك المجاهد في عدن في مدة إقامته فيها وكانت وفاته يوم السبت الخامس والعشرين من جمادى الأولى من السنة المذكورة.

فاتفق الحاضرون من أهل الدولة على قيام الملك الأَفضل ورأوا أنه اصلح للبلاد والعباد. وكان من جملة من نزل معه إلى عدن في تلك السفرة فحضرموت والده.

وكان الملك المجاهد رحمه الله تعالى ملكاً سعيداً عاقلاً رشيداً جواداً لبيباً شجاعاً مهيباً عالماً ذكياً فطناً لوذعياً من جوده وسخائه ما اخبرني به الفقيه الإمام العلامة جمال الدين محمد بن عبد الله الريمي وكان ممن يختص به السلطان الملك المجاهد قال أَعطاني السلطان الملك المجاهد في أول يوم دخلت عليه أَربعة شخوص من الذهب وزن كل شخص منها مائتا مثقال مكتوب على وجه كل شخص منها.

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها ... على الناس طرّاً قبل أن تتفلت

(229/1)

فلا الجود يفنيها إذا هي أَقبلت ... ولا الشح يبقيها إذا هي ولت

وكان مشاركاً في عدة من الفنون ويقال انه اعلم بني رسول وكان شاعراً فصيحاً ومن شعره قوله

نلت أنا العز بأَطراف القنا ... ليس بالعجز المعالي

تُجتْنَا نحن بالسيف ملكنا اليمنا

كل فخر تدعى الناس لنا ... أعرق العالم في الملك أنا

أنا شبل للملوك زين الكتب ... يوسف جدي وداود أبي

فالشهيد الملك زاكي الحسب

وعليّ القتيل عالي المنصب ... جدنا بعد رسول جدنا

إن تكن أضحت علاهم خبرا ... فالعلي مسني بالعين يرى

أنا كالليث إذا ما زأَرا

أنا كالليث إذا ما زخرا ... المنايا في يميني والمنا

أبذل المال ولا أجمعه ... كل عاف نحونا منجعه

وإذا القرن طغى أصرعه

وإذا ولى فلا أتبعه ... وإذا لاذ بعفوي أَمنا

شيم تشبه ملك الشيما ... يمنُ لي من جدودي القدما

ثم ملك الشام من ماءِ السما

يعشرون الناس طرارغما ... من هنا أو من هنا أو من هنا

وهو الذي مدن ثعبات وبني سورها واخترع فيها المخترعات الفائقة والبساتين الرائقة وبني فيها المساكن العجبة. والقصور الغريبة. وله من الآثار الدينية مدرسة في مكة المشرفة ملاصقة للحرم الشريف يصلي المصلي فيها وهو يشاهد البيت الحرام رتب فيها إماماً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأيتاماً ومدرساً وطلبة.

وابتنى مدرسة في مدينة تعز وجعلها جامعاً في تلك الناحية وهي ناحية الجبيل ورتب فيها إماماً ومؤَذناً وخطيباً وقيماً ومدرساً للفقه ومحدّثاً وطلبة ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن وجعل فيها خانقاه. ورتب في الخانقاه شيخاً ونقيباً وفقراء.

وابتنى جامعاً أيضاً في ثعبات ورتب فيه إماماً ومؤَذناً وخطيباً وشيخاً للحديث ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن. وابتنى أيضاً جامعاً في النويدرة على باب زبيد ورتب فيه إماماً وخطيباً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأَيتاماً يتعلمون القرآن ونزاحاً للماء ومدرساً للفقه وطلبة. وابتنى عند بستان الراحة بزبيد مسجداً ورتب فيه إماماً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن. وابتنى الزيادة الغربية في جامع مدينة تعز.

وابتنى مدرسة في دار العدل بتعز وجعل فيها خانقاه ورتب فيها إماماً ومؤَذناً وقيماً وشيخاً ونقيباً للفقراء ووقف على الجميع أوقافاً جيدة في وادي زبيد وتعز من محاسن أملاكه ورباعاً وضياعاً وكان محبّاً للعلماءِ مشفقاً على الرعية وله في العدل والرفق والرعية أوصاف حسنة وأفعال مستحسنة. وهو أول من سن النواصف للرعية وأول من زادهم في القطائع معاداً مستمراً في كل قطيعة. وفي آخر أيامه أزال للرعية الربع من كل ما ازدرعوهُ وكانت الرعية في أحسن حال رحمه الله تعالى.

الباب السابع
ذكر قيام الدولة الأفضلية
ووقائعها

قال علي بن الحسين الخزرجي لاطفه الله تعالى في الدارين لما توفي السلطان الملك المجاهد رحمه الله تعالى في التاريخ المذكور اجتمع كبراء حضرته وأمراء دولته على قيام دولة السلطان الملك الأَفضل العباس بن علي بن داود ولم يكن في أولاد المجاهد حاضرهم وغائبهم من هو أَشد منه ولا أَعقل ولا أَولى ولا اكمل للأمر منه وان كان فيهم من هو أكبر منه سناً.

فما الحداثة من حلم بمانعة ... قد يوجد الحلم في الشبان والشيب

فبايعهُ الحاضرون من الخاصة والعامة ووجوه أهل الدولة يومئذ. ولما انتظمت بيعته ونفذت كلمته أَنفق على العسكر نفقه جيدة في يومه ذلك إلى الليل واصبح سائراً بوالده إلى محروسة تعز وجملة العسكر يسيرون أمامه بعد أن ظلاه بالممسكات وجعله في تابوت من خشب. فكان دخوله تعز آخر يوم الخميس سلخ جمادى الأولى من السنة المذكورة. فاستقر في قصر ثعبات فلما اصبح يوم الجمعة غرة جمادى الأخرى نزل الناس خاصتهم وعامتهم فحضروا دفن السلطان الملك المجاهد وكان يوماً مشهوداً. واستمرت القراءَة عليه سبعة أيام.

(230/1)

وكان محمد بن ميكائيل قد استفحل أَمره في حرَض واستولى على الجهات الشامية لخلاف العرب وخراب التهائم واشتغل الملك المجاهد عنه بخلاف أولاده وهم الصالح وأعادل والمظفر. وكانت الأطراف مضطربة وقد انفتح في كل ناحية منها باب فساد. فلما مات المجاهد رحمه الله قويت شوكة الفساد وازداد طمع ابن ميكائيل في البلاد ورأَى أن موت المجاهد من الأَسباب الدالة على ثبات سلطنته. فجع جموعه وسار من حرَض إلى المهجم في عسكر جرار.

إذا رفلوا لم يعرفوا البيض منهم ... سرابيلهم من مثلها والعمائم

ثم جرد العساكر إلى زبيد يتلو بعضها بعضاً. فلما علم السلطان بذلك جمع أَكابر أهل دولته وفرَّق فيهم الأموال وأمرهم باستخدام الرجال وحمل للأمير بهاءِ الدين حملاً وعلماً وأَمرهُ بالتقدم إلى زبيد. واستوزر القاضي جمال الدين محمد بن حسان. وتقدم ابن سمير في عسكر ابن ميكائيل يريد زبيد فكان وصوله إلى زبيد يوم الخميس الثاني عشر من شهر رجب في نحو سبعمائة فارس ورَجْل لا ينحصر. فلما حط في العرق قبالة زبيد تقدم من أصحابه أهل عشر من الخيل يطلبون الذمة ويستأْذون في الخدمة. وكان القائم يومئذ في زبيد أبو بكر بن علي بن مبارك الملقب ناصح الدين. وكان رجلاً عاقلاً وقوراً شديد البأْس حسن السياسة كريم النفس فأَذَمَّ للواصلين وكساهم للفور جميعاً وأَنفق عليهم نفقة جيدة وأضمر بالقيام على دوابهم وأَجرى لهم ما يقوم بكفايتهم بكرة وعشية. ولما

أصبح ابن سمير يوم الجمعة ركب في عسكره إلى باب المدينة فقاتله أهل زبيد قتالاً شديداً إلى أن حمى النهار وافترق الناس. فلما كان عشي يوم الجمعة خرج عسكر زبيد من الباب الشرقي وهو باب الشبارق. وركب ابن سمير في عسكره ومن معه من الخيل والرجل واشتد القتال إلى أن غربت الشمس فقتل من كل فريق جماعة وانهزم العسكر السلطاني وثبت ناصح الدين بن مبارك ثباتاً حسناً وثبتت معه جماعة من العسكر حتى رجع العدو ولم يظفر بشيءٍ وأمسى الناس في تلك الليلة في حراسة شديدة وحزم عظيم وأصبحوا يوم السبت على مصافهم من غير قتال فاستذم جماعة من الرَّجل ودخلوا المدينة. فلما كان ليلة الأحد وصل رسول جماعة من الأشراف إلى القاضي ناصح الدين يطلبون الذمة فأذم عليهم وعرَّف رسولهم أن يصلوا إلى ناحية باب القرتب ليلاً فلما وصلتهم الذمة خرجوا في ليلتهم من المحطة يتسللون وقصدوا باب القرتب ففتح لهم فدخلوا وكانوا نحواً من سبعين فارساً فكساهم القاضي ناصح الدين وأنفق عليهم كما أنفق على أصحابهم فلما اصبح يوم الأحد الخامس عشر من الشهر المذكور علم ابن سمير بما كان من الأشراف فاستوحش من بقية العسكر ولم يأمن إليهم ولا وثق بأحد منهم وخشي على نفسه التبعة. فطلب وجوه العسكر وفرَّق فيهم شيئاً من المال ووعدهم بالجامكية والأنعام عند وصول الخزينة. وانفرد بأكابرهم وقال لهم اعلموا أني أدرى منكم بالبلد وأهلها والمسافة بيننا وبين المهجم ثلاثة أيام ليس فيها مدينة معمورة ولا كلمة مسموعة وكل أهلها داعية فساد. والمصلحة أن نرفع المحطة إلى بيت الفقيه ابن عجيل. فاستصوبوا رأيه فانتقل بمحطته إلى بيت الفقيه فأقام فيها يوماً أو يومين ثم انتقل إلى القحمة. فلما استقر في القحمة وكانت يومئذٍ خراباً لا ساكن فيها أمر بعمارتها وأقام فيها هو ومن معه من العسكر. وفي يوم السادس عشر من شعبان حملت الرايات السعيدية الأفضلية. وفي شهر ذي القعدة أغار ابن سمير من القحمة إلى حارة وادي زبيد فحرق قرية المَوْقر وقتل من أهلها جماعة ولزم آخرين فسار بهم إلى القحمة وصادرهم بشيءٍ من المال.

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمر بن أبي بكر إسماعيل البريهي السكسكي بقرية ذي السّفِال. وكان فقيهاً فاضلاً ورعاً صالحاً عالماً عاملاً صوفيّاً جمع بين الطريقتين وحاز شرف المنزلتين. وكانت له كرامات ومقامات وكان مشاركاً في عدة من أنواع العلوم فقيهاً نحويّاً محدّثاً مفسراً صوفيّاً تحكم على يد جماعة من الفضلاء وحج بيت الله الحرام عدة سنين. وكان له مع العرب حكايات يطول شرحها وكان حسن الأخلاق عذب المنطق له صيت عظيم على التدريس. توفي إلى رحمة الله تعالى في شهر المحرم من السنة المذكورة رحمه الله ورضوانه عليه.

(231/1)

وفي سنة خمس وستين وسبعمائة نزل الأمير فخر الدين زياد بن أحمد الكاملي بالعساكر المنصورة الأفضلية من الأشراف والأكراد ونزل صحبته الأمير بهاء الدين بهادر السنسبلي وجماعة من

المماليك وكان نزولهم يوم العاشر من المحرم فدخلوا زبيد يوم الثالث عشر من المحرم المذكور. ثم انتقلوا إلى فشال يوم الرابع عشر فأقاموا إلى يوم الثاني والعشرين من الشهر المذكور وقصدوا ابن سمير إلى القحمة فلما علم بهم ابن سمير خرج إليهم فيمن معه من العسكر والأشراف والعرب. فكان يوماً ما بعده من الأيام فانهزم ابن سمير ومن معه هزيمة شديدة ولم يلتفت

ولكنه ولي وللطعن سورة ... إذا ذكرته نفسه لمس الجنبا

فقتل أخوه الأعور يومئذ وكان فارساً شجاعاً. وقتل الأمير شمس الدين على بن داود بن علاء الدين وهو ابن أخت الأمير نور الدين محمد بن ميكائيل وقتل من أَحابه عدة مستكثرة ودخل العسكر السلطاني القحمة فاحتووا على ما فيها من خيل وبغال وجمال وسلاح وأَثاث وغير ذلك. وافترق العسكر الذي كان مع ابن سمير واستذم بعضهم واهتزم الباقون. فأمسى خبر الهزيمة يومئذ في المهجم فخرج ابن ميكائيل منها في ليلته سائراً نحو حرَض. فأقام في حرَض أَياماً. فلما علم بوصول العسكر السلطاني إلى المهجم ترك حرَض وخرج منها يريد صعدة وفيه يقول الشريف مطهر بن محمد بن مطهر.

لجهلك لم تخش الذي بأسهُ يخشى ... ولم ترهب الأَفعى ولا الحية الرقشا

وأَرداك من منَّاك في الملك مثلما ... تردّى ضحى من ظهر ناقته الأَعشى

ولجت طموم البحر وهو غطمطم ... ومن ولج التيار لاقى به القرشا

أَغرّك إرخاء المجاهد سترهُ ... عليك ولم ينهاك منه لذي يخشا

عفى عنك صفحاً في الظلام إذا انجلى ... بفضل وإحسان وفي الليل إذ يغشى

فلما ثوى وابتزَّ في العزة ابنهُ ... وربك يعطي الملك من خلقه من شا

ففاجأَك العباس منهُ بصولةٍ ... فغشاك منهُ يا محمد ما غشا

وَليت فلم تؤْمن سريّاً ولم تخف ... غويّاً ولم تنه الفحوش عن الفحشا

فلما استوى العباس في الملك وانجلت ... دياجير للنظار في جنحها أَعشا

دعانا فلبينا نداهُ بعصبةٍ ... تَرُش الثرى من ضربها بالدما رشا

بهاليل من أبناء فاطمة التي ... قضى فضلها في الخلق من خلق العرشا

أَتوك ببيض ضربها يقطف الكلى ... ويختطف الأشلا ويخترق الأَحشا

فلما استقرت في فشال فشلتم ... كما فشلت للأسد في رعيهن الشا

ثمان ليال ظلمت جندك القنا ... كما جعلت بيض المواضي لها فرشا

أَلم تر أن الملك يؤتيه من يشا ... إله السما الجبار مبتدع الإنشا

تأَن وقف في حيث أوقفك القضا ... فمن فاته إيوانه سكن الحشا

ولما دخل العسكر السلطاني في القحمة أقام فيها يومه ذلك يوم الثلاثاء. ثم توجهوا نحو الكدراء ثم ساروا منها إلى المهجم. فكان دخولهم المهجم يوم الجمعة السادس والعشرين من المحرم فأَقام العسكر فيها أياماً. ثم توجه الأمير فخر الدين زياد الكاملي إلى حرَض فدخلها في صفر من السنة

المذكورة فجعل فيها الأمير سيف الدين الرومي أميراً وجعل معه طائفة من المماليك الأَجواد. واستوسقت البلاد كلها في أسرع مدة وعمرت القرى والمدائن. واتصل الناس بعضهم ببعض. واستمر القاضي ناصح الدين أميراً في المهجم وتفرَّدت الأحوال وزال الليث في غابةِ واستحق الحق في نصابه.

(232/1)

وفي شهر ربيع الآخر كان ختان أولاد السلطان الملك الأفضل وكان ذلك يوم الأحد الثالث عشر منه. وأسست المدرسة الأفضلية في ناحية الجبيل من تعز المحروسة يوم الجمعة الرابع عشر من شهر رجب من السنة المذكورة. ولما أن في زبيد وقت السبوت ندب السلطان رحمه الله الأمير شمس الدين علي بن الحسام وجماعة من بني حمزة فيهم الشريف قاسم بن أحمد صاحب الموقر فأَقاموا في النخل أياماً كما جرت العادة. فكان فساد القرشيين في كل يوم يزداد. فلما كان ليلة الثامن عشر من شوال اجتمعوا وهجموا النخل. وكان مشدة يومئذٍ القاضي برهان الدين إبراهيم بن يوسف الجلاد. فنهبوا طائفة من النخل فخرج العسكر في طلبهم وكانوا قد جعلوا عدة مكامن. فلما توسط العسكريين المكامن انبعث العدوّ من كل ناحية فقتل من العسكر جماعة الخيل فيهم الشريف قاسم بن أحمد صاحب الموقر وقتل من الرجل طائفة وغشيهم الليل. ووصل في تلك الليلة الأمير بهاء الدين السنبلي من القحمة فاتاه الخبر عشاء فركب من فوره يريد النخل فدخله آخر الليل واجتمع بالمقدّمين فأقاموا في النخل محوا من خمسة عشر يوماً حتى انقضى أمر النخل وارتفع رسمه. فلما ارتفع رسم النخل وصل الطواشي صفي الدين أبو مَلْعق في أول شهر ذي القعدة بخزانةٍ جيدة وعسكر جيد فيهم الشريف جمال الدين محمد بن تاج الدين الحمزي صاحب الطَّوِيلَة والأمير شجاع الدين حسين ابن حسن بن الأسد الكردي فأَنفق الطواشي صفي الدين على العساكر جميعاً وقصدوا القُرَيْشِيةَ يوم السابع من القعدة فقتل من وجوه الفريشيين وشجعانهم نحواً من مائة رجل من أَجوادهم وفرسانهم وشجعانهم ومشاهير رجالهم. وفي جملة من قتل منهم يومئذ عبد الله بن محمد بن عمر بن غراب وكان أحد الفرسان المشهورين في زمانه فراسة وشجاعة ونهبت القرية نهباً شديداً ورجع العسكر من فوره إلى زبيد ظافراً منصوراً. فأقام العسكر في زبيد أَياماً. ثم خرج الأمير بهاء الدين بهادر السنبلي فحط في القرِيْشِيةَ وكان أهلها قد انتقلوا منها إلى العَرمَة فلما صاروا هنالك طلبوا الذمة وسلموا نصف الخيل التي معهم ورهنوا عدة من أولادهم فأذم عليهم السلطان ورجعوا إلى قريتهم.
وفي سنة ست وستين وسبعمائة كان رجوع أهل القرية إلى بلادهم وفيها استمر الأمير سيف الدين الخراساني مقطعاً في حرض وانفصل عنها الأَمير سيف الدين الرومي وأقطعه السلطان القحمة.
وفي هذه السنة أوقع الأمير فخر الدين زياد بن أحمد الكاملي بالمعازبة فقتل منهم مقتلة عظيمة.
وسار العسكر المنصور إلى المدبي فقطعوا شيئاً كثيراً من نخلة وذلك في شهر شعبان من السنة

المذكورة وفي شهر رمضان نزل محمد بن ميكائيل من صعدة إلى المنيعة من أعمال حرض في عسكر كثيف من الخيل والرجل فواجهه عسكر السلطان هنالك. فانهزم ابن ميكائيل هزيمة شديدة وقتل من أصحابه جمع كثير فيهم أربعة من الفرسان ومن الرجل نحو من مائة وسبعين. ونزل السلطان زبيد في شوال فأقام فيها أياماً ثم تفرج في النخل وكذلك في البحر ثم توجه نحو الجهات الشامية لقبض خيول العرب فقبضها بأسرها في مدة يسيرة ثم عاد إلى زبيد.

وفي سنة سبع وستين طلع السلطان إلى تعز بعدة من خيول العرب نحو من مائتي رأس ووصل ابن سمير إلى السلطان على الذمة الشريفة وكان وصوله يوم الخميس الرابع من شهر صفر من السنة المذكورة.

ووصل الملك المظفر إلى حوض في عسكر جرار من أصحاب الإمام فنهض إليهم صاحب حرَض فانهزموا ورجعوا من غير قتال. ووصل رسول صاحب ظفار الحبوضي وهو الفقيه أبو محمود بهدية وتحف وطلب لصاحب بلاده نيابة من السلطان فكتب له بذلك وذلك في شهر جمادى الأخرى.

وفيها تقدم القاضي جمال الدين سفيراً إلى الديار المصرية وصحبته من الهدايا والتحف ما يليق بحال المُهْدِي والمُهْدِى إليه. وكان تقدمه في اليوم العاشر من شهر ربيع الأول من مدينة تعز.

(233/1)

ووصل محمد بن الفهد صاحب ثُلاَ إلى الأبواب السلطانية مستوفداً فأكرمه السلطان وأنصفه ووصل جماعة من الأشراف المعدودين إلى الأبواب المكرمة صحبة الأمير عماد الدين يحيى بن أحمد الحمزي فقابلهم السلطان بالإكرام والإنعام العام. وفي شهر رمضان من هذه السنة المذكورة وقع في تعز مطر عظيم اخرب بستان المحلية وعدة من قصورها ومنازل كثيرة هلك فيها كثير من الناس سحبهم السيل من البيوت وكانت مطرة لم يعهد مثلها.

وفي هذه السنة توفي الأمير سيفد الدين الرومي وكان أميراً كبيراً جليلاً عاقلاً حسن السيرة مقداماً مهذباً. وكان وفاته في مدينة القحمة وهو مقطع بها رحمه الله تعالى.

وفي سنة ثمان وستين وسبعمائة وصل القاضي جمال الدين محمد بن علي الفارقي من الديار المصرية بالهدايا من صاحب مصر والمماليك. وكان وصوله يوم الثامن من شهر صفر. وفي شهر ربيع الأول أمر السلطان بحمل أربعة أحمال طبلخانة وأربعة أعلام للأمير سيف الدين طغى الأفضلي.

وفيها قصد الملك المظفر وابن اليماني فخرج إليهم صاحبها في عسكره لقتالهم فانهزموا ورجعوا خائبين وذلك في شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة.

ووصل رسول صاحب كنباية ورسول ملك السند بالتحف والهدايا إلى الأبواب السلطانية ووصلوا بغراسات شجر الفلفل الأحمر والأصفر والأزرق واستمر الأمير صارم الدين داود بن موسى بن

حبابر أَميراً في الشجر. وكان سفره من عدن يوم السادس والعشرين من شوال.
وفيها استمر الأمير بهاء الدين الظفاري مقطعاً في حرض والقاضي جمال الدين محمد بن إبراهيم الجلاد مقطعاً في فشال.
وفي هذه السنة توفي الأمير الكبير بهادر السنبلي وكان أَميراً كبيراً شجاعاً مقداماً فارساً مشهوراً وكان من أعيان الأمراء في الدولة المجاهدية. ونال من الملك المجاهد شفقة تامة وهو الذي أنشأه وحمل له أربعة أحمال من الطبلخانة وأربعة أعلام وأقطعه مواضع عديدة من جهات المملكة اليمنية وكان مشهوراً بالشجاعة والفراسة وكانت وفاته يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى.
وفي هذه السنة توفي الفقيه الإمام البارع أبو الفضل بن أحمد بن عثمان ابن أبي بكر بن بصيص النحوي الحنفي الزبيدي بفتح الزاي وضمها. وكان إمام الحفَّاظ وشرف النحاة وختام الأدباء انتهت إليه رياسة الأدب. وكانت الرحلة إليه وكان بارعاً في فهمه وله تصانيف مفيدة وأشعار جيدة شرح مقدمة ابن بابشاذ واخترمته المنية قبل تمامه وهو شرح جيد مفيد انتحل فيه الأسئلة الدقيقة وأجاب عنها بالأجوبة الحقيقة وهذب منهاجها ونشر مقاصدها. وله المنظومة المشهورة في العروض. ولم يزل على حسن طريقه باذلاً جهده إلى أن توفي في يوم الأحد الحادي عشر من شهر شعبان من السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى.
وفيها توفي الفقيه الصالح تقي الدين عمر بن عبد الله المكي الفقيه الحنفي المحدث. وكان فقيهاً محدثاً عارفاً مشاركاً في عدة من فنون العلم تفقه في زبيد على الفقيه برهام الدين إبراهيم بن عمر العلوي والفقيه موفق الدين علي بن نوح والقيه صارم الدين إبراهيم بن مهنا وطلب تدريس الحديث في المدرسة المجاهدية لتعز سنة سبع وأربعين. وكان حسن التدريس فاستمر في المدرسة المذكورة إلى أن توفي في شهر رمضان. وكان مولده على ما قيل سنة ثلاث عشرة وسبعمائة في مدينة زبيد رحمه الله تعالى.
وفي سنة تسع وستين استمر الأمير بهاءُ الدين بهادر المجاهدي أميراً في مدينة زبيد فحدث فيها ما حدث من الفساد. فأمر السلطان الأمير علاء الدين شنجل والياً وعزل البهاء المجاهدي.

(234/1)

وفي هذه السنة حصل في المعازبة قتل كثير واحتز منهم اكثر من خمسين رأساً. وفيها قبض حصن خَدَد ومعشاره بالشوافي وانفصل الأمير بهاء الدين الظفاري من حرض. واستمر فيها الأمير سيف الدين طغى الا فضلى وكان حاد المزاج قريب النفس كثير الغيظ قليل الاحتمال ضعيف السياسة. وكان أشراف حرض غير محتكمين فلما رأى ما هم عليه من الخلوج والخروج عن الطاعة ظاهراً وباطناً لم يجرهم على ما يعتادونه من المقطعين فتنافرت القلوب بينهم وبينه. فلما رأى ذلك منهم

قبض على جماعة منهم وحبسهم عنده فطالبوه بإخراجهم مطالبة حثيثة فقتلهم فنزع الباقون أيديهم عن الطاعة. فلما علم السلطان بما كان منهم ومنه نزعه عن البلاد خوفاً وحسماً لمادة الفساد وأعاد الأمير بهاء الدين الظفاري وقد كانوا يعرفونهُ فلم ينفق له استصلاح قلوبهم فأصرُّوا على الخلاف والمنافرة قولاً وفعلاً.

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أسعد بن علي بن منصور المعروف بالنظاري رحمهُ الله نسبة إلى قرية في بعدان تسمى النظار ونسبه في ذي رعين. وكان فقيهاً فاضلاً حسن السيرةِ صالح السريرةِ اخذ عن جماعة من كبار العلماء كالفقيه إبراهيم العلوي والفقيه إبراهيم الوزيري. توفي مبطوناً في غرة ذي الحجة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه الفاضل أبو بكر بن أحمد بن درُّوب وكان فقيهاً فاضلاً تفقه بعمر بن المقرئ من بلده وأخذ الحديث عن عثمان الدناني من أهل وصاب. وكان وفاة الفقيه المذكور في شهر ذي الحجة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه البارع أحمد بن عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سلمة الحبشي الوصابي. وكان مولده سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة. وكان فقيهاً فاضلاً له شهرة طائلة وشيمة فاضلة مشار كافي كثير من العلوم وله عدة تصانيف مفيدة منها كتاب الإرشاد إلى معرفة ساعات الإعداد وهو تصنيف عجيب وله ديوان شعر كله حسن جيد ليس له في زمانه نظير. تفقه بابيه واحمد عن أبي جبريل المقدم وعن قاضي عبد الأكبر. وانتفع به جماعة كثيرة. وكان وفاته في سلخ المحرم من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه البارع أبو بكر بن علي بن موسى الهاملي الملقب سراج الدين وكان فقيهاً فاضلاً جليل القدر عارفاً بالفقه على مذهب الإمام أحمد رحمه الله تعالى. وكان فروعياً أصولياً نحوياً لغوياً منطقياً شاعراً فصيحاً بليغاً نظم بداية المهتدى نظماً جيداً ودرَّس في المدرسة المنصورية بزبيد. وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفي سنة سبعين وسبعمائة قبض السلطان حصن القاهر وقبض من مشايخ العنسيين نحواً من ثمانية عشر شيخاً وقتلهم جميعاً.

وفي شهر جمادى الأولى تقدم السلطان إلى محروسة الدملؤَة وصحبته خزانة عدن وتهامة وجملة من هدايا تجار الكارم ووضعها في الخزائن المعهودة ووصل السفراء من الحبشة بالهدايا والتحف في شهر شوال من السنة المذكورة.

وفيها وصلت هدية صاحب كاليقوط ووصل شيء كثير من غرائب الأشجار والأطيار فأمر مولانا السلطان بالأشجار فغرست في بستان دار الديباج وفيه فل أبيض وفل أصفر وردُ وغير ذلك.

وفي شوال لزم الأمير سيف الدين طغى أمراء الأشراف بحرض كما ذكرنا وقتلهم في الشهر المذكور. ونزل السلطان إلى محروسة زبيد فعزل الامير علاء الدين شنجل وأمر الأمير شهاب الدين أحمد بن سمير والياً في زبيد. وأقام السلطان في زبيد أياماً ثم توجه نحو المهجم فبسط ابن سمير يده

في البلاد وصادر الناس مصادرات عنيفة لا أصل لها. ولزم أناساً وحبسهم من غير سابقة واتلف بعضهم وطلب من بعضهم مطلباً عنيفاً فافتدوا أنفسهم منه بما طلب. ولم يزل على هذا الأمر إلى أن رجع السلطان من المهجم فلما استقر ركابه العالي في مدينة زبيد أمر بالقبض عليه واستمر عوضه الأمير علاء الدين شنجل وصودر مصادرة قبيحة على يد القاضي رشيد الدين عمر بن أحمد الشتيري.

(235/1)

وفي هذه السنة المذكورة تصدَّق السلطان رحمه الله تعالى على كافة الرعايا في سائر جهات المملكة اليمنية بان يمسح بالذراع المظفري فسماء الناس الأفضلي لكونه الذي أجراه لهم صدقة تامة وعامة لا يختص بها أحد. دون أحد وهي من إحدى فعلاته المشهورات. وأجرى لبعضهم مزال خمس فيما تدور عليه الحبال ولبعضهم مزال الربع صدقة مؤبدة يتصل بها القوى والضعيف رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

وفيما استمر القاضي سراج الدين عبد اللطيف بن محمد بن سالم مشدًّا في وادي زبيد المبارك.

وفيها توفي القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن عمر اليحيوي. وكان غلمان الدولة المجاهدية ولي إمارة الجند في آثام المجاهد ونال من المجاهد شفقة تامة وكان محباً للصوفية وينسب إليهم. وولى نظر الأوقاف في الدولة الأفضلية. وكانت وفاته ليلة الثلاثاء السابع من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

(236/1)

وفي سنة إحدى وسبعين خرج الأشراف بحرض على الأمير بهاد الدين الظفاري ورفعوا أيديهم عن الطاعة ووصلهم السيد إبراهيم بن يحيى الهدوي والأمير نور الدين محمد بن ميكائيل في عسكر كثيف وجماعة من بني حمزة فحصروا الأمير بهاء الدين في دار حرض أياماً كان يقاتلهم بكرة وعشية فخانه جماعة من أصحابه وأسلموه. فلما رأى ما نزل به استأمن من الشريف شمس الدين علي بن محمد المسمى مسلة وخرج متوجهاً إلى اليمن. وكان السلطان رحمه الله تعالى قد ندب القاضي جمال الدين محمد بن عمر الشريف والقاضي تقي الدين عمر بن محمد بن محيا في جماعة من العسكر لجباية الأموال في الجهات الشامية. فلما صاروا في المهجم نزل الأشراف على حرض كما ذكرنا وحاصروا الأمير بهاء الدين فكتب القاضي جمال الدين محمد بن الشريف إلى مقام السلطان يحقق له حقيقة ذلك الأمر ويستمده بالعسكر فأمده بالأمير شمس الدين على بن إسماعيل بن إياس والأمير سيف الدين طغى. فلما استولى الأشراف على حرض أقاموا فيها أياماً ثم توجهوا نحو المهجم فارتفع الشريف ومن معه إلى الكدراء ووصله الأمير شمس الدين علي بن إياس

والأمير سيف الدين طغى.فلما وصل الأشراف المهجم أقاموا فيها اياماً ثم توجهوا نحو الكدراء فارتفع ابن الشريف وسائر عسكر السلطان إلى القحمة. وكان في القحمة يومئذ فخر الدين زياد ابن أحمد الكاملي فاجتمع العسكر عنده واستعدوا لقتال فقصدتهم الأشراف إلى القحمة يوم الأربعاء ثالث عشر شهر جمادى الأولى. وكان السلطان قد أرسل بخزانة جيدة صحبة الأمير شمس الدين بن إياس خارجاً عن خراج الجهات الشامية التي تحت يد ابن الشريف فاقترفت كلمة المقدمين وأمسك كل منهم ما عنده من المال ولم ينفقوا على العسر شيئاً فقصدهم العدوّ وهم على غير اتفاق فتخاذلوا وانهزموا وقتل ابن الشريف والقاضي تقي الدين عمر ابن محيا والأمير سيف الدين طغى وقتل جماعة من الغز والعرب وأسر الأمير فخر الدين زياد بن أحمد الكاملي وانهزم ابن إياس في بقية العسكر إلى زبيد فلما دخلوا زبيد على هذه الحالة أجتمع أرباب الفساد من كل ناحية واختلف العوارين بالليل على قتل ابن إياس. فلما أصبح يوم الخميس الرابع عشر من الشهر المذكور ركب ابن إياس إلى دار السلطان وركب بركوبه أمير المدينة وهو الأمير فخر الدين أبو بكر بن نور ومشدّ الوادي يومئذ وهو القاضي سراج الدين عبد اللطيف بن محمد بن سالم وناظر البلاد وهو الأمير جمال الدين محمد بن على العرس وصاحب فشال وهو القاضي جمال الدين محمد بن إبراهيم الجلاد. واتفقوا جميعاً على أن يعدوا العسكر فاجتمع العوارين من أهل زبيد ومن انضم إليهم من غيرها وتقدموا إلى الأمير شمس الدين ابن إياس وطالبوا بالنفقة عليهم كسائر العسكر فشتمهم الأمير شمس الدين وزجرهم بالكلام ووبخهم وأمر العسكر بلزمهم وكانوا نحواً من عشر رجال وهم أعيانهم ولم يعلم أن على باب الدار منهم جمّاً غفيراً. فلما أمر بلزمهم بطش بهم العسكر فامتنعوا بسلاحهم وصفر الصافر وكان أمر الله قدراً مقدوراً فانقلبت المدينة بمن فيها من عوارين البلد وعوارين الشام وسائر العرب العرباء على العسكر فنبهوهم في ساعة واحدة. وكانت المدينة قد امتلأت بالعربان والعسر من الشام وكان في ظن الأمير أن كافة العربان الواصلين من الشام يقولون بقوله ولم يعلم أن الجميع داعية فساد وطمع. فلما رأى ما رأى من السواد الأعظم قام هارباً وهرب سائر المقدمين المذكورين وافترق العسكر فدخل الأمير موضعاً من الدار فتبعه جماعة من العوارين فقتلوه وصت صلاة المغرب من ليلة الجمعة الخامس عشر من الشهر المذكور. فلما أصبح صبح يوم الجمعة حمل من موضعه ذلك وغسل وكفن ودفن في داخل المدينة قبالة باب الشبارق عند المسجد المعروف بمسجد السدرة.

(237/1)

ولما طلعت الشمس يوم الجمعة الخامس عشر من الشهر المذكور وصل الأشراف بأجمعهم إلى مدينة زبيد وحطوا في البستان الشرقي ودخل الشريف يحيى بن حمزة الهدوي في جماعة من أصحابه من السور برأي بعض العوارين فوقفوا في المدينة ساعة يدورون على بيوت غلمان السلطان

ويتأَملونها وأَمر صائحاً يصيح بذمة الله وذمة الإمام على كافة الناس ثم قال لمن معه من العوارين افتحوا الباب للعسكر يدخلوا المدينة له رجل من مشايخ العوارين يقال له ابن العدني المصلحة يا شريف أن ترجع إلى أصحابك وتمهلونا هذه الليلة حتى نجتمع بأكابر أَهل البلد. فقال له وهل في البلد من هو أكبر منكم قال نعم معنا فقهاء وتجار ورعية ومن لا نتعدى أمرهم فان رضوا بكم فتحنا لكم الباب ومرحباً بكم وإن لم يرضوا بكم فيا حجر يا حجر ويا سيف يا سيف ويعطى الله النصر من يشاءُ. فقال الشريف وما في الكلام إلا هذا قال له نعم. فرجع الشريف هو وأصحابه الذين معه وكانوا نحواً من سبعة أو ثمانية نفر فانزلوا من الدرب ورجعوا إلى أصحابهم واشتد القتال ساعة من نهار. وكان هذا قبل زوال الشمس من يوم الجمعة الخامس عشر من الشهر المذكور. فلما زالت الشمس وحضر وقت الصلاة لم يحضر الجامع من الناس إلا وأقل من نصفهم بل من ثلثهم وتأَخر كثير من الناس ولم يحضر القاضي ولا الخطيب وغاب كثير من الأعيان فتأهب الناس لصلاة الظهر فقام الفقيه أبو بكر الوصابي المعروف بالمكي فصعد المنبر وخطب خطبة مختصرة ولم يذكر السلطان فيها فبكي كثير من الناس بكاءً شديداً حتى كانوا كأَن بين أيديهم ميتاً. ثم نزل وصلى بالناس فلما انقضت الصلاة خرج الناس بأجمعهم إلى موضع شرقيّ الجامع يقال له المبرك وأرسلوا للعوارين فوصل جماعة منهم فقال لهم الحاضرون يا مشايخ ما هذه الأفعال التي فعلتموها في البلاد قتلتم نائب السلطان ونهبتم غلمانه ونهبتم المدينة ما عرفنا ما مرادكم أن كان غرضكم أن تسلطنوا واحداً منكم فقولوا لنا وإن كان عزمكم على دخول الأشراف فانصحونا وان كانت البلاد بلاد السلطان عرفتم الناس بما أنتم فاعلوه فمن أحب الوقوف في البلاد وقف ومن أحب الخروج عنها خرج فعرفونا عزمكم الذي قد عزمتم عليه فقالوا والله يا فقهاء ما نحن إلا عبيد السلطان وغلمانه لو يقصنا بالمقص ما رضينا بأحد غيره فقال لهم الحاضرون إنا نخشى أن يأتي غيركم من أصحابكم ويقول غير هذا القول قالوا والله يا فقهاء ما أحد يقدر أن يقول غير هذا القول أبداً ولو كنا نريد الأشراف كنا قد فتحنا لهم الأبواب ولكن والله يا فقهاء ما نقدن إلا من قدمتم ولا نؤَخر إلا من أَخرتم وما أشرتم به علينا قبلناه. قالوا فتقدموا إلى عند الأمير سيف الدين الخراساني فانه عبد السلطان وأولى من حفظ بلاده ولا تتهمه في شيءٍ فتقدموا بأجمعهم إليه ودخلوا عليه وقالوا من حفظ بلاده ولا نتهمه في شيءٍ فتقدموا بأجمعهم إليه ودخلوا عليه وقالوا يا مولانا أنت عبد السلطان وغلامه وهذه بلاد السلطان فاحفظها ونحن نقاتل بين يديك ولا يتخلَّفُ أحد منا عن القتال. فقال الأمير سيف الدين وأنا انفق عليكم وعلى كافة الناس ذهباً وفضة. فصاح الصائح بالأمان وبذمة السلطان على كافة الناس فظهر حينئذ من العسكر أناس كانوا مختفين في المدينة نحواً من مائة وثلاثين فارساً من عسكر السلطان واجتمع من الرجْل شيء كثير.

ولما أصبح صبح يوم السبت السادس عشر من الشهر المذكور ولم يظهر من أهل المدينة على الأشراف علم ركب الأشراف بأجمعهم وداروا حول المدينة فوجدوا الدرب من ناحية باب النخل متخلخلاً ففتحوا الحرب من هنالك فقاتلهم أهل المدينة قتالاً شديداً فقتل من أهل المدينة نحو من أربعة عشر إنساناً بالنشاب وقتل من الأشراف فارس واحد كان قد نزل عن فرسه وقاتل رجَّالاً حتى وصل إلى اسفل الدرب وأراد أن يطلع الدرب قهراً فواجهه رجل من العوارين يقال له دهيس فتطاعنا مليّاً فأصابت الشريف طعنة كان فيها اجله وقتل جماعة من رَجْلهم ورجعوا إلى محطتهم في البستان الشرقي ولم يكن بعد ذلك اليوم قتال ولم يزالوا في محطتهم والأبواب مغلقة إلى يوم الثاني والعشين من الشهر المذكور. ثم استمروا راجعين إلى الشام فكانت إقامتهم بالكدراءِ. ولما ارتفعت المحطة عن زبيد وصل الطواشي أمين الدين أهيف في عسكر جيد من الباب السلطاني فتخوف منه أعوارين وأغلقوا أبواب المدينة فوقف في البستان السلطاني خارج المدينة فاشتد خوف العوارين منه وتواترت الإمداد إلى الطواشي. فكان العوارين يحرسون الأبواب حراسة شديدة والطواشي يظهر لهم انه لا حاجة له في دخوله المدينة وإنما وقوفه لانتظار باقي العسكر. ثم يتقدم إلى الجهات الشامية في العساكر كلها ثم طلب مشايخ العوارين وحلفهم على حفظ المدينة وكساهم كسوة جيدة وأوجدهم انه متوجه إلى الشام وان السلطان لم يأْذن له في الدخول إلا عند رجوعه من الشام فآمنوا وما آمِنوا. ولم يزل الطواشي يرقب غفلات العوارين عن حراسة الباب حتى اطمأَنوا وملوا من طول الحراسة. فلما كان يوم الأربعاء الثالث من شهر رجب أشعر الطواشي على العسكر أن يكونوا على أُهبة. وجاءته عيونه فأخبروه أن الباب مفتوح وليس هنالك أحد من العوارين. فأَمر جماعة من الخيل فساقوا إلى الباب فملكوه فأمر الطواشي أن يسقط أحد المصرعين من الباب الأول وكذلك من الباب الثاني فاسقط وصرخ الصارخ في المدينة فما وصل أول العوارين إلا وقد دخل العسكر فركب الطواشي حينئذٍ واستنهض باقي العسكر من الخيل والرجل ووقف هو خارج المدينة وأمر العسكر بالدخول ولم يزل واقفاً موضعه حتى أتى بعدة رؤوس من القتلى. ثم دخل وأمر جماعة من العسكر يدورون حول المدينة يتلقون الهارب فكان يوماً عظيماً ونهبت المدينة نهباً شديداً وقتل في ذلك اليوم نحو من أربعين رجلاً. ولما كان عند آذان العصر أمر صائحاً يصيح بأمان الناس وترك النهب ولا أمان على المفسدين. ولما كان يوم الخميس الرابع من الشهر المذكور جرد الجرائد إلى القرى في طلب المفسدين فكان يؤتى بهم ولا خطاب لهم إلا السيف.

وفي هذا التاريخ قيد الأمير فخر الدين زياد بن أحمد الكاملي في المهجم وصدروا به إلى صعدة في جماعة من الخيل والرجل ولما صاروا به في حد بلاد القائد ففكه القائد وأطلقه وطرد العسكر الذين كانوا معه مجردين إلى صعدة وقال له القائد توجه حيث شئت فطلع حصن المنابر ثم نزل منه إلى ملحان وكان هنالك يومئذٍ العفيف عبد الله بن الهليس. ثم خرج من ملحان إلى الصباحي ثم إلى قرن عامر.

وفي آخر شهر شعبان خرج الطواشي من زبيد يريد القرشيين وكانوا قد انتقلوا إلى العرمة فقصدهم

إلى هنالك فقتل منهم محمداً البابلي فارساً شجاعاً مشهوراً وقتل معهُ جماعة من الرجل فأرسلوا للأشراف إلى الكدراء وللعوارين إلى الجبل فوصلوهم فاجتمع من الأشراف والعوارين والقرشيين جمع كثير فقصدوا زبيد. وكان الطواشي مقيماً في القوز وكان يأمر العسكر بالركوب والتيسر إلى الأماكن النازحة. فلما كان يوم الأحد السابع عشر من رمضان ركب من العسكر نحو من مائة فارس وساروا نحو وادي رمع فواجههم الجم الغفير من الأشراف والعوارين والقرشيين. فأرسل المقدم من يعلم الطواشي ويستنجده وواجههُ القوم فقاتلوا قتالاً شديداً وثبت كل حزب للآخر. فبينا هم كذلك إذ وصل العسكر وهم مشتغلون في القتال فانهزم الأشراف والعوارين والقرشيون ومن معهم هزيمة شديدة وقتل منهم يومئذٍ نحو من خمسين رجلاً فيهم عدة من مشاهير العوارين وباقيهم من الأشراف والقرشيين.
ولما كان أواخر شهر شوال نزل الأمير فخر الدين أبو بكر بن بهادر السنبلي في عسكر جيد من الباب الشريف فارتفع بعض الأشراف من الكدراء إلى المهجم.

(239/1)

وفي شهر ذي القعدة نزل من بني حمزة جماعة فلما دخلوا المهجم أقاموا فيها أياماً قلائل وخرجوا منها عاصين يريدون بلادهم. فلما صاروا في أثناء الطريق قصدوا ملحان يريدون العفيف عبد الله بن الهليس فأكرمهم وانصفهم وأرسلهم إلى الأمير فخر الدين زياد بن أحمد فوصلوه في آخر ذي القعدة وفي أول ذي الحجة ارتفع السيد إبراهيم وبقية العسكر من الكدراء إلى المهجم حين سمعوا بوصول عسكر السلطان والأمير فخر الدين أبي بكر بن بهادر السنبلي. فلما كان يوم الجمعة العاشر من ذي الحجة ارتفعوا من المهجم إلى المحالب فأمسوا فيها ليلة واحدةً وأمسوا سائرين لا يلوى أحد على أحد.
ودخل الأمير فخر الدين المهجم يوم السبت الحادي عشر من ذي الحجة ودخل الأمير فخر الدين أبو بكر السنبلي يوم الأحد الثاني من ذي الحجة المذكور فأقاموا في المهجم أياماً وتقدموا إلى حرض فأقاموا فيها أياماً قلائل ورجع زياد إلى السلطان وأقام ابن السنبلي بها مقطعاً.
وفي هذه السنة توفي الأمير الكبير شهاب الدين أحمد بن سمير وكانت وفاته في المصادرة ثاني يوم المحرم أول السنة المذكورة.
وفيها توفي الفقيه شمس الدين علي بن محمد بن يوسف العلوي تحت المصادرة أيضاً مع القاضي سراج الدين عبد اللطيف بن محمد بن سالم وفي سنة اثنتين وسبعين نزل السلطان إلى محروسة زبيد وكان دخوله المدينة يوم الخامس من جمادى الأولى وكان الوالي في زبيد يومئذ الأمير فخر الدين أبو بكر بن المفضل الخرازي ففصله عن ولاية زبيد وولاه مدينة فشال فقال مشايخ القرشيين فاعمل الحيلة في وصولهم إليه فلم يصلوا فأمَّر السلطان الأمير فخر الدين أبا بكر بن السنبلي في جماعة من العسكر إلى القرشية ولقيهم بن الخرازي من فشال. فلما صاروا في القرشية طلبوا مشايخ

القرشيين لسبب المباشرة في بلادهم فوصل معظم المشايخ وتأَخر آخرون فأمر ابن السنبلي بالقبض عليهم وكانوا ستة عشر رجلاً فقيدهم ووصل بهم يوم السبت السادس عشر من الشهر المذكور.
وكان صاحب القحمة قد لزم الشيخ محمد ابن حجر وأربعة من قرابته وأرسل بهم إلى السلطان فأودعهم السجن. فلما لزم مشايخ القرشيين كما ذكرنا أمر السلطان بتلف الجميع فوسط منهم خمسة نفر وسمر ثلاثة وشنق الباقون. وذلك في يوم الأحد السابع عشر من جمادى الأولى من السنة المذكورة. وكان فيهم من مشايخ القرشيين وأعيانهم الشيخ علي بن محمد بن عمر بن غراب وولده الذي يقال له الكندروس والشيخ عمر حوالي وولده حميضه والشيخ محمد بن عمر بن عروة والشيخ محمد بن علاء الدين وأباح السلطان قريتهم وأجلاهم عنها واسكنها قوماً آخرين وتشتت القرشيون في البلاد وصاروا من طوائف الفساد.
وأقام السلطان في زبيد جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجباً وشعبان ورمضان وشوالاً وذا القعدة وذا الحجة. وفي ذي الحجة استمرَّ الطواشي أمين الدين أَهيف. وكان استمراره يوم الحادي عشر من ذي الحجة المذكورة فاستمر في ولايته إلى أن هلك في تاريخه الآتي ذكرهُ أن شاء الله تعالى. وهي الولاية المشهورة. كان يحكم وهو في زبيد على من في عدن وفي تعز ومن في حرض. وكان يحكم على ما وراء البحر من أهل عوان وزيلع وغيرها من البلاد الشاسعة. ذلك أنهُ كان إذا اشتكى إليه إنسان بغريم له غائب عن البلاد وأعمالها وكان في أي بلد من بلاد السلطان كتب له محضراً وأرسل بهِ جماعة من الجند والأعوان فإما أرضى خصمه وإلا وصل وقام بحجته فان امتنع عن الوصول أَو التسليم الزم الطواشي أهله وأقاربه أو وكيله أو عبيده بتسليم ما توجه عليه وان لم يكن له عاقلة في البلاد الزم الواصلين من أهل بلده الذي هو فيها إذ وصلوا إلى زبيد بتسليم ما يتوجه عليه. وكان السلطان قد أطلق يده في البلاد فلا يعلوا أمره أمر.

(240/1)

وفي سنة ثلاث وسبعين تقدم الركاب العالي إلى محروسة تعز في شهر المحرم. وفي هذه السنة نزل الشريف نور الدين محمد بن إدريس بن تاج الدين الحمزي في طائفة من الأشراف أصحاب المشرق ووافقهم الأمير نور الدين محمد ابن ميكائيل وانضم إليهم الشريف جمال الدين محمد بن سليمان بن مدرك فقصدوا حرض وكان فيها يومئذ الأمير فخر الدين زياد بن أحمد الكاملي فعاثوا في البلاد.
وطلع الأمير فخر الدين إلى باب السلطان مستمدّاً فكساه السلطان كسوةً فاخرة وانعم عليه وجرَّد معه عسكراً من الباب وجماعة من بني حمزة وأمره أن يأخذ من الرتب ما شاءَ. فنزل في عسكر جرار وخزانة جيدة. وكان نزوله في أول شهر ربيع الآخر فتوجه نحو المهجم وقد استقرَّ فيها ابن ميكائيل وأصحابه المذكورون وابن همائيل ومن معهم. واشتد القتال بينهم ساعة من نهار ثم انهزم ابن ميكائيل وأصحابه الأشراف هزيمة شديدة وقتل الشريف محمد بن إدريس في نحو من مائة إنسان.

وكانت الوقعة آخر النهار فلما حصلت الهزيمة في ذلك الوقت سترهم الليل فاتخذوا جملاً وحملت رؤوس المقاتيل إلى السلطان وهو في تعز. ثم نزل السلطان إلى تهامة في النصف من جمادى الأولى وسار الأمير فخر الدين إلى حرض ونواحيها فخالف عليه أهل جازان وانضم إليهم أصحاب المخلاف السليماني فقصدهم الأمير فخر الدين في عساكره إلى جازان وحط عليهم حتى أذعنوا إلى الصلح بعد أن قتل منهم جماعة في شوال.

وفي هذه السنة توفي الطواشي صارم أدين نجيب زمام الباب الشريف وكان سيد الزمامية في عصره حليماً كريماً خطاطاً كريم النفس حسن الأخلاق قل أن يكون مثله في أبناء جنسه وكان وفاته في مدينة الجوة وقبر هنالك رحمه الله تعالى.

وفيها توفي القاضي جمال الدين محمد بن حسان الوزير وكان رجل الزمان عاقلاً كاملاً لبيباً مهيباً صاحب البأس الشديد والرأي السديد وكان سيد الوزراء في زمانه كامل الأوصاف حسن السيرة جيد التدبير نصوحاً لهُ عزم وحزم

قليل الكار لو كانت البيض والقنا ... كآرائه ما أعيت البيض والرعف

يقوم مقام الجيش تقطيب وجهه ... وتستعرف الألفاظ من لفظه حرف

رحمه الله تعالى وفيها توفي الفقيه الإمام البارع برهان الدين إبراهيم بن عيسى بن مطير الساكن في أبيات حسين من نواحي سردد وكان فقيهاً نبيهاً عالماً عاملاً صالحاً ورعاً زاهداً حسن المذاكرة مبارك التدريس محبوباً عند الخاص والعام توفي ليلة الجمعة الرابع والعشرين من ذي القعدة من السنة المذكورة. وكان ميلادهُ ليلة الاثنين لأربع بقين من شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث عشرة وسبعمائة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه الفاضل المتقن المحقق جمال الدين أبو زيد محمد بن عبد الرحمن بن أبى السراج بن عثمان الأشعري السدوسي الحنفي. وكان فقيهاً عالماً عاملاً فطناً ذكيّاً ورعاً له فهمٌ ثاقب ورأْيُ صائب تفقه بالفقيهين إبراهيم بن عمر العلوي وإبراهيم بن مهنا وأخذ علم الجبر والمقابلة عن الفقيه موسى بن علي النحلي المعروف بالجلاد. وله تعاليق حسنة واعتراضات جيدة واختصر شرح الخوارزمي. وكان مبارك التدريس حسن الإقراء مراعياً لطريقة مشايخه رحمه الله عليهم وتفقه به عدة من أهل المذهب. وكان لا تزال وصيته تحت رأسه فلما أحس بالموت آثر كل من كان له عليه شيءُ قلَّ أو كثر. وكانت وفاته في السنة المذكورة وعمره يومئذ ثلاث وخمسون سنة رحمه الله تعالى.

وفي سنة أربع وسبعين تقدم الركاب العالي من زبيد إلى تعز وكان تقدمه في أيام الخريف وكانت سنة كثيرة الأمطار فوقع على السلطان والعسكر في وادي المخيشيب مطر عظيم فامتلأ الوادي ماءً وسال بطائفة من الناس فضلاً عن الجواب وغيرها.

وفي هذه السنة تولى الوزارة القاضي تقي الدين عمر بن أبى القاسم بن معيبد. وكان أحق من قيل له سيد الوزراء لما جمع الله فيه من الخصال الحميدة والأوصاف العديدة. وكان استمراره يوم الخميس الثاني عشر من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة.

وفي هذه السنة تقدم السفراء إلى الديار المصرية مرة أخرى صحبة القاضي جمال الدين محمد بن علي الفارقي والأمير ناصر الدين محمد بن علي الحلبي وكان تقدمهم في شهر رمضان من السنة المذكورة.
وفي شوال تقدم السلطان إلى زبيد فسكنها واستوطنها وعمل الخفية فيها.

(241/1)

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح المشهور أبو بكر بن محمد بن يعقوب السودي بفتح السين المعروف بابن ابي حربة. وكان أحد علماء الحقيقة ومشايخ الطريقة عالماً عاملاً له كرامات مشهورة وكان فصيحاً يطعم الطعام ويكفل عدة من الأرامل والأيتام. توفي في جمادى الأخرى من السنة المذكورة في قرية الواسط من قرى مور ودفن فيها. وكان يوم وفاته ودفنه يوماً مشهوراً رحمه الله تعالى.
وفي سنة خمس وسبعين وسبعمائة طلع السلطان من محروسة زبيد إلى مدينة تعز كعادته ونزل في شوال من السنة المذكورة فأقام فيها أياماً. ثم تقدم إلى النخل فتفرج فيه مدَّة. ثم سار إلى البحر من ساحل الأهواب فأقام هنالك إلى آخر السنة المذكورة.
وفي هذه السنة قتل الأمير الكبير سيد الأمراء فخر الدين زياد بن أحمد الكاملي غيلة وخديعة في حد القحرية وكان يومئذ مقطعاً في الجثة فتزوّج امرأةً من العرب وكان يتكرر إليها ويبيت معها. فلما كثر تكرره إليها ومبيته عندها رصده بعض بني عمها فدخل عليه وهو نائم فقتله رحمة الله عليه. وكان سيد الأمراء في زمانه لا يقاس بغيره ولا يقارنهٌ أحد. وكان سريع النهضة عند الحادثة شجاعاً رئيساً جواداً نفيساً كثير العدل والأنصاف متحبباً إلى الرعية محبوباً عند كافة الناس. وكان قتله في ليلة الخامس من رجب من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.
وفي شهر ذي الحجة من السنة المذكورة قتل الشيخ أبو بكر بن معوضة السيري صاحب بعدان غيلة على فراشه واحترز رأْسه وحمل إلى حضرة السلطان وكان أحد رجال الدهر وأَفراد العصر عزماً وحزماً وهو الذي استولى على حصون بعدان ونزع يده عن الطاعة.
وفي سنة ست وسبعين طلع السلطان من تهامة في أول السنة المذكورة بعد قتل السيري. ولما قتل الشيخ أبو بكر السيري كما ذكرنا كتب ولدهُ محمد بن أبي بكر إلى الإمام صلاح بن علي يستنجده على بلاد السلطان فانجده بنفسه في ما شاء من خيل ورجل. وجمع السيري جموعه وسارا جميعاً يريدان تعز فوصلا مدينة الجند يوم السادس من شهر رمضان فأقاما هنالك ثلاثة أيام. واستخدم السلطان جمعاً كثيراً من الفارس والراجل وكتب إلى كافة القبائل تحظ الطرق التي يمرُّ فيها الإمام واستوحش الإمام أمره. وكان يقدّم الحزم في أموره كلها فاستمر راجعاً في غير الطريق التي جاء فيها وجدّ في السير حتى خرج من حدود بلاد السلطان وتعلق ابن السيري ببلده وحصونه وكان مبارز

الرفدي ممن نزل إلى الأمام وسار معه وكثر سواده. فلما ارتفع الأمام من الجند كما ذكرنا جرد السلطان جماعة من العسكر للرفدي فأخذوه وجاءُوا به إلى السلطان فأمر السلطان بقتله وقتل ولم ينزل السلطان تهامة في هذه السنة.

وفيها تقدم إلى عدن في شهر شوال فجعل طريقه على الحج وأقام في عدن أياماً فنشر شيئاً من العدل ما لا يعهد وكسى النواخذ وأَبطل كثيراً مما أحدثه العمال وصار التجار تذكره بالجميل ونائله الجزيل إلى كل ناحية في البر والبحر. ثم تقدم أَبين فأقام فيها أياماً قلائل واصطاد كثيراً من حمر الوحش ثم رجع إلى عدن ولم يقم فيها إلا يومين أو ثلاثة أيام ثم سار إلى محروسة تعز.

وفي سنة سبع وسبعين وصل السفراء من الديار المصرية صحبة القاضي جمال الدين محمد بن علي الفارقي ووصلوا من الهدايا والتحف بشيءٍ كثير وكان وصولهم في شهر المحرم من السنة المذكورة.

(242/1)

وفي هذه السنة نزل الإمام صلاح بن علي إلى تهامة بجيوش عظيمة من الخيل والرجل فرأَى ولاة البلاد لا طاقة لهم به فانشمروا من البلاد إلى زبيد فاجتمعوا وسار الإمام في الجهات الشامية فنهبها عسكره وأخربوها وسار في عسكره وجموعه إلى مدينة زبيد فوصلها غرة شهر رجب من السنة المذكورة فأقام شرقي المدينة ثلاثة أيام وهو يدور كل يوم حول المدينة فلم يجد فيها طمعاً. ويقال انه طلع منارة جامع النويدرة فرأي في المدينة أمماً لا تحصى قد احتشدوا من كل ناحية فاجتمعوا فيها فراعه ما رأَى من كثرة الناس فيها. وكان الطواشي أَهيف في المدينة أميراً يومئذ قد طلب مشايخ القرى وأمرهم بجمع رجالهم وإن يكونوا على أهبة بينما يصلهم علمه وأن لا يتأخر منهم أحد فيعاقب اشد العقوبة. وكان قد عزم على أن يقصد المحطة في ليلة من الليالي بالعسكر الذي في زبيد وبكافة أهل القرى فوصله العلم من بعض أهل القرى فانشمر راجعاً ولم يقف اكثر من ثلاثة أيام وسار في اليوم الرابع راجعاً.

قال علي بن الحسن الخزرجي عامله الله بالحسنى كنت يومئذ في مدينة زبيد فأخبرني رجل من أهل سهام لا اتهمه فيما اخبرني به. كان الإمام صلاح حاطّاً على باب المدينة في الناحية الشرقية قبل أن دخل المدينة بليلة أو ليلتين. قال رأَيت الليلة كان حصل قتال بين عسكر الإمام وأهل المدينة فبينما الناس يقتلون إذ خرج رجل من زبيد عظيم الخلقة طويل القامة على فرس كأعظم ما يكون من الجمال لا من الخيل وعلى الفرس والفارس ثياب كلها خضر وحوله من الناس جمع كثيف. فلما خرج في جمعه ذلك ورآه عسكر الإمام انهزموا بين يديه فتبعهم في ذلك الجمع فتوجهوا نحو الشام ولم يلتفت منهم أحد فكان آخر العهد بهم. فلما سمعت هذه الرؤيا منه مع ما أعلم من صدق حديثه في جميع الحالات وحسن سيرته أيقنت بهزيمة القوم. فأصبح الإمام وجيشه متوجهين نحو الجهات

الشامية في صبح ليلة الرؤيا أو صبح الليلة الثانية والله أعلم.

وفي هذه السنة استمر الأمير ركن الدين عبد الرحمن علي بن الهمام في حَرَض والأعمال الرحبانية مقطعاً بها.

وفي شهر رمضان من السنة المذكورة جرَّد الأمير صارم الدين داود بن موسى بن حباجر إلى ناحية ذمار في عسكر كثيف من الخيل والرَّجل فقبض عدة حصون هنالك وأجابته العرب رعباً ورهباً واخرب قرىً كثيرة. فوجه الإمام جيوشاً عظيمة لقتاله فلم تقم لهم قائمة ثم جمع الإمام جموعاً أُخر واستنجد بأهل صنعاء ونصب خيامه في الحقل مقابلاً لمحطة ابن حباجر وأرسل عيونه يحققون له أخبار العسكر يوماً فيوماً وساعة فساعة حتى وصل إليه بعض عيونه مع القضاءِ السابق يخبره بافتراق العسكر في ذلك اليوم انه ليس في المحطة إلا نحو من أربعين فارساً فانتهز الفرصة وصدم المحطة بنفسه ومن معه في حال افتراق العسكر وكان في المحطة من الزيدية أناس كثير قد استخدمهم الأمير. فلما اصطدم العسكر أحاطوا حول الإمام فأُسر الأمير وقتل ناس من العسكر وانتهبت المحطة وذلك في شهر صفر من سنة ثمان وسبعين.

وفي سنة ثمان وسبعين طلع الأمير بدر الدين محمد بن إسماعيل بن إياس في العسكر المنصور مغيراً إلى الحقل ومنع عساكر الإمام من حدود البلاد السلطانية وأقام هنالك يشن الغوائر في كل ناحية وعلى كل قبيلة وبذل الأموال وملك قلوب الرجال.

وفي هذه السنة خالف الشريف محمد بن سليمان بن مدرك في حَرَض ونزع يده عن الطاعة ووافقه على الخلاف جماعة من الأشراف وقالوا بقوله وأَقام باقيهم على طاعة السلطان. فلما كان يوم الثاني عشر من جمادى الأولى حصل المصاف بوادي رحبان من أعمال حرض بين العسكر السلطاني والأشراف المخالفين فقتل الشريف محمد بن سليمان وقتل معه جماعة من أصحابه وأُخذت رءوسهم وحملت إلى زبيد ثم إلى تعز. وكان السلطان يومئذ في تعز بل في الجوة فقام برياسة الأشراف بعده يوسف بن سيف الدين وأخوه أحمد المسمى عصيرة. وكان صاحب حرَض يومئذ الأمير ركن الدين عبد الرحمن ابن علي الهمام.

وفي آخر جمادى الآخرة نزل السلطان من محروسة تعز إلى مدينة زبيد فدخلها أول يوم من رجب فأقام أياماً في قصره المعروف بالخورنق ثم سار إلى وادي رمع في طلب الصيد فاصطاد هنالك شيئاً كثيراً ورجع إلى قصره المعروف بالخورنق فأقام فيه.

(243/1)

ثم وصل ولدهُ مولانا السلطان الملك الأشرف من محروسة تعز. وكان وصوله إلى زبيد يوم الجمعة الرابع عشر من شعبان الكريم مطلوباً طلباً حثيثاً ليقضى الله أمراً كان مفعولا. فكانت مدة إقامته عنده ثمانية أيام من الجمعة إلى الجمعة.

ثم توفي السلطان الملك الأفضل يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر شعبان الكريم من السنة المذكورة رحمه الله تعالى. فاتفق رأي الجماعة من رؤَساء الدولة على قيام ولده مولانا السلطان الملك الأشرف إسماعيل بن العباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول. فاجتمع كبراء الدولة وعظماؤُها وصلحاء الأمة وعلماؤُها وانعقدت بيعته المذكورة في التاريخ المذكور وحضر أمراء العسكر وكبراء الأشراف ومشايخ العرب وحلف الجميع منهم وانتظمت الأمور وتقررت أحوال الناس ولم يمد أحد يده ولا رفع رأسه.

ثم شرعوا في جهازه وغسله وتكفينه والمسير به إلى تربته الشريفة بمدينة تعز المحروسة. وكان دفنه يوم الاثنين الرابع والعشرين من شهر شعبان الكريم. وكانت القراءَة عليه في سائر المملكة اليمنية سبعة أيام رحمهُ الله تعالى.

وكان ملكاً شهماً يقظاً حازماً عازماً أبيّاً ذكيّاً فقيهاً مشاركاً للعلماء في عدة فنون من العلم عارفاً بالنحو والآداب واللغة والأنساب وسير العرب وسير الملوك. وصنف عدة من الكتب منها كتاب نزهة العيوم في تاريخ طوائف القرون لم يحذ على مثاله ولم ينسج على منواله وهو كتاب نافع جدّاً وله أيضاً كتاب العطايا السنية في المناقب اليمنية يحتوي على طبقات فقهاء اليمن وكبرائها وملوكها ووزرائها. وله كتاب نزهة الأبصار في اختصار كنز الأخبار. واختصر تاريخ ابن خلكان. وله كتاب بغية ذوي الهمم في انساب العرب والعجم وله غير ذلك.

وهو الذي جدد سور زبيد وعمر خنادقها بعد أن انهدم سورها وخرجت خنادقها وأنفق في عمارة ذلك جملة مستكثرة. وأجرى للرعية في معظم جهات اليمن مزال الربع مما أزدرعوه وفي بعضها الخمس. وأجري لهم الذراع الشرعي في المساحة وبينه وبين الذراع الأرضي فرق. وكان كريماً جواداً يضع الهبات موضع التعب ووهب للشريف علي بن الهادي مائة ألف دينار ملكية زوادة له يوم تقدمه إلى بلاده. وكان شجاعاً جلداً شديد البأس قوي النفس قصده الإمام صلاح بن علي في جموع كثيرة لا تتحصر من الخيل والرجل لمواقعة ابن السيري. وجمع ابن السيري ما يجاوز حد الحصر فبلغ جمعهم الحوبان. وكان يومئذٍ مقيماً بثعبات فما تزلزل ولا تحول. وولي الملك في قطر اليمن وفي البلاد من طوائف الفساد ما يزيد على ألفي فارس فضلاً عن القرناءِ والأضداد ففرَّق كلمتهم واستأصل شأفتهم.

وكان له من المآثر الدينية المدرسة التي أنشأها في مدينة تعز في ناحية الجبيل منها. أمر فيها بعمارة منارة لم يكن في البلاد مثلها وذلك إنها على ثلاث طبقات الأولى مربعة الشكل صحيحة الأركان والطبقة الثانية مثلثة الأركان قائمة الحروف والطبقة الثالثة مسدسة الشكل عجيبة المنظر. ورتب في المدرسة المذكورة إماماً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن ومدرساً في الشراع الشريف ومعيداً وعشرة من الطلبة ومحدثاً وشيخاً صوفيّاً ونقيباً وفقراء وطعاماً للفقراء الوردين فأوقف عليهم أطياناً ونخلاً وكروماً ورباعاً ما يقوم بكفاية الجميع منهم.

وابتنى مدرسة في مكة المشرفة قبالة باب الكعبة المعظمة ورتب فيها مدرساً ومعيداً وعشرة من

الطلبة وإماماً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن الكريم وأوقف عليها وقفاً جديداً. وله كثير من الآثار الحسنة والسير المستحسنة. وتوفي عن سبعة أبناء ذكور كلهم أكبرهم السلطان الملك الأشرف إسماعيل. والثاني عبد الله المنصور. والثالث علي المجاهد. والرابع محمد المفضل. والخامس أبو بكر المؤيد. والسادس عمر المظفر. والسابع عثمان الفائز. والثامن داود مات صغيراً قبل أبيه.

وكان وزيرهُ القاضي جمال الدين محمد بن حسان. فلما توفي في تاريخه المذكور استوزر بعده القاضي تقي الدين عمر بن القاسم بن معيبد ورثاه جماعة من الفضلاء بعدة من القصائد المختارات ونال الناس عليه حزن شديد. تغمده الله برحمته وأسكنه بحبوح جنته. وقد أثبت من جميع ما رثي به من الشعر قصيدة نظمتها يومئذ لما عزب عليّ حفظ غيرها فجعلتها سداداً من عوز وهي

(244/1)

بكت الخلافة والمقام الأعظم ... والملك والدين الحنيف القيمُ

والشمس والقمر المنير كلاهما ... والأرض تبكي والسما والانجم

والبيت والحرم الشريف بمكةٍ ... والحجر والحجر اليماني الأسحم

والبيض والبيض المهندة الظبا ... والسمهرية والقسي والأسهم

ومدارس العلم الشريف وأهله ... والمسلمون فصيحهم والأعجم

جزعاً على الملك المتوَّج بالبها ... من قبل يعقد تاجه وَينظم

الأفضل بن علي الذي ساد العلى ... وبنى منار المجد وهو مهدَّم

وحمى ثغور المسلمين بعزمه ... والسيف يقطر من جوانبه الدم

الأروع الطلق الفرافصة الهصو ... ر القسور الورد الهزبر الضيغم

والعارض الهتن الأجش المرجحن ... الوابل الغدق الملث المثجم

والصارم الذكر الجاز المشرفي ... القاطع العضب العضوض المخذم

ومصرف الملك الجموح ولم يزل ... بالسيف ينقض ما يشاءُ ويبرم

ملكُ له عنت الملوك وأذعنت ... قهراً ودان الأغلب المتعظم

وأطاعهُ الدهر العصيُّ وأهله ... طوعاً وكرهاً كافر أو مسلم

فأتاه حكم الله جل جلاله ... وهو المليك العدل فيما يحكم

حكم على كل البرية لم يكن ... مستأخر فيهم ولا مستقدم

فتغيّر القمر المنير لفقده ... والشمس كاسفة تنوح وتلطم

والأرض راجفة تميد بأهلها ... والجوّ مُغْبَرّ الجوانب مظلم

وبكل أرضٍ من تهامة حسرة ... وبكل بيتٍ في زبيد مأتم

نزلت ملائكة السماءِ لدفنه ... وملوك يعرب في العزاء تقدموا
سبأ وحمير والعريحج وابنه ... وزهير الشامي وياسر ينعم
والصعب ذو القرنين والهدهاد والصم ... باح ذا يبكي وذا يترحَّم
وأتى أبو كرب وحسان ابنه ... وشقيقه وأبو الضجاعم ضجعم
وملوك غسان ولخم وكندة ... وأبى الجلندي وابنه والأَيهم
وأتى الشهيد ويوسفُ وسليله ... عمر وداود الهزبر الضيغم
وعلي بن داود المجاهد قائم ... يبكي ومدع العين قانٍ عندم
يا وحشة الدنيا ووحضة أهلها ... إذ قيل مات التبعيُّ الأَعظم
من للمواكب والكتائب في الوغى ... والخيل في أرسلنها تتحمحم
من للطغاة وللبغاة مدمر ... من للضلال وللفساد مهدّم
من للكتاب يفضه ويحجب عن ... مضمونه في صدره ويترجم
هيهات ولي الفضل بعدك كله ... والجود ولي والعطا والأَنعم
يا أيها الليث الهصور لدي الوغى ... يل أيها البر الرحيم الأكرم
يا أيها الجبل الأشم المرتقى ... يا أيها البحر الخِضَمَ ُ الخضرم
يا أَيها القمر المنير ضياؤُه ... يا أَيها الغيث الهتون المثجم
غالتك غائلة الردى صرفاً ولم ... يغن الحسام ولا اللسان اللهذم
كلا ولا خولُ ولا حشمُ ولا ... خدمُ ولا مالُ به يستخدم
فسقالك من سحب الرضا مغدودوق ... وأهلا العرى مسحنفر لا يثجم
في كرم يوم بكرة وعشية ... ما غرَّدت ورُقُ ولاحت أنجم
فلئن ذهبت فلما ذهبت حقيقةً ... ولئن مضيت فما مضت لك أنعم
ودَّعتنا وتركت فينا ماجداً ... يبني مآثر جفَنَةٍ ويتمم
الأشرف الملك الذي في تاجه ... قمر يلوح وفي المقامة ضيغم
الحازم اليقظ الجواد اليعربي ... الهزبري الأَفعوان الأَرقم
والقائد الخيل العتاق إلى الوغى ... سعياً تعادى بالكماة تحمحم
بين الصواهل والعواسل والظبا ... قمر الخلافة زندها والمعصم
وأخو الفضائل والفواضل والذي ... في كل كف منه بحر خضرم
ملك له شم الملوك خواضعُ ... محك إذا التقت الجيوش غشمشم
ليث لدى الهيجاء في عريسهِ ... متهللُ لوفوده متبسم
من آل جفنة من بني ماء السما ... من سرّ غسان الذين هم هم
ذو سيرة مرضية ما شادها ... في عصره الرَّاضي ولا المستعصم
طلق الجبين أغر لا فظُّ ولا ... جهمُ ولا متكبرُ متعظم

فالله يسعدهُ ويمتعنا به ... ما دام فوق الأرض يمشي مسلم

ويزيده ملكاً إلى الملك الذي ... أولى ويكفيه الردى ويسلم

(245/1)

ما جن ليلُ وانجلى صبح وما ... باتت حمامات الحمى تترنم

الباب الثامن

ذكر قيام الدولة الأشرفية الكبرى

وبعض أيامها

قال علي بن الحسن الخزرجي عامله الله بالحسنى: لما توفي السلطان الملك الأفضل رحمة الله عليه في تاريخه المذكور وحصل الإجماع على قيام ولده السلطان الملك الأشرف إسماعيل بن العباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر ابن علي بن رسول

الخائض الغمرات غير مدافع ... والشمَّري المظعن الرعميسا

ملكُ تصور غايةً في آية ... تنفى الظنون وتفسد التقييسا

لما سمعت به سمعت بواحدٍ ... ورأيته فرأيت منه خميسا

ولحظت أنمله فسال مواهباً ... ولمست منصله فسال نفوسا

وكان انتظام بيعته بعد صلاة الجمعة من اليوم الحادي والعشرين من شعبان فلما انتظم الأمر باطناً وظاهراً. وجرى القلم بالسعادة أولاً وآخراً أنفق على العسكر نفقةً جيدة وسار بوالده إلى محروسة تعز فدفن يوم الاثنين الرابع والعشرين من الشهر المذكور. واستمرَّت القراءَة عليه سبعة أيام. ثم برزت أوامره إلى سائر الجهات بتقرير الأحوال واستخدام الرجال وأقام بقية شعبان وشهر رمضان وشوالاً وذا القعدة وصدر ذي الحجة والكتب من كل بلدٍ تصل إليه. والعرب من كل ناحية تفد عليه. وهو يجيب عن كل كتاب بما يقتضي. ويقابل كل واصل إليه بما يحب ويرتضى. حتى استوسقت البلاد دانيها وقاصيها. وأذعنت البرية طائعها وعاصيها. فلما انقضت أيام العيد. عزم على المسير إلى زبيد. فدخلها يوم السادس عشر

في جحفل ستر العيون غباره ... فكأنما يبصرن بالآذان

وفوارس تحيي الحمام نفوسها ... فكأَنها ليست من الحيوان

وفي سنة تسع وسبعين وسبعمائة برز أمر السلطان بعديد النخيل من وادي زبيد وكان قد تضرر منه أهله وانقرض منه شيء كثير. وكان من جملة المندوبين عبد الرحمن بن الوجيه. فلما تقدم المذكور إلى التخيل من جملة الجماعة المندوبين رأى رجلاً يقطع نخلة مثمرة فعنفه وتوعده ووبخه وتهدده فسقطت النخلة عليه وهو على دابته فقتلتهما معاً فاعتبر به الباقون من أصحابه. والسعيد من وعظ بغيره. فكان عديد النخيل في هذه السنة المذكورة أول حسنة من حسناته. ثم برز أمره العالي على

وزيرهِ القاضي تقي الدين عمر بن أبي القاسم معيبد يأمره بالتقدم إلى الأعمال الرحبانية لأمر أوجب ذلك. وكان الوزير المذكور حسن السياسة. كامل الرياسة. فأقام بها مدة يقرر أحوالها. ويستخرج أموالها. ونزل السلطان النخل فأقام فيه مدة. ثم تقدم إلى البحر ثم ارتفع إلى زبيد في آخر شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة.

ولما انقضى رسم النخل بوادي زبيد تقدم السلطان إلى محروسة تعز في آخر الشهر المذكور.

ووصل الوزير من الجهات الشامية إلى تعز المحروسة وكان دخوله تعز يوم الثامن من شهر جمادى الآخرة.

ثم عزم السلطان على نزال تهامة فكان خروجه من تعز يوم الاثنين السادس عشر من الشهر المذكور. فأقام فيها بقية جمادى ورجباً ونصف شعبان. وفي مدة إقامته أَمر القاضي موفق الدين علي بن محمد بن سالم مشدّاً في زبيد وناظراً بها.

ولما انقضى النصف من شعبان عزم على الطلوع إلى تعز بسبب الصيام فكان جخوله تعز الحادي والعشرين من شعبان المذكور. فأقام بها إلى عيد الأضحى. وكان صيامه رمضان في مدينة تعز.

ولما انقضت أيام عيد الأضحى تقدم السلطان إلى زبيد فدخلها يوم السادس عشر من ذي الحجة.

وفي هذه السنة توفي الشيخ الأَجل فخر الدين أبو بكر بن إبراهيم اليونسي بالياء المثناة من تحت. وكان رجلاً فقد طاف المسالك. ودخل عدة من الممالك. فلما وصل اليمن قطن بها وسكن وخدم السلطان الملك المجاهد مدة طويلة. ثم خدم السلطان الملك الأفضل مدة إقامته في الملك وكان حسن المحاضرة. وقد يروى روايات تخرج عن حد العقل عما شاهده من ممالك العجم. وكان وفاته يوم الخامس عشر من شعبان في مدينة تعز دفن بالأجناد رحمه الله تعالى.

(246/1)

وفي هذه السنة أيضاً توفي الأمير نور الدين محمد بن ميكائيل وكان أميراً جليلاً نبيلاً عالي الشأن حسن السيرة كريم النفس بسط البنان يحب العلماء والصلحاء ويدنيهم من مجلسه ويعطيهم عطاءً جزيلاً ويعظم حالهم. وكان في أيام إمارته وانقياده للدولة الرسولية يقال له ملك الإماء. فلما نزع يده عن الطاعة وادعى السلطنة ونازع السلطان في بلاده وحاربه جهز له السلطان الملك الأفضل جيشاً كثيفاً فاجتثه من أصله وطرده عن البلاد فلم تقم له راية أبداً. فلاذ بالإمام علي بن محمد الهدري فأعطاه حصن المفتاح وما يضاف إليه يقتاته. فلم يزل به إلى أن توفي. وكانت وفاته ليلة الجمعة السادس عشر من شعبان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفي سنة ثمانين وسبعمائة أمر السلطان بعمارة القصر المسمى دار النصر في ناحية القُوّرِ من زبيد وفيها جرد السلطان عسكراً كثيفاً إلى بلد المعازبة وكان مقدم الجيش القاضي تقي الدين عمر بن أبي القاسم بن معيبد الوزير فهربوا من الخبت إلى الحازة فتبعهم وضيق عليهم ضيقاً شديداً وقتل منهم

طائفة فتشتتوا في كل ناحية.
وفي هذه السنة تقدم السلطان إلى المهجم فأقام فيها أياماً قلائل ثم رجع إلى زبيد فأقام إلى سلخ شهر رمضان.
وفي هذه السنة المذكورة صام السلطان في زبيد أول سنة صامها في زبيد. وفي اليوم الثالث من شهر شوال تقدم الركاب السلطاني من زبيد إلى محروسة تعز فأقام بها إلى عيد الأضحى ثم نزل تهامة. وكان نزوله في النصف الأخير من ذي الحجة.
وفي هذه السنة توفي الشيخ الصالح تقي الدين طلحة بن عيسى بن إبراهيم ابن أبي بكر بن عيسى الهيار. وكان أحد رجال الطريقة وأصحاب الحقيقة صواماً قواماً عابداً زاهداً ورعاً مشهوراً له كرامات ظاهرة. وكانت وفاته يوم السادس عشر من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة. توفي في مدينة زبيد وقبر في مقبرتها الشرقية من ناحية باب سهام وعلى قبره قبة عالية وقبره مشهور يزار ويتبرك به نفع الله به في الدنيا والآخرة.
وفي سنة إحدى وثمانين وسبعمائة اجتمع المماليك الغرباء واختلفوا على أمر لم تظهر لأَحد حقيقته فنظرهم السلطان وهم يلبسون خيلهم ويأخذون سلاحهم فاستغرب أمرهم فأرسل عيوناً له يأتونه بأخبارهم فرفع إليه عيونه وأخبروه انهم على أهبة قتال وجمع سلاح ولكنهم مفترقون في أماكنهم في القرية فأجابهم لعبيد السلاح وغلمان البغلة فقصدوهم إلى أما كنهم قبل أن يجتمعوا فخرجوا على وجوههم هاربين ولزم بعضهم فاتلف وفي ذلك اليوم أمر السلطان بلزم عمه الملك الظافر هاشم بن علي بن داود فاعتقله أياماً ثم أطلقه وأحسن إليه.
وما العصب الطريف وإن تقوى ... بمنتصفٍ من الكرم التلاد
وكان ذلك من فعلهم يوم عاشوراء وفي هذه السنة وقع الحريق في مدينة زبيد فحرق السوق كله ومما وازاهُ شرقاً وشمالاً. وحرق في تلك المدة عدة أماكن من زبيد وغيرها وكان الحريق المذكور في شهر المحرم من السنة المذكورة.
وفي هذه السنة أفسدت المعازبة فساداً شديداً وقصدوا طريق البحر مرةً بعد أخرى فجرد لهم السلطان عسكراً من الباب وأمر على صاحب القحمة وصاحب فشال بمواجهة العسكر في يوم معلوم فاتاهم العسكر من كل ناحية ومكان. ولم يكن لهم مهرب إلا البحر فدخلوه فغرق منهم طائفة وسلم الباقون. واستذم أناس منهم وأسر آخرون. وكان مقدم العسكر الأمير سيف الدين بشتك الحاجب فأقام عليهم.
يكفكف عنهم سمو العوالي ... وقد شرقت بطعنهم الشعاب
ومن في كفه منهم قناة ... كمن في كفه منهم خضاب

فرفع السيف عنهم ورجع إلى السلطان بالرؤوس والأسارى فأمر السلطان بقتل جماعة من الأسارى ممن يعرف بالفساد وأطلق الباقين وأضاف السلطان أمر الوادي رمع إلى الأمير سيف الدين بشتك فاستناب في الجهة المذكورة الفقيه رضيّ الدين أبا بكر بن أحمد بن عبد الواحد وكان فقيهاً حسن السياسة إلا أنه كان ضعيف الفراسة فجعل المعازبة غرضاً لسهامه. وضريبة لحسامه. فشتت جموعهم. وأخلى ربوعهم. وقتل منهم عدة. في أقرب مدة. وفي العشر الأواخر من شهر ربيع الآخر تقدم الركاب العالي إلى تعز المحروسة فأقام فيها أياماً. ثم تقدم في عسكره المنصور نحو المخلاف فأخذ مدينة أَب قهراً بالسيف. ثم سار نحو أرباب فأخاط بها علماً ثم رجع إلى تعز فأقام فيها أياماً قلائل. ثم توجه نحو تهامة فدخلها غزة شعبان من السنة المذكورة وكان صيامه رمضان في مدينة زبيد.

وفي هذه السنة أضاف السلطان أمر القحمة إلى الأمير سيفد الدين بشتك فتقدم إليها فقصده المعازبة في جمع كثيف. وقد جعلوا له ثلاثة مكامن في ثلاثة أماكن فخرج إليهم فاستدرجوه إلى أن توسط في المكامن فأحاطوا به وبمن معه فقاتل حتى قتل. وقتل معه يومئذ الفقيه أبو بكر بن أحمد بن عبد الواحد وجماعة من العسكر وكان قتلهم يوم الحادي والعشرين من شوال من السنة المذكورة.

وفي هذه السنة تقدم الأمير فخر الدين ابو بكر بن بهادر السنبلي صحبة المحمل ولعلم المنصور إلى مكة المشرفة وسار بمسيره حج اليمن فحج حجّاً مبروراً وسعي سعياً مشكوراً. مصحوب السلامة في ذهابه وإيابه وفي هذه السنة تقدم الركاب العالي إلى ثغر عدن المحروس فأقام فيها أياماً وأبطل من المكوس المحدثة شيئاً كثيراً.

وفيها توفي القاضي تقي الدين عمر بن أبي القاسم بن معيبد الوزير وكان أحق من قيل له سيد الوزراء أديباً عاقلاً مهيباً جواداً كريماً شجاعاً حليماً

لم يحكه الفضل ولا جعفر ... كلا ولا يحيى ولا خالدُ

كالبدر والبحر وليث الشري ... والود إلا أنهُ واحدُ

وكان حسن السياسة. كامل الرياسة. له فكرُ ثاقب. ورأْيُ صائب. فصيح اللسان. كثير الفضل والإحسان. سخيّاً وفيّاً. أبيّاً ذكيّاً

أعدى الزمان سخاوةً بسخائه ... ولقد يكون به الزمان بخيلا

ولي الوزارة في سنة أربع وسبعين وتوفي في المحرم من سنة إحدى وثمانين وعمره أقل من خمسين سنة والله أعلم. وكانت وفاته في مدينة تعز وقبره بالأجيناد. ولما توفي في تاريخه المذكور ولي الوزارة بعده ولده القاضي نور الدين علي بن عمر بن أبي القاسم بن معيبد وكان مدة وزارة القاضي تقي الدين المذكور ست سنين وعشر أشهر وثمانية أيام.

وفي سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة رجع السلطان من عدن إلى زبيد فأقام في زبيد مدة السبوت وغزا بلاد بني ثابت فقبضها وقبض حصن قوارير.

وفي شهر صفر من السنة المذكورة وصل الأمير فخر الدين أبو بكر بن بهادر السنبلي من مكة

المشرفة وصحبته محمل الحج والعلم المنصور فوشي به بعض الوشاة إلى السلطان وروي عنه ما كان وما لم يكن فاعتقله السلطان وسجنه فأقام في السجن معتقلاً إلى يوم الخامس والعشرين من شهر رمضان ثم أطلقه. ولما انقضى رسم النخل بوادي زبيد تقدم السلطان إلى تعز فأقام بها وفي أواخر شهر رجب تقدم السلطان إلى مدينة الجوة فأقام فيها وفي البياض إلى الخامس عشر من شعبان. ثم طلع تعز فأقام فيها وصام شهر رمضان هذه السنة في تعز. وفي يوم الخامس والعشرين من شهر رمضان أطلق السلطان الأمير فخر الدين أبا بكر بن بهادر السنبلي من السجن لما تحقق براءَته مما قيل عنه. وكان السلطان رحمه الله حليماً كريماً متأنياً. ولو كان عجولاً لكان قد اتلف طوائف من الناس. وهذه من شيم الملوك قلَّ أن يوجد في الملوك مثله

أمتعنا الله به وزاده ... في الأرض تمكيناً وعزّاً وعلا

ولا أرانا فيه مكروها ولا ... سوءاً من الأسواءِ ما طيرُ شدا

(248/1)

وتقدم السلطان إلى زبيد يوم الثالث من شوال فدخلها يوم الخامس من الشهر فأقام أياماً ثم تقدم إلى بلد المعازبة وكانوا على حذر منه. فلما علموا بمسيره إليهم زهدوا في الأموال وتعلقوا بروؤس الجبال فنهب العسكر بلادهم نهباً شديداً وحرقت قراهم وكان الوقت غير مساعد فرجع السلطان إلى زبيد ثم طلع إلى تعز في عشر ذي القعدة فأقام بها إلى آخر السنة.

وفي سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة وقع الحريق في زبيد أيضاً في ناحية السوق وكان نحواً من الحريق الأول فقلَّ من حرق في المرة الأولى وسلم في الثانية وقلَّ من سلم في المرة الأولى وسلم في الثانية فانضر به أناس كثيرون.

وفي هذه السنة استمر القاضي موفق الدين علي بن محمد بن سالم بالأعمال السهامية فأقام فيها بضعة وعشرين يوماً شملهم فيها بالآداب وعذبهم بأنواع العذاب فبلغ عمله إلى السلطان ففصله وأضافه إلى الطواشي أمين الدين أهيف فصادره مصادرة شديدة هلك فيها. وكان وفاته ليلة الحادي والعشرين من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفي هذه السنة ابطل السلطان في أيم الملك عن الرعية مصالحة العطب وكانت بدعة منكرة أبدعها بعض النواب في أيام الملك الأفضل فأبطلها السلطان وهي من مستحسنات فعله وأعفى أهل القرى من أهل وادي زبيد عن قبال نخل الأملاك السلطانية وكانت بدعة أحدثها بعض النواب أيضاً.

وفي شهر جمادى تقدم السلطان إلى تعز فأقام بها إلى آخر شهر شعبان ثم توجه إلى زبيد فدخلها في آخر شهر شعبان وصام شهر رمضان فيها. فلما انقضى شهر الصيام سار إلى بلاد بني ثابت فاستولى عليها ثم قصد بلاد الركب فتسلمها ثم سار إلى حصن بني عليّ وهو الذي يسمى حصن رأْس وهو في جبل عسر عال مشمخر. وكان قد كثر من أهله الفساد والعصيان والبغي والعدوان فلما

قصدهم السلطان في التاريخ المذكور هربوا من الحصن وتركوه خالياً. فقبضه السلطان ورتب فيه رتبة يحفظونه ورجع ظافراً منصوراً.
وفي هذه السنة توفي الفقيه شهاب الدين أحمد بن علي بن إبراهيم بن صالح الحضرمي المقري. وكان فقيهاً فاضلاً عارفاً عاقلاً نبيلاً لبيباً أريباً حسن الأخلاق لين الجانب محبوباً عند الناس. وكان مدرساً في المدرسة الواثقية بزبيد وهي التي يسميها بعض الناس النورية ومعيداً في المدرسة الأشرفية إلى أن توفي يوم الحادي والعشرين من ربيع الأول من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.
وفي سنة أربع وثمانين أمر السلطان بمصادرة الأمير شمس الدين علي بن حسنم السقين. وكان في أول حاله معلماً للطبردارية ومقدماً على أهل فنه وقربه السلطان قرباً كليّاً حتى جعله شاد الدواوين وكسب أموالاً كثيرة من وجوه مختلفة فساءَت أخلاقه وكان شرساً فظّاً وتارةً ليناً سهلاً إلا أنه يحط مقدار ذوي الأقدار وينتهك حرمتهم
ومن جهلت قدره نفسه ... رأى غيره منه مالا يرى
فلما تحقق السلطان أمره صرفه عن التصرف وطالبه بما احتجن من الأموال فسلم بعضاً وبعضاً. وساق نقداً وعرضاً. ثم أمر السلطان بإطلاقه فهرب إلى الحجاز.
وفي شهر جمادى الأولى استمر القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد النظاري وزيراً. وكان له عدة أعداء فقدحوا فيه عند السلطان فاسود ما بينه وبين السلطان واستوحش منه السلطان فأمره بالانصراف إلى بلاده وهذه شيمة الملوك التأني في الأمور. فلما أمره السلطان أن يرتفع عن بلاده ارتفع إلى بلاد بني يغنم. فلما علم به الإمام راسله واستدعاه إليه فلما وصل إليه آنسه من نفسه وقدر له ما يقوم بحال كفايته فأقام عنده. ثم تقدم السلطان إلى تعز فأقام بها إلى آخر شهر رجب. ثم توجه إلى زبيد فدخلها غرة شهر شعبان فأقام بها وصام شهر رمضان فيها في الدار المسماة دار التشفيع في القوّر.

(249/1)

وفي هذه السنة وصل عدة من اشرف مكة ومن القواد يريدون الخدمة على باب السلطان فقابلهم السلطان بالقبول التام وأقاموا على الإعزاز والإكرام فلما انقضى شهر شوال طلبوا الفسح في إقبال الحج والموسم فزودهم السلطان وتقدموا في أول شهر ذي القعدة. فلما وصلوا قريباً من المحالب انحازوا إلى طوائف المفسدين وقصدوا مدينة المحالب في جمع كثيف فخرج إليهم أميرها يومئذ وهو الركن بن الهمام فيمن كان معه لقتالهم فانهزم هو فقتلوه وقتلوا جماعة ممن معه ونهبوا أطراف البلاد. ثم توجهوا نحو حَرَض فخرج إليهم أميرها يومئذ بهادر الشمسي فقتل كبراءَهم وشتت شمل الباقين. ولما علم بهم صاحب مكة منعهم من دخولها فلم يدخل أحد منهم إلا سرّاً.
وفي هذه السنة كتب السلطان رحمه الله تعالى لأصحاب الشرج العليا من وادي زبيد بزيادة معاد في

القطيعة وذلك في سبع جهات وهي المأوى والبقر والريان ونابط ومبرج والنقض والبداني صدقة مستمرة. وتصدق على أهل ضاحي جميعاً بان نكون قطيعتهم دينارية في كل معاد واحد إلا ما سقى بالوادي فانه يكون في كل عشرة معاود منه مد ديواني. وهذا معدود من أفعاله الحسان.

وفي هذه السنة توفيت الآدر الكريمة جهة الطواشي جمال الدين طعن الأفضلي الأشرفي والدة مولانا السلطان الملك الأشرف إسماعيل بن العباس وكانت عقيلة الزمن وسيدة نساء ملوك الشام واليمن

وإذا لم تجد من الناس كفئا ... ذات خدرا أرادت الموت بعلا

وكان لها الآثار الحسنة. والأفعال المستحسنة. ومن مآثرها المسجد الذي ابتنته على باب دارها دار الأمان في ناحية المغربة من مدينة تعز وهو مسجد حسن واسع وجعلت فيه بركة ومطاهر وجرت إليه ساقية من الماء ينتفع به الناس نفعاً عاماً ولها عدة مكارم. وكانت تفعل الخير كثيراً وعتقت عند موتها كثيراً من الجواري والخدام وأوصت بصدقة مستكثرة على الفقراء والمساكين وعلى جملة أناس معينين وأوصت بحجة وزيارة.

قال علي بن الحسن الخزرجي عامله الله بإحسانه فندبني السلطان رحمه الله تعالى للحج عنها والزيارة فزودني أربعة آلاف درهم. ولما رجعت من الحج والزيارة سامحني في خراج ارضي ونخلي يومئذ مسامحة مستمرة مؤيدة مستقرة. جزاه الله عني افضل الجزاء.

وفي هذه السنة توفي القاضي حمال الدين محمد بن إبراهيم الجلاد. وكان أوحد أعلام الدهر. وأوحد أعيان العصر. وكان فقيهاً عارفاً فاضلاً جواداً كاملاً له فعلات في الجود مشهورة. ومقامات في الفضل مذكورة. قرأ على الفقيه علي بن نوح وغيره. وكان بارعاً في علم الحساب والفلك وبنى مدرسة في مدينة زبيد لأهل مذهبه أصحاب أبي حنيفة رحمه الله تعالى. وكان يحب العلماء ويجلهم. ولم يزل في خدمة السلطان حتى ولي السدود الأربعة وأقطعه السلطان الملك الأفضل حَرَض ثم اقطعه فشال. وتوفي وهو ناظر في الثغر المحروس بعدن وولي النظر والولاية بها مدة. ولم يتفق هذا لأحدٍ قبلة. وكانت وفاته في جمادى الآخرة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى. ويروى أن ميلاده في سنة أربع وعشرين وسبعمائة والله أعلم.

وفي سنة خمس وثمانين وسبعمائة نزل السلطان تهامة في شهر المحرم فأقام بها. وفي شهر جمادى الأخرى خرج عمران السنجى إلى بلد المعازبة ووافقهم على الفساد في البلاد بعد أن كان أحد خواص السلطان فدل قبح فعله على خبث اصله. فأغار هو والمعازبة في جمع كثيف فخرج سرعان الخيل من العسكر فلحقوهم وقد نهبوا شيئاً من المواشي فعطفت عليهم تلك الجموع فقتلوا أبا بكر بن الدمرداش ودادو بن حسن بن علي الأنف ولزموا خادماً من الخدام وهو الطواشي صفي الدين جوهر الصيني ومملوكاً وعبداً حبشياً فهرب عليهم الخادم ثم عاثوا في البلاد. وأكثروا في الأرض الفساد. وكان الوقت غير مساعد بالخروج إليهم. والمحطة عليهم.

وفي هذا التاريخ استمر القاضي شرف الدين حسين بن علي الفارقي ناظراً في الثغر المحروس فكان حسن المعاشرة. جيد المباشرة.

وفي شهر شعبان تقدم الركاب العالي من تهامة إلى محروسة تعز فكان صيامه شهر رمضان في مدينة تعز.
ووصل الشريف الخطير والأمير الكبير داود بن محمد بن داود بن عبد الله بن يحيى بن الحسن بن حمزة بن سلمان بن حمزة صاحب صنعاء اليمن وسلطان أشراف الزمن. إلى الأبواب الشريفة السلطانية فقوبل بالإجلال والإعظام. والإفضال والإنعام

(250/1)

ولم تزل قلة الإنصاف قاطعة ... بين الرجال ولو كانوا ذوي رحم
وفي شهر ذي القعدة صادر الطواشي أمين الدين أهيف كاتبه عبد الطيف بن محمد بن مؤَمن مصادرة عنيفة فتوفي في المصادرة في غزة ذي الحجة من السنة المذكورة واستصفى ما ظهر له من ماله.
وفي هذه السنة توفي القاضي شهاب الدين أحمد بن عبد الله التهامي حاكم الشرع بزبيد. وكان أحد الفقهاء المبرزين عارفاً بالمذهب حسن الأحكام تقيّاً غير متهم في شيءٍ. وكان ميلاده سنة إحدى وسبعمائة وتولى القضاء.
ولم يزل قاضياً إلى أن توفي في السنة المذكورة. وكان معظم أسراره في زبيد وتولى قضاء المهجم نحواً من ست سنين. وكان أحد أَفراد الدهر توفي في شهر جمادى الأخرى من السنة المذكورة عن أربع وثمانين سنة ونيف والله أعلم.
وفيها توفي القاضي الأجل شمس الدين محمد بن أحمد بن صقر الدمشقي الغساني وكان فقيهاً نبيهاً عارفاً بارعاً في عدة من الفنون. وكان متولي قضاء الأقضية في قطر اليمن برهة في أيام المجاهد ومدة أيام الأفضل وصدراً من أيام الملك الأشرف إلى أن توفي في آخر شهر شوال من السنة المذكورة رحمه الله. واستمر بعده في القضاء الأكبر القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن عباس المقري وكان كاملاً فاضلاً لبيباً عاقلاً.
وفي سنة ست وثمانين وسبعمائة تقدم السلطان إلى محروسة زبيد في أول المحرم فأقام فيها. ووصل القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد بن يوسف العلوي من الجهات الشامية وصحبته جماعة من العسكر فلما صاروا في حد بلاد المعازبة انبعثت عليهم خيول المعازبة وفيها يومئذ موسى بن العكور رئيس بني يعقوب. فلما رآهم العسكر اخذوا هبتهم للقتال فاقتتلوا ساعة من نهار فقتل ابن العكور واحتزوا رأْسه
يعضدهُ المقدور من بين صحبه ... على ثقة من دهره وأمانِ
وهل ينفع الجيش الكثير التقاؤه ... على غير منصور وغير معانِ
فاخذ العسكر رأسه ودخلوا به إلى زبيد في أخر شهر المحرم من السنة المذكورة.

وفي شهر صفر وصل الأمير شمس الدين علي بن حسن السقيم من مكة المشرفة إلى باب السلطان مظهراً حسن الرعاية وأكيد الرغبة فقابله السلطان بالقبول فلما اطمأن به المقام نقل إلى السلطان عنه قبيح الكلام فأمر السلطان بتأْديبه لا بتعذيبه ثم خوطب فيه فعفا عنه وأطلقه

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ... ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا

وفي هذه السنة أمر السلطان بعمارة قرية معقل التي غربي محل القلقل وأمر أن يكتب لهم منشور بتخفيف القطيعة هنالك في الضاحي والوادي ترغيباً لهم ليسدوا ذلك الثغر عن تطرّق المفسدين إلى طريق النخل والى الوادي فلم تساعد العمال إلى ذلك مراعاة لشيء آخر.

وفي غرة جمادى الأولى قصد المعازبو طريق النخل في جمع عظيم وكان السلطان يومئذ في أنخل فأمر على العسكر بالخروج في طلبهم فخرجوا سراعاً فهزموهم وقتل من المعازبة عمر بن حسن بن عقد وكان أشجع فرسانهم وقتل معه جماعة منهم واسر ولد عمران السجنى الذي يسمى الوشاح. فلما وصل به العسكر إلى باب الدار أمر السلطان بقتله وقابله بغير المعهود من فعله

وحلم الفتى في غير موضعه جهل

وفي النصف من شهر جمادى الأولى استمر القاضي شهاب الدين أحمد ابن أبي بكر الناشري قاضياً في مدينة زبيد المحروسة وأعمالها عوضاً عن القاضي إبراهيم بن أحمد التهامي.

وفي آخر شهر جمادى الأولى جرَّد السلطان العساكر المنصورة إلى بلد المعازبة وأشعر على صاحب فشال وصاحب القحمة بمواجهة العسكر السلطاني في وقت قد عينه لهم فوصل كل منهم من ناحية وجاءَهم الموت من كل مكان وظنوا إنه أُحيط بهم فانهزموا إلى ناحية البحر فأتلف السيف منهم طائفة والبحر أُخرى وغرق من نسائهم وأبنائهم شيء كثير ففقد منهم عدة بيوت لم يبق من أهلها أحد.

وفي هذا التاريخ استمر القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد العلوي مشدّاً في الأعمال السرددية فأقام هنالك مدة يسيرة وانفصل عنها في أول شهر رجب. وفي شهر رجب استمر القاضي شهاب الدين أحمد بن عمر بن معيبد ناظراً في الثغر المحروس بعدن فسار سيرة مشكورة. وتوجه السلطان من تعز إلى زبيد يوم السادس عشر من شعبان.

(251/1)

وفي شهر رمضان استمر القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد العلوي في الأعمال اللحجية مستخلصاً للموال. فلما سار نقل عنه السلطان ما غير باطنه وظاهره عليه. فأرسل بعده إلى المتولي بلحج وهو الأمير شجاع الدين عمر بن سليمان الإبي أن يبقى على ولايته ومتى وصل الوجيه العلوي فيقبضه ويتقدم به إلى الثغر المحروس تحت الحفظ. فلما وصل القاضي وجيه الدين إلى حدود البلاد كتب إلى الأمير شجاع الدين الإبي يعلمه بوصوله إلى الجهة المذكورة فخرج الأمير

شجاع الدين الإبي في عسكر كثيف. فلما توافقا أوقفه على مرسوم السلطان الذي وصله وتقدم به صحبته إلى عدن فلما دخلها سلمه إلى النواب فقبضوه منه وأودعوه السجن هنالك. فأقام هنالك في الاعتقال سنة عشر شهراً. وصام السلطان رمضان هذه السنة في دار الفوز بزبيد. وفي آخر شهر رمضان وصل الطواشي جمال الدين مرجان بخيل المعازبة بني بشير وطلب لهم من السلطان ذمة فأذم عليهم ذمة شاملة

وحلفهم برد البيض عنهم ... وهامتهم لهم معه معار

وفي شهر شوال أمر السلطان بعمارة القيسارية في قرية المملاح ليرتفق بها العسكر المقيمون عنده وغيرهم. وتقدم الركاب العالي إلى تعز المحروس في غرة ذي القعدة من السنة المذكورة.

وفي شهر ذي القعدة هذه أمر السلطان بقتل ابن شرف الصنعاني. وكان سفيراً بينه وبين الإمام قال انه خان في سفارته وأفشى من السرّ ما أودعه السلطان فأمر السلطان بقتله لسوءِ فعله. ومن آداب الملوك أن يغفروا كل جريرة ويعفوا عن صغيرة وكبيرة إلا ثلاثة أشياء فإنها لا تغفر عندهم إفشاء السر والطعن في المملكة وإفساد الحُرَم.

وفي هذه السنة أمر السلطان بالزيادة في المكيال بزبيد وأعمالها. وكان عيار الزيدي السفقري الذي قرره سنقر الأتابك مائتين وأربعين درهماً فأقام برهة من الزمان على هذا ثم زاد فيه بعض أولي الأمر ثمانين درهماً فصار عبارة عن ثلاثمائة وعشرين درهماً. فأقام على هذه الصفة مدة طويلة إلى آخر الدولة المجاهدية. فلما كان سنة إحدى وستين وسبعمائة زاد فيه الجمال ابن العروس وكان يتولى الحسبة بزبيد يومئذ والشهاب بن الخرتبرتي وكان أمير زبيد يومئذ فيه أربعين درهماً. وكان هذا حد الكلام فيه. ثم لعب به المحتسبون في زبيد فكانوا يزيدون فيه زيادة غير محققة. فلما تفاحش الأمر فيه في الدولة الأفضلية وانتهى إلى الأشرفية لاحظه السلطان رحمة الله عليه وتحقق أن هذا مضر بالرعية ولا مصلحة للديوان فيه قلما ينقل على صورة الأمر أمر رحمه الله أن يقرر على أربعمائة درهم وقال إذا بطلنا فحش الزيادات كلها دفعةً واحدةً يكون في ظاهر الأمر فحش ونحن نبطلها أن نبطلها شيئاً فشيئاً. فلما كان ما كان من هذه السنة من ارتفاع السعر وقل وجود الطعام أمر السلطان بأن يكون الزيدي خمسمائة درهم نظراً منه في تنفيس السعر على الناس في ذلك الوقت. فاستمرَّت الزيادة وانضرَّ بها كافة الحراثين وانتفع غيرهم.

بذا قضت الأيام ما بين أهلها ... مصائب قوم عند قوم فوائد

وفي آخر السنة تجهز السلطان إلى تهامة فدخلها في آخر شهر ذي الحجة.

وفي سنة سبع وثمانين جرد السلطان الأمير شمس الدين علي بن محمد الواشعي في مائة فارس إلى القحمة معونةً لصاحبها يومئذٍ وهو الأمير بهاء الدين بهادر اللطيفي وأمرهم بالمغار على بني يعقوب فقصدوهم إلى القاهرة وحرقوها ونهبوا أموالهم وشتتوا أحوالهم فطلبوا الأمان على نفوسهم وتسليم الخيل إلى باب السلطان. ووصل مشايخ بني يعقوب فأذم عليهم السلطان وكساهم ثم جرد السلطان الأمير فخر الدين أبا بكر بن بهادر السنبلي للمحطة على أهل الخنكة وتقدم صحبته

عسكر من باب السلطان وأضيف إليه الواشعي وأصحابه المذكورون.
وفي هذا التاريخ وصل سلاح الجحفلي إلى باب السلطان على الذمة الشريفة وقابله السلطان بالقبول.

(252/1)

ووصلت الهدية من الديار المصرية يوم الحادي عشر من شهر ربيع الآخر وتقدم الركاب إلى تعز يوم الحادي والعشرين من الشهر المذكور ووصلت رؤوس الجرائح إلى باب السلطان يوم الأحد ثاني شهر جمادى الأولى وأقام السلطان في تعز يوم السادس من شهر جمادى الآخرة ثم توجه نحو تهامة فكان دخوله زبيد يوم العاشر من الشهر المذكور. وفي ليلة الاثنين الثاني والعشرين من الشهر المذكور توفي القاضي نور الدين علي بن القاضي تقي الدين عمر بن أبي القاسم بن معيبد الوزير الأشرفي. وكان رجلاً كاملاً حازماً عازماً جواداً كريماً ذكيّاً فهيماً مشاركاً في كثير من العلوم سعيد المباشرة وجيهاً عند السلطان مهيباً عند أرباب الدولة محبّاً للعلم والعلماءِ حسن السياسة كامل الرياسة.
للشمس فيهِ وللرياح ... وللسحاب وللبحار وللأسود شمائل
وكانت مدة وزارته ست سنين وأربعة أشهر واثنين وعشرين يوماً.
وفي ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من الشهر المذكور استمر القاضي شرف الدين حسين بن علي الفارقي في الوزارة عوضاً عن القاضي نور الدين علي بن عمر بن معيبد.
وفي اليوم الثامن من رجب وصلت هدية صاحب دهلك إلى باب السلطان وفيها فِيَلُ ووحوش وغير ذلك مما يستطرف وتقدم السلطان إلى البحر يوم الثامن عشر فأقام في قرية المتينة أياماً ثم رجع إلى زبيد يوم الثالث والعشرين من الشهر المذكور.
وفي أول شعبان وصل العلم إلى السلطان أن الإمام في جمع عظيم وإنه يريد الخروج على بعض النواحي. ثم وصلت الكتب أن الإمام يريد الخروج إلى تعز. ووصل الخبر بذلك صبح يوم الجمعة الرابع والعشرين فبرز آخر يومه ذلك. وسار آخر ليلة السبت الخامس والعشرين من الشهر المذكور يريد تعز. وفي ذلك اليوم قصد الإمام جبلة ونهب بعضها وكان أهلها متخاذلين. ودخل السلطان تعز يوم الاثنين السابع العشرين من الشهر المذكور. ولما علم الإمام بوصول السلطان رجع مدبراً وقد عث عسكره في البلاد فأقام السلطان في تعز وصام رمضان فيها. وفي يوم الخامس والعشرين من الشهر المذكور استمر القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن عباس وزيراً وكان إليه قضاء الأقضية كما ذكرنا أولاً.
وفي شهر رمضان المذكور وصل العلم بظهور تيمورلنك التركي واستيلائه على مملكة الشرق وانه متوجه إلى الشام. وفي عيد الفطر من هذه السنة أمر السلطان أولاده بالركوب إلى الميدان ولم

يكونوا خرجوا قبل ذلك.

وفي هذه السنة توفي الطواشي أمين الدين أهيف المجاهدي كان رجلاً حازماً شديد البأس صعب المراس سفاً كافتاً كافظاً غليظاً حازماً دهياً أبياً عظيم الهيبة شديد النفس وكان شجاعاً مقداماً في الحرب ناصحاً للسلطان خدم أربعة من الملوك وهم: المؤيد والمجاهد والأفضل والأشرف. وكان يجل العلماء ويحترمهم وله مكارم أخلاق وعقيدة صادقة. أقام ولياً في بيد خمس عشرة سنة إلا أياماً قلائل. وكان قليل الطمع في أموال الناس متدنياً في نفسه لا يكون إلا على طهارة كاملة لا يعرف شيئاً من النفاق إلا أنه طائش السيف أتلف كثيراً من الناس بحق وباطل تجاوز الله عنه.

وفي هذه السنة ظهر جواد كثير في اليمن فاتلف معظم زرع البلاد وطائفة من نخل زبيد. وفي غرة ذي القعدة توجه السلطان إلى زبيد فدخلها يوم الخميس من الشهر المذكور.

واستمر الطواشي جمال الدين مرجان أميراً في زبيد يوم السادس من ذي القعدة.

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح جمال الدين محمد بن يوسف بن إبراهيم بن عجيل وكان رئيساً في أهل بيته في وقته ذلك لا يشابهه منهم أحد وكان جواداً كريماً حسن السيرة متواضعاً تقياً براً. وكان وفاته في العشر الأولى من ذي الحجة.

وفيها توفي الفقيه الصلح شهاب الدين أحمد بن الفقيه الصالح رضى الدين أبي بكر بن عبد الله بن محمد بن علي بن إسماعيل الحضرمي. وكان فقيهاً صالحاً تقياً براً عارفاً بالمذهب انتهت إليه رياسة التوى في زبيد وكان تفقه بعمه محمد بن عبد الله وغيره وتفقه به كثير من الناس وكان متواضعاً حسن التدريس باذلاً نفسه لمن قصده مختصراً في دنياه كثيراً. وكان وفاته يوم السادس من رجب من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

(253/1)

وفي يوم التاسع من الحجة استمر الفقيه الأجل الدين محمد بن عبد الله الريمي في القضاء الأكبر في المملكة اليمنية كان يومئذ أوحد أهل العصر علماً وأحسنهم فهماً.

علامة العلماء واللج الذي ... لا ينتهي ولكل بحر ساحلُ

وفي يوم العشرين من الشهر المذكور تقدم السلطان من زبيد نحو الجهات الشامية فأقام هنالك إلى آخر السنة.

وفي سنة ثمان وثمانين وسبعمائة كان السلطان في الجهات الشامية فأقام إلى يوم عاشوراء وعزم على الرجوع إلى زبيد. فلما وصل في القحمة يوم الثاني عشر خرج صنوه ملك المنصور عبد الله بن العباس يريد التقدم إلى فشال فصادف جمعاً من العرب المفسدين وهو على بغلة منفرداً عن حاشيته وغلمانه ولم يكن عنده منهم إلا نفران فحملت عليه الخيل وكان يظنهم من جملة العسكر فلما حملوا عليه وليس معه سلاح ولا مركوب إلا البغلة التي هو عليها انتزع الدبوس وساق على أحدهم

فاعترضه آخر وطعنه طعنة بالرمح فاضت منها نفسه رحمه الله تعالى. فحمل إلى زبيد ثم إلى تعز ودفن في تربة والده وكان دفنه يوم الخامس عشر من الشهر المذكور. وكان دخول السلطان زبيد يوم الأربعاء من الشهر المذكور.فأمر بالقراءة عليه في زيد سبعة أيام في الجامع.

وفي يوم السابع عشر من الشهر المذكور جرد السلطان العساكر إلى بلاد المعازبة فلم يجدوا فيها أحداً فنهبوا وحرقوا القرى ولم يظفروا بأحد ولا وجدوا أحداً.

وفي غرة شهر صفر أمر السلطان بكتب منشور لأهل وادي سهام يتضمن الصدقة عليهم بزيادة معاد في القطيعة. فكانت هذه من فعلاته الحسان.

وفي هذا التاريخ أستمر الأمير عز الدين بقية بن محمد بن الفخر والياً بزبيد فسار بالناس جميعاً سيرة حسنة وارتفق بولايته كل أحد من الناس على اختلاف طبقاتهم. وفي النصف من صفر المذكور أوقع الأمير بهاء الدين بهادر الشمسي بالمقاصرة فقتل منهم طائفة وحمل من رؤوسهم إلى باب السلطان نحواً من خمسين رأْساً. وفي الثامن عشر من الشهر المذكور وصل القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد العلوي مطلوباً إلى باب السلطان وكان في سجن عدن كما ذكرنا أَولاً. فأَذم عليه السلطان وآنسه بنفسه وتحقق السلطان براءَته مما قيل عنه. وكان أحد الرجال الكملة رأْياً وعقلاً ورياسةً ونبلاً وأَفضالاً وفضلاً.

وفي سلخ صفر نزلت العرب عن الخيل وسلموها إلى الأمير بهاء الدين بهادر الشمسي بعد أن أجلاهم عن أوطانهم وقتل طائفة من فرسانهم.

وفي التاسع عشر من شهر ربيع الأَول وصلت هدية من الديار المصرية إلى السلطان ووصل صحبة الهدية جماعة من عمال الحرير بالإسكندرية.

وفي اليوم الثالث عشر من شهر ربيع الآخر وصل من خيول العرب أربعة وثلاثون رأْساً أرسل بها الشمسي ووصل هو بالباقي يوم السادس عشر ووصل بأموال الجهة الشامية. وفي اليوم التاسع عشر من الشهر المذكور وقع حريق في الثغر المحروس بعدن وكان حريقاً شديداً فاتلف من المدينة شيئاً كثيراً من البيوت والأموال ولم يعلموا سبباً حتى قلَّ من قال أن ناره نزلت من السماء وقدرة الله أَعظم من ذلك.

وكان نزول السلطان النخل يوم السبت الرابع من جمادى الأولى فأقام في النخل والبحر إلى يوم العشرين من الشهر المذكور. ورجع إلى زبيد فأقام بها إلى الخامس والعشرين. وتقدم إلى تعز مصحوباً بالسلامة فكان دخوله تعز يوم الأحد الرابع من جمادى الآخرة.

وفي سلخ جمادى الآخرة ثارت الفتنة بين أهل جبلة وأهل التعكر وغيرهم فاقتتلوا قتالاً شديداً أول يوم ثم في اليوم الثاني انهزم جبلة هزيمة شنيعة ونهبت المدينة وانتقل عنها بعض أهلها إلى إبّ.

وفي شهر رجب أوقع الأمير بهاء الدين الشمسي بالواعظات فقتل منهم طائفة واسر طائفة وكانوا قد مدوا أيديهم في الفساد وقطع السبيل. فلما أوقع بهم أقمعوا. وفي يوم العشرين من شعبان توفي الأمير الكبير الشريف الحسيب النسيب شهاب الدين أبو سليمان أحمد بن عجلان بن رميثة بن أبي نمى صاحب مكة حرسها الله تعالى. وكان أميراً جواداً كريماً سيداً حليماً حسن السيرة في البلاد والعباد. وفي أَيامه رغب كثير من التجار في سكنى مكة لعدله وحسن سيرته. ولما توفي في التاريخ المذكور قام بعده ولده محمد بن أحمد وكان أبوه في مدة حياته قد حبس جماعة من الأشراف أحدهم عنان بن مغامس بن رميثة وابن عمه بقية بن رميثة ومع أحدهما ولد له. وكانوا قد غيروا على الشريف أحمد في البلاد بعض غيار فنفروا عنه وخرجوا عن مكة خائفين له فتبعهم أخوه محمد بن عجلان إلى الموضع الذي هم فيه ورادوهم على الرجوع فلم يطمئنوا فكفل لهم عن أخيه الرضا التام وانهم لا يأتيهم منه ضرر أبداً فرجعوا إلى مكة. فلما صاروا في مكة أمر الشريف أحمد بلزمهم وبحبسهم فأتاه أخوه فقال له أني كفلت لهؤلاء القوم عنك فلا تخيبني معهم فإما أن ترضى عنهم وإلا فاتركهم يرجعوا إلى الموضع الذي كانوا فيه ثم رأْيك بعد. فلم يفعل هذا ولا هذا. فقال له أخوه إذا لم تفعل شيئاً من هذا فاحبسني معهم فإني الذي أتيت بهم فأمر بحبسه معهم. فأقاموا في الحبس سنتين أو ثلاث سنين في حياة الشريف أحمد. فلما توفي في التاريخ المذكور وتولي بعده ولده محمد كما ذكرنا أشار على الولد من أشار بكحلهم. وكان قد هرب من الحبس عنان بن مغامس فأمر الشريف محمد بن أحمد بكحل الباقين فكحلوا في محبسهم في يوم واحد من غير جرم يوجب ذلك.

وفي هذه السنة صام السلطان في مدينة تعز. وفي غرة شهر رمضان المذكور أمر السلطان القاضي موفق الدين علي بن أحمد الضرغاني ناظراً في الثغر المحروس والأمير بدر الدين محمد بن علي الشمسي أميراً فيها.

وفي أثناء شوال تقدم السلطان إلى زبيد فدخلها يوم الرابع عشر من شوال. فلما كان يوم الثامن من القعدة حرقت قرية المملاح الأسفل بزبيد حريقاً شديداً أهلك فيه جماعة من الآدميين وتلف مال كثير من الصامت والناطق. واتفق أن وقع والناس غائبون عن منازلهم في صلاة الجمعة فلم يدركوا منها شيئاً.

وفي غرة ذي الحجة حمل كتاب التفقيه في شرح التنبيه تصنيف القاضي الأجل جمال الدين محمد بن عبد الله الريمي على رؤوس المتفقهة من بيت المصنف إلى مقام السلطان مرفوعاً بالطبلخانة. وكان أربعة وعشرين جزءاً فحباه السلطان بثمانية ألف درهم إعظاماً للعلم ورفعاً لدرجته إذ هو بركة الدنيا والآخرة.

وفي هذا التاريخ قتل الشريف جمال الدين محمد بن أحمد بن عجلان صاحب مكة المشرفة. وذلك أن الشريف عنان بن مغامس لما هرب من حبس مكة بعد وفاة ابن عمه أحمد بن عجلان كما ذكرنا آنفاً تقدم إلى مصر وحضر في مقام السلطان وحقق له ما كان من فعل الشريف محمد بن أحمد لما توفي والده الشريف أحمد بن عجلان وكونه كحل الجماعة المذكورين وهم رحمه وذرية رسول اله

صلى الله عليه وسلم وفي بلد الله الحرام ولم يكن لهم سابقة توجب ذلك. فلما سمع السلطان مقالته ولاه أمر مكة فرجع عنان إلى مكة صحبة أمير الحج. فلما صاروا قريباً من مكة خرج الشريف محمد بن أحمد بن عجلان ليلتقي المحمل السلطاني جرياً على العادة. فلما ترجل للسلام كما جرت العادة قتل وهرب غلمانه وخدمه وعبيده ومن معه من بني عمه. فانتهب كثير من الحج في ذلك اليوم. ودخل عنان مكة أميراً وأشرك معه في الأمر ابن عمه محمد بن عجلان وقد صار مكحولاً.
وفي هذه السنة توفي الملك المسعود عبد الله بن السلطان الملك المجاهد وكانت وفاته في قرية السلامة من بادية حيس يوم التاسع والعشرين من المحرم أول السنة المذكورة.
وفيها توفي الفقيه جمال الدين محمد بن علي بن ثمامة. وكان فقيهاً صوفيّاً ناسكاً حسن السيرة متواضعاً. واستمرَّ مدرساً في المدرسة النظامية بزبيد بعد أبيه إلى أن توفي. وله مصنفات في الحقيقة واختصر المنهاج للنواوي والمعين. وكان من مشايخ الصوفية توفي في آخر صفر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

(255/1)

وفيها توفي الفقيه البارع تقي الدين عمر بن سعيد التعزي عن ثمان وثمانين سنة. وكان فقيهاً عالماً جيداً حسن التدريس عارفاً بالشرع والفرائض حسن الخلق متواضعاً تفقه به طائفة من الناس وولي القضاء في مدينة تعز مدة طويلة واستمرَّ مدرساً في المدرسة المظفرية في معزبة تعز إلى أن توفي يوم الحادي عشر من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.
وفيها توفي الشيخ الصالح حسان بن الشيخ الصالح بكر بن محمد بن حسن ابن مرزوق الصوفي. وكان رجلاً صالحاً تقيّاً متواضعاً حسن السيرة قانعاً رحمه الله تعالى. توفي يوم الخامس عشر من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة.
وفيها توفي القاضي رشيد الدين عمر بن أحمد الشتيري. وكان أحد غلمان السلطان. وصدور الأعيان. ولي شد الاستيفاء واقطعه السلطان الملك الأشرف وادي رمع وحمل له حملاً وعلماً. وكان عفيفاً عالي الهمة حسن المباشرة إلا أنه غير متعلق بشيءٍ من العلوم توفي يوم الخامس من شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.
وفيها توفي الأمير الكبير الشريف الأجل الخطير الحسن بن إدريس الحمزي. وكان أَحد الشرفاء الأجواد. والرؤساء الأَمجاد. وأمر السلطان بالقراءة عليه في تعز ثلاثة أيام. وكانت وفاته في شهر رمضان من السنة المذكورة.
وفيها توفي الأمير الكبير الأجل الخطير الشريف المعظم سلطان الأشراف داود بن محمد بن إدريس بن عبد الله بن يحيى بن الحسن بن حمزة بن سليمان ابن حمزة صاحب صنعاء. وكانت وفاته في قرية المملاح بزبيد فجهزه السلطان بأربعة آلاف درهم ومر بدفنه في تربة قد دفن السلطان فيها

بعض ولده وصلى عليه الوزير وحضر دفنه السلطان فمن دونه من سائر الناس ونزل قبره الفقيه سراج الدين عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي وأضجعه فيه السلطان وفقه الله على شفير القبر.
وكان شريفاً جواداً عالي الهمة توفي يوم الثامن عشر من ذي القعدة رحمه الله تعالى.
وفيها توفي الفقيه الصالح عفيف الدين عبد الله بن الفقيه الصالح حسن ابن إبراهيم بن أبي السرور.
وكان أوحد عصره علماً وعملاً ورياسة ونفاسة وكان له قبول عند كافة الناس على اختلاف حالاتهم.
توفي في ذي الحجة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.
وفيها توفي الفقيه الصالح المشهور جمال الدين محمد بن عيسى الزيلعي العقيلي صاحب الحية.
وكان أروع أهل العصر وأشدهم خوفاً لله تعالى قلَّ أن يأتي الزمان بمثله رحمه الله تعالى.
وفي سنة تسع وثمانين وسبعمائة تقدم الركاب العالي إلى تعز المحروس فدخلها يوم الثالث من المحرَّم. وفي آخر الشهر المذكور وصل الأمير بهاء الدين الشمسي إلى الأبواب السلطانية بما صحبه من أموال الجهة الشامية وصحبته من التحف والهدايا شيء كثير فأمر السلطان على كافة العسكر أن يخرجوا في لقائه فخرجوا وكان السلطان في دار الشجرة.
وفي شهر صفر افتسَحَ الأشراف الحمزيون من السلطان وأرادوا الرجوع إلى بلادهم ففسح لهم وزوّدهم بستة وخمسين ألف درهم من الجدد الأشرفية.
وفي شهر ربيع الأول اصطلح الإمام همدان وسلموا إليه القلعة وفيرة ولم يبق تحت أيديهم إلا ذمرمر. وكان رئيس الإسماعيلية يومئذ الشيخ فخر الدين المدعي في الجزيرة اليمنية عبد الله بن علي بن محمد الأنف. وفي السابع والعشرين تقدَّم السلطان إلى تهامة. وكان دخوله زبيد يوم الثالث من شهر ربيع الآخر فأقام بها إلى يوم السادس عشر من الشهر المذكور وتقدم إلى الدار المسمى سرياقوس في رأْس الوادي زبيد فأقام هنالك آثام ثم رجع إلى قصره في دار النصر يوم التاسع عشر. وكان ابتداء السبوت يوم الثاني والعشرين منه. ونزل السلطان النخل يوم السبت الثامن من شهر جمادى الأولى. ثم سار إلى البحر يوم الأحد التاسع فأقام به إلى يوم الجمعة الثالث عشر ثم رجع إلى النخل.
وفي شهر جمادى الأخرى وقع حريق في زبيد في ناحية متاجر حسان يوم التاسع منه.

(256/1)

وفي هذا التاريخ تقدم الأمير بهاءُ الدين الشمسي إلى بلاده. وتقدم الأمير فخر الدين السنبلي إلى الجثة مقطعاً بها. وتقدم السلطان من النخل إلى زبيد يوم الخامس عشر. وفي اليوم الثالث عشر وصلت خزانة جيدة من الأمير البهاءِ الشمسي ووصل معها من رؤوس المفسدين نحو من خمسين رأْساً. وفي اليوم الثاني والعشرين تقدم السلطان من زبيد إلى محروسة تعز فكان دخوله تعز أول يوم من رجب.

وفي يوم الجمعة من شعبان وقع في نواحي زبيد مطر شديد واظلم الجو نصف النهار قبل صلاة الجمعة وحصل برق يومئذٍ في ناحية صمع من وادي رمع فأصاب ثلاثة تفر كانوا تحت شجرة هنالك فهلكوا لفورهم.

وفي النصف من شهر شعبان حصل في نواحي عدن زلازل شديدة وأقامت أياماً وسقط بعض دور عدن وفزعوا عند ذلك إلى تلاوة القرآن وقراءة البخاري من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي الخامس من شهر رمضان وصل القاضي نور الدين علي بن عمر المحلي التاجر الكارمي بهدية جليلة من الديار المصرية إلى السلطان فأكرمه السلطان غاية الإكرام.

وفي رمضان المذكور قصد الإمام مدينة رَيام فنهب منها مالاً جليلاً وقتل من أهلها طائفة وقتل من أصحابه طائفة. ولما رجع الإمام عنها قصد عسكره أرياباً فأتلفوا زرعه وقاتلهم أهل أرياب وقتلوا منهم جماعة ونهبوا كثيراً من خيامهم وأزوادهم وأثقالهم.

وفي الثالث من شوال تقدم السلطان الجوة فأقام فيها أياماً وأمر القاضي شرف الدين حسين بن علي الفارقي ناظراً في الثغر المحروس بعدن عوضاً عن القاضي موفق الدين الضرعاني. واستمرَّ القاضي شمس الدين علي بن محمد بن حسان أميراً هنالك. ووصلت هدية من دَهلك فيها فيل وزارفة ونعامة ووحوش مختلفة.

وفي شهر ذي القعدة جمع الإمام عساكر المشرق وسار بهم نحو عدن فكان وصوله لَحج يوم الأحد الثالث عشر من ذي القعدة وزحف عسكره إلى عدن فخرج إليهم أهل عدن فقاتلوهم قتالاً شديداً وقتل من عسكره طائفة وطائفة من أهل عدن أيضاً وكان ارتفاعه عن عدن يوم الخامس والعشرين من الشهر المذكور. وقد أُصيب رجل من أصحابه كان فارساً شجاعاً مقداماً أصابه منهم على باب عدن فمات آخر يومه أو آخر ليلته والله اعلم. ووقع في أصحه مرض شديد وموت ذريع فاستمرَّ راجعاً إلى بلاده لا يلوى على شيءٍ.

وفي هذه السنة وصل الشريف علي بن عجلان من الديار المصرية بعسكر جيد وقد ولي الإمارة في مكة المشرفة. وكان وصوله إليها في العشر الأول من ذي الحجة. فلما علم ابن عمه عثمان بن مغامس بوصوله هرب من مكة وتركها ودخلها عليُّ بن عجلان مستمرّاً.

وفي سنة تسعين وسبعمائة أمر السلطان بعمارة الجامع في المملاح. وكان احتطاطه يوم الخميس الخامس عشر من المحرم. وتقد السلطان إلى سرياقوس من وادي زبيد يوم الثالث والعشرين من الشهر فأقام أياماً هنالك إلى يوم التاسع والعشرين منه ووصلت رؤوس الواعظات. وكان قد أوقع بهم ابن العلوي. وفي سلخ الشهر المذكور رجع السلطان إلى دار النصر.

ووصل العلم في التاريخ المذكور بوصول الأشراف إلى حَرض فجرَّد لهم السلطان الأمير بدر الدين محمد بن علي بن الشمسي والأمير بهاء الدين بهادر الشمسي. وفي النصف من شهر صفر وصل الأمير فخر الدين أبو بكر بن بهادر السنبلي من الجثة برؤوس جماعة من المفسدين وبجماعةٍ من الأسارى فأمر بهم السلطان إلى السجن.

وفي يوم الرابع والعشرين من شهر صفر فصل القاضي شهاب الدين أحمد ابن أبي بكر الناشري عن القضاء بزبيد. واستمر عوضه بن عمه القاضي جمال الدين محمد بن عبد الله الناشري.

ووصل الأمير بدر الدين محمد بن علي بن إياس إلى باب السلطان من تعز فلما كان غرة شهر ربيع الآخرة أمرهُ السلطان مقطعاً في وادي رمع.

وفي اليوم الرابع عشر من الشهر المذكور وصل العلم بدخول العسكر المنصور حرَض وخرج المفسدين منها.

وفي ليلة الخامس عشر من الشهر المذكور حرق طائفة من قرية المملاح بزبيد حريقاً شديداً وحرق في هذه السنة عدة من الأماكن.

وفي يوم السابع عشر من الشهر المذكور أمر السلطان بإعادة القاضي شهاب الدين أحمد بن أبي بكر الناشري على القضاء بزبيد وأعاد ابن عمه القاضي جمال الدين إلى مكانه بالأعمال التهامية. وكان كل واحد منهما محبوباً عند أهل بلده.

(257/1)

وفي الحادي والعشرين من الشهر جاءَ وادي زبيد بسيل عظيم حتى قيل انه كان نحواً من أربعة أَنواع وجاءَ نحو النخل فاتلف كثيراً منه بعد أن أتلف جانباً من محل ماتع ومحل حرين وشرذمة من الحجوف استولى على بيوتهم ودوابهم وبعض أهل يهم ولم يترك من نخل المغرس إلا قليلاً. وكان سيلاً عظيماً لا يُعهد مثله.

ووصل صاحب مَشَار إلى باب السلطان في عدد كثير من أصحابه فقابلهم السلطان بالإنعام العام والتفضل والإكرام. وكان وصوله في اليوم الثاني والعشرين من الشهر المذكور.

وفي يوم الرابع عشر من شهر جمادى الأولى حصلت مشاجرة بين الأمير بزبيد هبة بن الفخر وبين حاكم الشريعة المطهرة في زبيد على أرْض من أراضي الوادي زبيد كل منهما يريد أن يزرعها لنفسه فكان القاضي يرسل شركاءَه إلى الأرض والأمير يرسل غلمانه يمنعونهم من حرثها. فلما كان في التاريخ المذكور خرج القاضي وشركاؤه وجماعة من أعوانه. فأرسل الأمير جماعة من غلمانه وأمرهم بمنع الشركاء فلم يمتنع القاضي ولا من معه فبطش بهم غلمان الأمير وطردوهم عن الموضع وضربوا القاضي وجرحوه ثلاث جراحات وكان السلطان يومئذٍ في النخل فلما بلغه العلم على زيادة ونقصان وصل بنفسه إلى زبيد آخر يوم الخامس عشر من الشهر المذكور. فلما تحقق الأمر على جليته فصل الأمير عن الولاية بزبيد لإهماله الشريعة المطهرة وتفريطه في الخصوم وصادره بثلاثة آلاف دينار عن كل جراحة ألف دينار تأديباً له وقياماً بما يجب من حق الشرع الشريف.

واستمر الطواشي مرجان أميراً في زبيد في التاريخ المذكور. وفي يوم السابع عشر من الشهر المذكور وصل عمران السجي أبو بكر بن سبا إلى باب السلطان على ذمة الأمير بهاءِ الدين

اللطيفي فقابلهما السلطان بالقبول. وأقام السلطان في زبيد إلى يوم السبت الرابع والعشرين من الشهر المذكور ثم تقدم إلى النخل فأقام فيه أياماً ثم سار إلى البحر وفي سلخ الشهر المذكور أعاد السلطان الأمير عز الدين على ولايته في زبيد لما علم السلطان من حسن سيرته في الناس ومحبتهم له.

وكان رجوع السلطان من البحر. ووصلت كتب الوزير القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن عباس تخبر بحركة عسكر من المشرق. فجرد السلطان الطواشي جمال الدين ثابتاً والأمير بدر الدين محمد بن علي بن إياس إلى تعز.

وفي هذا التاريخ جرد السلطان الأمير غياث الدين عيسى بن محمد بن حسان إلى الجهات الشامية لاستخراج الأموال من تلك النواحي. وكان أميراً شهماً خيراً. وأمر القاضي شهاب الدين أحمد بن عمر بن معيبد لاستخراج مال النخل من الجهات الموزعية فتقدما يوم الثلاثاء الرابع من شهر جمادى الآخرة.

وفي يوم الخامس من الشهر المذكور وقع حريق في دار السلطنة فتشعث منه مواضع كثيرة.

وفي يوم التاسع من الشهر المذكور تقدم السلطان إلى البحر وحضر مشايخ الصوفية بأسرهم إلى هنالك لإقامة سماع المحيا على ساحل البحر في الليلة العاشرة من الشهر المذكور. وأقام السلطان على البحر إلى يوم الأحد السادس عشر وتقدم إلى زبيد.

ووصل الأمير غياث الدين عيسى بن محمد بن حسان بأموال الجهات الشامية ووصل بثلاثين رأساً من جياد الخيل. ووصل القاضي شهاب الدين أحمد بن عمر بن معيبد بأموال الجهات الموزعية.

وتقدم السلطان إلى تعز يوم الاثنين الخامس عشر من رجب.

وفي غرة شعبان أَغار عسكر من الأشراف على بعض جهات المحالب فاستاقوا أموالها فأغار عليهم الأمير بهاء الدين اللطيفي. وكان يومئذ أميراً بالمحاب فاستنقذ المال ولزم منهم نفرين أحدهما ولد محمد بن سليمان بن مدرك والآخر ولد يوسف بن حسن وأرسل بهما تحت الحفظ إلى باب السلطان فأودعهما السلطان دار الأدب.

وفي هذا التاريخ أَغار الأمير بدر الدين حسن بن الخراساني على أهل الحنكة وقد بلغه الخبر أن بعض أشراف المشرق وصل إليهم بخيل اشتروها فهجم عليهم الأمير ولزم الشريف المذكور وأرسل به إلى الباب الشريف وقتل منهم جماعة.

وفي النصف من شهر شعبان وصلت هدية الأمراء أصحاب حلي بن يعقوب على يد القاضي حسام الدين عيسى بن عبد الله بن الهليس.

وفي اليوم الرابع من رمضان استمرَّ القاضي عفيف الدين عبد الله بن محمد الجلاد ناظراً في الثغر المحروس عوضاً عن القاضي شرف الدين حسين ابن علي الفارقي.

وفي اليوم السادس عشر من الشهر المذكور وصل القاضي برهان الدين إبراهيم بن عمر المحلي المصري التاجر الكارمي بهدية جليلة المقدار فيها من المأكول والمشروب والملبوس والمشموم ومن التحف شيء كثير ومن الخيل والبغال وكلاب الصيد وسباع الطير ما يستحسن ويستطرف شيء كثير. وصام السلطان هذه السنة في تعز المحروس.

فلما كان يوم الرابع من شوال تقدم إلى تهامة فكان دخوله زبيد يوم العاشر من الشهر المذكور فأقام بها إلى سلخ الشهر المذكور.

وفي النصف الأخير من شوال برز مرسوم السلطان بان يجعل وعد زبيد يوم الخميس وكان وعدها وسوقها يوم الجمعة وكان كثير من الناس يتعلقون بالبيع والشراء عن حضور الجمعة فأمر السلطان بتغييره لذلك.

وفي ليلة الثامن عشر من ذي القعدة وقع مطر عظيم ورياحُ شديدة في ناحية الحجاز مما يلي حلي ابن يعقوب فغرق في تلك الليلة من سفائن الحجاج السائرين في البحر إلى مكة المشرَّفة ثمانية عشر سفينة وقيل إحدى وعشرون فيما بين مكة وحلي ابن يعقوب. وهلك فيها طائفة عظيمة من الناس وتلفت أموال جليلة.

وفي يوم الجمعة السابع والعشرين من ذي القعدة المذكورة أُقيمت صلاة الجمعة في الجامع المبارك الذي أنشأَه مولانا السلطان في القُوّر وقد تقدم تاريخ عمارته واختطاطه.

وفي سلخ ذي القعدة استمرَّ القاضي سراج الدين عبد الطيف بن محمد بن سالم مشدّاً في وادي زبيد بعد أن كره ذلك فلم يقبل منه فامتثل الأمر. وكان أوحد رجال العصر خبرةً واجتهاداً ونصحاً ورشاداً فظهر من نصحه واجتهاده ما لا يتصوَّر من أَحد قبله فأضاف إليه السلطان كثيراً من الوظائف فقام بالجميع قياماً مرضيّاً.

وفي غرة ذي الحجة استمرَّ القاضي شرف الدين أبو القاسم بن عمر بن معيبدٍ ناظراً بالثغر المحروس عوضاً عن القاضي عفيف الدين عبد الله بن محمد الجلاد. وتقدم الركاب العالي من زبيد إلى تعز المحروس يوم الجمعة الخامس والعشرين من ذي الحجة فكان دخوله تعز يوم الاثنين الثامن والعشرين من الشهر المذكور.

وفي هذه السنة توفي الفقيه شهاب الدين أحمد بن محمد المتيني وكان فقيهاً مجوداً في مذهب الإمام أبي حنيفة عارفاً بالنحو والفرائض والقراءَات السبع. وكان أَديباً جيداً تقيّاً حسن السيرة أَخذ الفقه عن الفقيه أبي يزيد وكذا الفرائض أيضاً عنه وكان مدرساً في مدرسة ابن الجلاد وناظراً إلى أن توفي. وكانت وفاته يوم الخامس عشر من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه الصالح عفيف الدين إبراهيم الجبلي. وكان في أول أمره سفلوتاً يخدم من جملة العسكر ثم ترك الخدمة وحمل السلاح وأَقبل على عبادة الله تعالى والانقطاع إليه. وكان زاهداً وظهرت له كرامات كثيرة واستوطن في آخر عمره بيت حسين وترك زبيد ولم يزل هنالك إلى أن توفي في اليوم الثاني عشر من شهر رجب من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه الشيخ الصالح أبو بكر بن محمد بن سلامة الساكن في موزع وكانت موطنه. وكان رجلاً صالحاً ناسكاً فقيهاً حسن السيرة له كرامات كثيرة. وكان كثير الحج والزيارة قد زبيد في آخر شوال من السنة المذكورة فأقام بها إلى السابع من ذي القعدة ثم تقدم إلى بلاده موزع بعد أن صلى الجمعة في زبيد فتوفي يوم الأحد التاسع من ذي القعدة في أثناء الطريق فحمل إلى قريته موزع فدفن بها يوم الاثنين العاشر من ذي القعدة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي القاضي الأجل الوزير وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن عباس المقري. وكان خير وزير. وكان فقيهاً نبيهاً عارفاً بارعاً حليماً ذكيّاً متضلعاً مشاركاً في كثير من العلوم عارفاً بالشرع والنحو والفرائض يقول شعراً حسناً. وولي كتابة الإنشاء في الدولة الأفضلية ثم قضاء الأقضية في الدولة الأشرفية ثم تولى الوزارة فيها. وكان مألفاً للأصحاب توفي يوم الرابع والعشرين من شهر ذي الحجة فكانت وزارته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام رحمه الله تعالى.

(259/1)

وفي سنة إحدى وتسعين وسبعمائة تقدم السلطان إلى بلاد صهبان وأمر بالمحاط عليها فنهب العسكر من بلادهم شيئاً كثيراً وقتلوا منهم جماعة فطلبوا الذمة من السلطان فأجاباهم إلى ذلك وسلموا الرهائن فأمر برفع المحاط عنهم ورجع السلطان إلى تعز فدخلها في النصف الأخير من شهر صفر وأقام أياماً وتقدم نحو تهامة يوم الجمعة الثاني والعشرين من صفر فدخل زبيد يوم السبت الثالث والعشرين من الشهر المذكور فأقام في زبيد أياماً وأرسل لنواب الجهات الشامية فوصلوا يوم الأحد التاسع من شهر ربيع الأول.

وفي هذه السنة استمر القاضي شهاب الدين أحمد بن عمر بن معيبد وزيراً. كان استمراره يوم السبت الثاني من شهر صفر من السنة المذكورة.

ووصل الأمير بدر الدين الخراساني صاحب القحمة والقاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد العلوي صاحب الكدراء يومئذٍ والأمير بهاء الدين اللطيفي صاحب القحرية. فلما خليت الجهات الشامية من العساكر نزل عسكر من أصحاب الإمام في النصف من شهر ربيع الأول فأخربوا الجهات الشامية وانضم اليهم كثير من طوائف الفساد فقويت شوكتهم ونزل الإمام في جيوش المشرق فارتفع صاحب حرض وصاحب المحالب وصاحب المهجم ووصلوا جميعاً إلى باب السلطان في يوم الثامن عشر من الشهر المذكور. وكثرت الأراجيف في البلاد فأمر السلطان وهو يومئذ في زبيد بعمارة الخندق الثاني وهو الذي كان دفنه الأهيق ثم عمر السوي الثاني الذي على الخندق الثاني. وكان ابتداء العمارة في يوم التاسع عشر.

فلما كان يوم الثالث والعشرين من الشهر المذكور أمر السلطان أمراء الجهات بالانصراف إلى جهاتهم فتقدموا في التاريخ المذكور.

وفي غرة شهر ربيع الآخر جهز السلطان عسكراً جيداً ومالاً فلما وصل إليهم كان مقر العسكر في حدود القحرية. فلما تتابعت الإمدادات ارتفع المفسدون عن البلاد. وكان وقت ارتفاعهم يوم الاثنين الثامن من شهر ربيع الآخر بعد أن قتل منهم في أبيات حسين نحو من خمسين رجلاً.

ورتب السلطان الفقهاء المدرسين في الجامع المبارك الأشرفي بقرية المملاح وأمرهم بالتدريس جمع الطلبة ونشر العلم وكانوا ستة مدرسين مقري الكتاب الله تعالى بالقراءات السبع. ومحدث بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومدرس في الشرع الشريف على مذهب الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الشافعي. ومدرس في الفرائض. ورتب مع كل واحد منهم جماعة من الطلبة ورتب فيه إماماً ومؤذنين وقيمين وخطيباً ومعلماً يعلم الأيتام القرآن وشيخاً صوفياً.

قال علي بن الحسن الخزرجي وكنت أحد المدرسين المرتبين فيه لإقراء القرآن بالقراءات السع فأعجبني ما رأيت من اجتماع العلماء في الجامع المذكر واشتغال كل طائفة بما ندبت له فقلت في ذلك :

ضحك الزمان بواضح الثغر ... مستبشراً بالعز والنصر

في دولة زادت زبيد بها ... شرفاً على بغداد بل على مصر

بالأشراف الملك الذي ذكرت ... أيامهُ في سالف الدهر

من لا شبيه ولا نظير له ... واسأَل ملوك العصر في العصر

هذا الذي تعنو الملوك له ... وتظل تحت النهي والأمر

ملكُ كريم النبعتين معا ... من سرّ غسانٍ ومن فهر

لا شيرويه ولا بويه ولا ... زنكي ولا ريزي وسل تدري

عباس الهزبر ومن في ... الناس كالعباس ذي البشر

وعلى من كعليّ لا أحد ... يشبهه في المعروف والنكر

وكذاك داودُ ويوسفهُ ... ناهيك من بحر ومن بر

وكذا أبو الفتح الرضي عمرُ ... وعلُّيه ورسول ذو القدر

أكرم بهم من سبعةٍ نسقاً ... كالسبعة الأفلاك إذ تسري

غرٌّ بهاليلُ غطارفهُ ... من جَفنةٍ لغطارفٍ غُر

أيامهم غرٌّ محجلةٌ ... بفعالهم والحمد والشكر

ولأَنت شمسهمُ وبدرهمُ ... لا زلت مثل الشمس والبدر

يا سيد العربين دعوة ذي ... ودٍّ وذي حمدٍ وذي شكر

يا من تَتوَّج بالمفاخر لا ... بالدرّ والياقوت والشذر

وحمى ثغور المسلمين معاً ... بالبيض والعسَّالة السمر

وبعزمةٍ جفنيةٍ صدمت ... بَوميضها برقوق في مصر

والناس في أَمنٍ وفي دعةٍ ... والذيب يرعى الشاء في القفر
والعلمُ عزَّ وعزَّ حاملهُ ... فتراه بعد الطيّ في نشر

(260/1)

وعصابة العلماءِ قاطبةً ... يدعون في سرّ وفي جهر
لما جمعتهم جميعهم ... ونظمتهم كالسلك والدر
في جامع رحب البناء فسي ... ح السوح لا ضنك ولا وعر
وجمعت فيه العلم أجمعه ... في المذهبين رفيعي القدر
والسبعة القرَّاء كلهم ... براوية المقري عن المقري
وكذا الفرائض والحديث وعل ... م النحو والتصريف والشعر
وسطرتهم سطراً على سنن ... أكرم بذاك السطر من سطر
وترى أبا العباس محتبيّاً ... يروي حديث الطاهر الطهر
والناشريّ كأنهُ قمرُ ... متبلجُ ومعيدهُ القحري
وبجنبهِ عبد الطيف ومن ... حوليه مثل الأنجم الزهر
وعلى المطيّبِ وابنهُ معهُ ... ناهيك من طودٍ ومن بحر
وعلي بن أحمد لا نظير له ... شيخ شيوخ الجبر والجذر
ولمقرئ القرآن تقدمة ... ومحلهُ في أول الذكر
ومعلمُ الصبيان ليس لهُ ... في البدو مثلُ لا ولا الحضر
والدملؤي خطيبنا عمرُ ... ما مثله في الوعظ والزجر
وبنو القرافي كلهم حضروا ... وإمامنا موسى أخو الخضر
والشيخ حيدر والشريف وأص ... حابُ لهم في الفضل والفقر
فجزاك ربُّ العرش مغفرةً ... عن كل ما قدَّمتْ من وزر
وبلغت في الدنيا نهايتها ... وكفيت صرف نوائب الدهر
يا بهجة الدنيا وساكنها ... يا زينة الميدان والقصر
يا غيث يا بحر النوال ويا ... ليث الشرى يا طيب الذكر
أنا عبدك القن المحب ولا ... أَنسى الذي أَوليت من بر
فلأَشكرنك في الحياة ومن ... بعد الممات هناك في القبر
لا زلت في عز وعافيةٍ ... لا تنقضي ما غرد القمري
واستقبل الملك العقيم علي ... رغم العدا في أطول العمر
عمرُ مضى من خمسه سدساً ... سبعُ وثمن السبع من عشر

وفي يوم الجمعة الثاني عشر من الشهر المذكور استمر القاضي شرف أدين سليمان بن علي الجنيد قاضياً في زبيد عوضاً عن القاضي شهاب الدين أحمد ابن أبي بكر الناشري والقاضي موفق الدين علي بن عثمان المطيب قاضياً على مذهب الإمام الأعظم رحمه الله تعالى.

وفي يوم الخامس والعشرين من الشهر المذكور وصل الأمير بهاء الدين بهادر الأشرفي وكان يومئذٍ أميراً في عدن. ووصل الأمير فخر الدين أبو بكر بن بهادر الشمسي وكان في ناحية أَبين في عسكر جيد من الخيل والرجل.

وفي يوم الخامس من جمادى الأولى وصل ثلاثة عبيد من عبيد الإمام صلاح الدين إلى باب السلطان ووصل معهم رجل من أعرب فقابلهم السلطان بالقبول وأنعم عليهم.

وفي يوم الاثنين السابع من الشهر المذكور أمر السلطان على أصحاب النويدرة بالانتقال من قريتهم لقربهم من السور والباب فانتقلوا وابتنوا قرية فيما بين باب سهام وباب الشبارق وابعدوا ببنيانهم عن السور وأقاموا هنالك إلى أن أذن السلطان في رجوعهم إلى قريتهم في التاريخ الآتي ذكره أن شاءَ الله تعالى.

وفي النصف من شهر جمادى المذكور استمر الأمير شهاب الدين أحمد ابن علي الشمسي أميراً في الثغر المحروس فتقدم إليها.

وفي سلخ شهر جمادى الأولى استمر الطواشي جمال الدين مرجان مقطعاً في القحمة وكان قد ظهر من العرب فساد كثير فحسم مادتهم.

وفي يوم السبت سابع جمادى الآخرة تقدم السلطان إلى تعز فدخلها يوم الاثنين السابع عشر من الشهر المذكور. ووصل الخبر إلى زبيد بوصول الإمام في جيش عظيم فانتقل أهل النويدرة إلى زبيد وانتقل أيضاً أهل المملاح.

وفي يوم الأربعاء الحادي والعشرين من الشهر المذكور وقع الحريق في النويدرة آخر النهر المذكور فطارت الرياح بالنار إلى زبيد فحرق من باب سهام إلى باب الشبارق. وكان يوماً عظيماً ولم تزل النار تشتعل إلى آخر الليل من ليلة الخميس وتلفت فيه أموال عظيمة وطعام كثير.

(261/1)

ووصل الإمام إلى زبيد يوم الخميس الثاني والعشرين من الشهر المذكور في جيوش عظيمة وكانت محطته شرقي باب سهام. فلما كان يوم الثالث والعشرين ركب في جيوشه وطاف على المدينة ليرى أي موضع اقرب لقضاء حاجته بعد أن رتب على كل باب طائفة من عسكره فكان القتال على أربعة أبواب المدينة. وظهر له أن الباب الغربي وما يليه أيسر أَخذاَ من سائر الجهات خصوصاً من المخاليل التي يهرج منها الماء من الأمطار ففتح الحرب من هنالك. وكان في كثرة من العسكر مع اشتغال أهل المدينة بالقتال على كل باب فزحف أصحابه وزحف بهم أصحاب التراس يميناً وشمالاً

وقصدوا السور فحفروه بالمحافر وامتد أهل النشاب مع كثافتهم فرشقوا أهل المدينة فأنزلوهم عن السور وانهزم أهل المدينة عن السور لكثرة النشاب. وكان معظم العسكر السلطاني الذي في زبيد مخامرين فهربوا وتركوا القتال. فارتجت المدينة وصرخ النساء في كل ناحية فخرج أهل المدينة من منازلهم وطلعوا الدرب وقاتلوا قتالاً شديداً وضربوا ضرباً عظيماً ولم يقتل من أهل زبيد في ذلك الوقت أحد وكان على قلة النخل جماعة من الأصباهية فاعترضوا أصحاب الإمام الذين قصدوا المخاليل فصرعوا منهم جماعة فرجعوا على أعقابهم خائبين وانقطع طمعهم عن المدينة وأيسوا منها فجعلوا شغلهم بالتحريق في النويدرة وفي قرية المسرة وحافة الودن والمملاحين ودورات السلطان الخارجة عن المدينة.

فلما كان يوم الاثنين السادس والعشرين وصلت كتب الأمير بهاء الدين الشمسي إلى المقدمين في زبيد يخبرهم أنه قد صار في القرشية ويستشير المقدمين في وقت يهجم فيه المحطة ليلاً ويخرج أهل المدينة إليه في ذلك الوقت فرجعت إليه كتبهم بالجواب.

فلما علم الإمام بوصوله إلى القرشية ووصول كتبه إلى زبيد درَّد طائفة من عسكره يستطلعون الخبر فلقوا جماعة من أصحاب الشمسي فناوبت بينهم سجال القتال فقتل مملوك والتزم من أهل حرض فارسان فوصلوا بهما إلى الإمام فاستخبرهما فأخبراه الخبر وأطلعاه على حقيقة الأمر.

وفي يوم الثلاثاء السابع والعشرين سار راجعاً إلى بلاده في الطريق التي جاءَ فيها. ودخل الشمسي زبيد يوم الأربعاء الثامن والعشرين فأقام في زبيد هو ومنه معه إلى يوم الثالث والعشرين من شهر رجب. ثم تقدم نحو الجهات الشامية وتقدم مرجان إلى القحمة واللطيفيّ إلى ناحية سهام وسار الشمسي نحو المحالب واستقرت الأحوال.

وفي سلخ شهر رجب المذكور وقع الخلف بين أشاعر وادي زبيد وبين الفرس فقتل من الأشاعر اثنان ومن الفرس واحد فخافت الفرس من الأشاعر وكانوا جميعاً في قرية واحدة فانتقلت الفرس عن القرية ولم يطمئنوا بها ثم سكنوا قرية قبالة قرية الحجف بعد أن قادوا للأشاعر ولم يكن القتل في القرية وإنما اقتتلوا في الوادي على سقى مَحارثهم ولم يكن بينهم قبل ذلك خلف وإنما كانوا يداً واحدة على من سواهم. فلما كان ما كان من القتل والقود ورجعت الفرس إلى أماكنهم وسكنوا القرية المذكورة التي هي قبالة قرية الحجف كثر الكلام بينهم وتزايد مرَّةً بعد أُخرى وانبسطت السنتهم على الأشاعر بما لا يحسن من الكلام ونقل الناس عنهم قبيح الكلام حتى كانت الوقعة الثانية في سنة أربع وتسعين وسأَذكرها في موضعها أن شاء الله تعالى.

وفي الرَّابع عشر من شعبان تقدم السلطان إلى جبلة فنزل في دار السلام ووصل أحمد بن أبي بكر السيري رسولاً من أخيه محمد بن أبي بكر السيري يطلب اللامان ويبذل الدخول في الطاعة وأرسل مع أخيه بولده مظفر بن محمد فقابلهما السلطان بالقبول وكساهما وأَنعم عليهما إنعاماً تامّاً وجوَّب لمحمد أَنه لابدَّ له من الوصول أن كان صادقاً فيما يقول.

وتقدم السلطان إلى مدينة إب ونزل محمد بن السيري باذلاً ما يجب عليه من الطاعة فقبل ركاب

السلطان ومُثّلَ بين يديه وبذل تسليم ما تحت يده من الحصون فظهر للسلطان نصحه فكساه وأَنعم عليه إنعاماً عامّاً وآنسه من نفسه وأضمره بالعود إلى موضعه وحفظ ما تحت يده من البلاد فرجع آخر يومه وكان وصوله إلى السلطان في آخر شعبان.

(262/1)

وفي غرة شهر رمضان جرد السلطان العساكر إلى المحطة على حصن نعم وأمر محمد بن السيري أن يجرد من أهل بعدان عسكراً آخر إلى نعم لكونهم من أهل البلاد فجرد منهم عسكراً جيداً. ولكن كان اكثر أهل بعدان مخامرين فسعوا فساد المحطة وباعوا العسكر وكانت البيعة ليلة الخميس الحادي عشر من الشهر المذكور. فانفضت المحطة وانهزم طائفة من العسكر وثبت آخرون وأغار محمد بن السيري وأهل بعدان على الصوت فانكشف الأمر وتفرَّق أهل البيعة وظهر أَمرهم فمسكوا وقتل منهم طائفة. ثم وصل الإمام بعد ذلك إلى نعم فاشتد القتال وطال الأمر إلى اليوم السابع والعشرين من الشهر.

وفي يوم السابع والعشرين رجع الإمام إلى ذمار وارتفعت المحطة عن نعم. وأَقام السلطان في دار السلام من جبلة. وكان صيامه رمضان هذه السنة في دار السلام من جبلة.

وفي شهر رمضان المذكور استمر الشمس السعرديّ ناظراً في الثغر المحروس عوضاً عن القاضي شرف الدين أبي القاسم بن معيبد.

وفي أثناء الشهر المذكور قبض محمد بن طلحة الزميلي في مدينة تعز لزمه الوالي يومئذ وهو الطواشي صفي الدين جوهر الصيني. وكان محمد بن طلحة المذكور أحد غلمان السلطان وللسلطان عليه وعلى أخيه عون بن طلحة شفقةُ تامة. وكان محمد بن طلحة شرس الأخلاق سفَّاكاً فتَّاكاً فاشتكوه إلى السلطان فطرده السلطان وأهمله وقلاه. فانضم إلى الإمام وكثر سواده وتكلم في حضرته بما أراد ونزل معه إلى زبيد واطلعه على كثير من عورات البلاد ثم رجع إلى تعز مستخفياً فعلم عليه فأُخذ كما ذكرنا. وأَرسل به الطواشي إلى السلطان في دار السلام فأمر به السلطان إلى السجن في حصن تعز فاطلع إلى حصن التعكر من يومه ذلك. وأقام السلطان في دار السلام إلى العاشر من شوال. ثم طلع الشوافي وأَمر بالمحطة على الرازجيّ صاحب حصن سافة من أعمال خدد. فلما اشتد القتال وضاق ضيقاً شديداً سأَل ذمةً شاملة من التسليم وبذل تسليم الحصن فأجيب إلى ذلك فنزل بأولاده ونسائه وخدمه وقبض منه الحصن المذكور يوم السادس عشر من شوال. وأقام السلطان هنالك أياماً قلائل ثم نزل على السحول ورجع إلى دار السلام من جبلة فأقام فيه إلى الرابع عشر من القعدة ثم توجه إلى تعز فدخلها يوم الخامس عشر من القعدة ثم تقدم إلى زبيد يوم الجمعة السادس عشر.

وفي هذا التاريخ قتل العبد منصور مقدم عسكر الإمام وكان قتله في حدود الوادي مور. وكان سبب

قتله أن الإمام لما رجع من محطة نعم في السابع والعشرين من شهر رمضان كما ذكرنا أقام في ذمار إلى أن مضت أيام من شوال. ثم جرد الإمام عسكراً إلى تهامة فنزلوا على حرض وكان فيه من المقدمين العبد منور ويحيى بن الباقر الحمزي وقاسم بن المهدي في عدة من فرسان العرب ووجوه الشرف. وكان وصولهم حرضاً يوم التاسع من ذي القعدة فأقاموا فيها أياماً قلائل وخرجوا يريدون المحالب. وكان خروجهم يوم الثلاثاء الثالث عشر من ذي القعدة.

(263/1)

وكان الأمير بهاء الدين الشمسي يومئذ في المحالب فأتاه الخبر يوم الخميس الخامس عشر بخروج العبد منصور ومن معه من حَرض إلى الساحل يريدون المحالب وإن جمعهم دون كل مرة فجمع الأمير أصحابه وعرَّفهم بكل ما وصل إليه من الخبر وقال لهم هذه غنيمة ساقها الله لكم فالحزم الحزم العزم العزم. وخرج آخر ليلة الجمعة السادس عشر وفرقهم ثلاث فرق فلما أصبح الصباح أَقبل العبد منصور وأصحابه وفي ظنهم أن الشمسي وأصحابه قد صاروا في المهجم فلما صار العبد وأصحابه في البرزة حقق لهم وقوف الشمسي فيمن معه من أصحابه من العسكر فالتفت العيد منصور إلى أصحابه وقال أَرى المصلحة أن نرجع إلى حرض من غير قتال وننتظر ما يأْتينا من المدد. وكان رأْياً صائباً لو قبلوهُ. فقال له ابن الباقر وما خوفنا منهم والله لو قد رأَوا وجه فرس منا ما وقفوا وان وقفوا فأنا أكفيكهم فتراجعوا بالكلام ورجع من اخبر الشمسي بوصولهم فاستنهض أصحابه وعبي كل طائفة في موضع وسار هو في القلب فتواجه العسكران فحمل يحيى بن الباقر وحمل معه طائفة من أصحابه وقصدوا القلب فوقع يحيى علي مملوك من العسكر فقتله وأقبل أصحاب الميمنة وأصحاب الميسرة جميعاً فانهزم وأصحابه هزيمة شنيعة وضيّقت عليهم الخيل من كل مكان فقتلوا من الخيل والرجل شيئاً كثيراً وقتل العبد منصور ولم يعرفه قاتلوه وقتل قاسم بن المهدي وولده ومات كثير من الناس عطشاً ونهبت دوابهم وسلاحهم وأَزوادهم ولم يرجع منهم إلا الأقل وكان ذلك يوم الجمعة السادس عشر من ذي القعدة المذكور.

وفي ذلك النهار خرج السلطان من تعز يريد زبيد فدخلها يوم الأحد التاسع عشر واجهه الخبر بهزيمتهم إلى حيس.

وفي يوم الجمعة التاسع والعشرين من ذي القعدة تقدم القائد علي بن سعد بعلم الحج المنصور الأشرفي من مدينة زبيد واتصل العلم انه دخل جُدَّة يوم الخميس السادس من ذي الحجة. فكان مسيره من زبيد إلى جُدّة سبعة أيام وهذا شيء ما علمنا بمثله في زماننا ولا فيما قرب منه. وعيَّد السلطان عيد الأضحى في مدينة زبيد.

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح المشهور محمد الصامت. وكان رجلاً خيراً ورعاً وإنما سمي الصامت لأنه كان لا يكلم أحداً ولا يتكلم إلا بالدعاء والذكر وما لا بدَّ منه من إذكار الصلوات

وغيرها كرد السلام وغيره وعاش مدةً طويلة في مدينة زبيد وهو على هذه الصفة وهذا إنما هو لمن لا يعرفه وأما من يعرفه من أهل بيته فيتكلم معهم بالشيءِ اليسير أَعاد الله علينا من بركاته وقبر في مقبرة باب سهام قريباً من تربة الشيخ الصالح أحمد بن أبي الخير الصياد في ناحية الشرق منه.

وكان وفاته ليلة الأحد الرابع من شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الشيخ جمال الدين محمد بن الشيخ الصالح طلحة بن عيسى الهتار توفي شابّاً وكان حسن السيرة كثير الحج إلى بيت الله تعالى والزيارة لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم. وقبر رحمه الله مع والده في قبته المعروفة في مقبرة باب سهام وكان وفاته يوم السبت السابع من شعبان من السنة المذكورة.

وفيها توفي الأمير الكبير فخر الدين أبو بكر بهادر الشمسي الأشرفي وكان أميراً كبيراً مشهورً أحد نصحاء السلطان حافظاً لما يتولاه. خدم السلطان الملك المجاهد ثم خدم السلطان الملك الأفضل ثم خدم السلطان الملك الأشرف. وكان وفاته يوم الخامس والعشرين من السنة المذكورة في مدينة تعز وقبر في مقبرتها بالأجناد رحمه الله تعالى.

وفي سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة وصل الأمير بهاء الدين بهادر الشمسي إلى باب السلطان بزبيد وكان وصوله يوم الثالث من صفر وبين يديه رأْس العبد منصور على رمح طويل معمم بمنديل وأمامه عدد من الشفاليت ومضلع وصنج ونفير ورمحه يحمل أمامه رمحاً ملوساً وحصانه المسمى بالبلح يجنب خلفه وبعده عدة من رؤوس القتلى ما خلا رؤوس الأشراف فان الأشراف الذين يخدمون على باب السلطان من بني حمزة سألوا من السلطان أن لا يدار برؤوس قربائهم فأجابهم السلطان إلى ما سألوا. ووصل الأمير بهاء الدين بعده من الخيل القلائع فوهب له السلطان منها ستة رؤوس.

وفي يوم الثاني عشر من الشهر المذكور استمر الأمير فخر الدين أبو بكر بن بهادر السنبلي مقطعاً في حرض وتقدم السلطان إلى تعز يوم السادس عشر من شهر صفر.

(264/1)

وقد أمر القاضي سراج الدين عبد اللطيف بن محمد سالم بعمارة المساجد والمدارس والسبل وأضاف إليه شد الأوقاف المباركة بوادي زبيد المحروس وان يعيدها كما كانت. وكان الخراب قد استولى على كثير من المساجد والمدارس حتى الصقها بالأرض وبعضها أمثل من بعض.

فأما الذي عمر بعد أن كان داثراً فالمدرسة المنصورية الحنفية وموضع الحديث بها والسيفية الصغيرة والنظامية والعفيفية والميكائلية. ومسجد الأتابك ومسجد نجم ومسجد الطواشي فاخر ومسجد الطيرة ومسجد السلطان عباس الظفاري ومسجد أردمر ومسجد الساباط ومسجد بن الهمام ومسجد الخيزران ومسجد خليخان ومدرسة التربية ومسجد الصياد بها ومسجد الرند ومسجد القرتب وسبيله والسيل القاتني على باب سهام وسبيل المنظر وسبيل فشال واحدث السبيل الذي على باب الجامع

بزبيد.

وأما الذي معظمه خراب والأقل فيه قائم فالمنصورية العليا والاشرفية والسابقية والسيفية الكبيرة والتاجية والفقهية ومسجد السابق النظامي ومسجد قنديل ومسجد عصون ومسجد الحاجة سماع ومسجد الأمير عباس بن عبد الجليل والخانقة الصلاحية بزبيد ومدرسة المسلب وسبيل المنصوة ومسجد الجبرتي والقبة القاتنية ومسجد الحثاثة وسبيل الربد وسبيل التربية وسبيل الصلاحية بزبيد وسبيل باب النخل ومسج بستان الراحة والخانقة التاجية وجامع النويدرة وسبيله وسبيل الطنبغاء.

وما الذي معظمه قائم وما فيه خراب فالمدرسة الصلاحية والفاتنية والفرحانية وسبيلها ومدرسة الميلين والعاصمية والشمسية والهكارية ومدرسة القراء والحديث بها ومسجد الست جهة رشيد والمسجد الجامع بزبيد وسبيل الطواشي خضير.

فهذه خمسة وستون موضعاً من المآثر الدينية فقام في ذلك كله قياماً كليّاً واجتهد وأعاد معالم الوقف على حقائفها المعتادة ورسومها القديمة وأحيا السبل الداثرة وقام في ذلك حق القيام حتى شكره الخاص والعام.

وفي شهر ربيع الأول كتب أهل الشوافي إلى الإمام يستدعونه إليهم فجمع جموعه من الزيدية وغيرهم وسار إلى أن بلغ بلد الشوافي فأجابه بعضهم وحط على حصن الدرج بمن معه من العسكر ومن أجابه من أهل الشوافي وضيقوا على الرتبة ضيقاً شديداً حتى أخذوه في شهر ربيع الآخر.

وفي يوم السادس والعشرين زحف الإمام بجيوشه على حصن خَدد وخرج إليه المرتبون وقاتلوه قتالاً شديداً فقتلوا من عسكره اثني عشر رجلاً وحملوا بعض رؤوسهم إلى السلطان. وكان السلطان يومئذ في دار الشريف بتعز. وكان ارتفاع الإمام عن خَدَد يوم الثامن والعشرين من الشهر المذكور.

وفي سلخ شهر ربيع الآخر وقع الخلاف بين الشهالبين وبني الفقيه سكان النخل فقتل الشهالبون من بني الفقيه وحلفائهم رجلين وحرقوا محلتهم وكان هذا أول خلف وقع بينهم فأمر السلطان بأدب الشهالبين والتغليظ عليهم فتأَدبوا عشرة آلاف دينار.

وفي يوم السادس عشر من جمادى الأولى أمر السلطان علي القاضي شهاب الدين أحمد بن عمر الوزير بالتقدم إلى المخلاف فتقدم في التاريخ المذكور فأقام في جبلة في قطعة من العسكر.

وفي أثناء إقامته خالف الشيخ عبد الباقي الصبهاني ونزع يده من الطاعة وكان صهره محمد بن السيري يدافع عنه مدافعة ظاهرة والباطن بخلاف ذلك فجمع الوزير العسكر والقبائل من التعكر وغيره وغزا بلاد الصهباني وكان قد لزم جبل ثلم وأراد أن يبني فيه حصناً. وهذا سبب الخلف بينه وبين الدولة فغزاه الوزير بالعساكر واخرب بلاده كلها وقصره المشهور الذي في الهادس وحملوا حضيرته إلى جبلة وأرسل بها الوزير إلى السلطان وهو يومئذ في الدملؤَة فشكره على ذلك وأنعم عليه.

وكان علي بن داود الحبيشي قد ظهر منه عصيان وخروج عن طاعة السلطان فذل عند هذه القضية ووصلوا جميع القبائل مستذمين.

وفي يوم الأربعاء التاسع عشر من الشهر المذكور تقدم السلطان إلى الدملؤَة لأمر أوجب ذلك فأقام هناك إلى سلخ شهر جمادى الأولى ثم رجع إلى تعز.

(265/1)

وفي هذا التاريخ استمرَّ الأمير بهاء الدين الشمسي أميراً بأَبين وتقدم إليها وتوجه الركاب العالي إلى زبيد فدخلها يوم العاشر من الشهر المذكور فأقام في زبيد أياماً ثم تقدم إلى النخل يوم الثامن
والعشرين من الشهر المذكور فأقام في النخل إلى يوم العاشر من شهر رجب ثم قصد البحر فأقام به أياماً قلائل ثم رجع إلى زبيد. وفي غرة شهر شعبان تقدم السلطان إلى تعز فدخلها يوم الرابع من شعبان.

وفي النصف من شهر شعبان برز مرسوم السلطان باستمرار القاضي زكي الدين أبي بكر بن يحيى بن أبي بكر بن أحمد بن موسى بن عجيل في القضاء الأكبر في أقطار المملكة اليمنية ولقبه القاضي زكي الدين. وكان فقيهاً نبيهاً عالماً فطناً لوذعيّاً أَلمعيّاً أديباً لبيباً كامل الأوصاف مشاركاً في عدة من فنون العلم وليس له نظير. وصام السلطان هذه السنة في تعز وكان جل أقامته في دار الشجرة وعيد في دار الشجرة.

وفي ليلة الاثنين التاسع من شوال انقض كوكب عظيم من ناحية الجنوب إلى ناحية الشمال وقت صلاة العشاء فكان له ضوء عظيم زائد على ضوءِ القمر زيادة كثيرة وبعد مغيبه بقلي وقعت هدة عظيمة حتى سمعت أن بعض العقلاء قام من موضعه فزعاً مرعوباً يظن أن منزله قد انهدم أو انهدم بعضه من شدة ما سمع.

وفي اليوم الثاني عشر من شوال تقدم السلطان من تعز إلى مدينة زبيد فدخلها يوم السادس عشر من الشهر المذكور فأقام في القُوّرِ أياماً ثم دخل زبيد فأقام أياماً وعيَّد عيد الأضحى.

وفي يوم عيد الأضحى وقع حريق في ناحية المجزرة فاستولى على بيوت كثيرة وعلى جانب من السوق.

وفي ذلك اليوم قتل الشيخ علي بن محمد العجمي شيخ الأشاعر في فَشَال وكان قتله بعد صلاة العيد في قرية فشال والذي قتله جماعة من بني الدريهم وكان السبب في ذلك أن بني الدريهم أغاروا على عبيد العبادل ليأْخذوا شيئاً من ماشيتهم وكانوا إذا أَخذوا شيئاً من الماشية أتاهم العبيد فيفدونه منهم. فلما كان في هذه السنة أغاروا على العبيد فوجدوهم على حذر فتقاتلوا فجرح بعض العبيد وكان من مشايخهم. فلما أحس بنفسه قال لا يفوت القوم فإني مقتول وكانت العرب قتلته بين العبيد لأنهم آمنون من سطوة العبيد عليهم. فوقع العبيد على رئيس الحرس وهو علي بن النهاري فقتلوه وكان فارساً شجاعاً مقداماً. وكان أبوه شيخ بن الدريهم وكبيرهم فحمل الولد مقتولاً إلى محلة أهل ه ودفنوه بها فقال أبوه والله لا قتلت بابني عبيداً ولا أقتل إلا أكبر العبادل وأسلم دية العبدلي المقتول.

وكانت العبادل أكثر عدداً وبني الدريهم أكثر شرّاً. فما برحوا على هذا الأمر حتى وجدوا غرة من الشيخ علي بن محمد العجمي في يوم عيد الأضحى المذكور فقتلوه كما ذكرنا ظلماً وعدواناً.
وفي هذه السنة توفي الطواشي جمال الدين ثابت الخازندار الأشرفي. وكان خادماً سعيداً وحيداً في جنسه في عصره. وكان وفاته يوم الأحد سابع شهر المحرم أول شهور السنة المذكورة ودفن في مقبرة باب سهام في الناحية الشرقية منها قريباً من قبر الشيخ الصالح طلحة بن عيسى الهيار رحمه الله تعالى.
وفيها توفي الفقيه الإمام العلامة جمال الدين محمد بن عبد الله الريمي. وكان فقيهاً عارفاً محققاً مدققاً نقالاً للنصوص بارعاً في المذهب. وهو الذي صنف التفقيه في شرح التنبيه أربعة وعشرين مجلداً. وكانت له حظوة عند الملوك صحب السلطان الملك المجاهد ثم صحب ولده السلطان الملك الأفضل إلى أن توفي ثم صحب السلطان الملك الأشرف وولاه قضاء الأقضية في المملكة اليمنية بأسرها وجمع من المال ما لا يجمعه أحد من الفقهاء البتة. ولكن من وجوه مختلفة عفا الله عنه. وكان له مكارم أخلاق باذلاً نفسه وماله للطلبة. وجمع من الكتب شيئاً كثيراً وغلى قيمة الأعماد. وكانت وفاته في اليوم الرابع والعشرين من صفر وقبر على باب تربة الشيخ الصالح أحمد بن أبي الخير الصياد في مقبرة باب سهام رحمه الله تعالى.
وفي هذه السنة توفي الأمير الكبير الأجل بدر الدين محمد بن علي بن إياس وكان أميراً كبيراً شهماً جواداً حازماً سريع النهضة عند الحادثة يتولى الأمور بنفسه. بدايته كنهاية غيره من أبناء جنسه. وكانت وفاته في العشر الأولى من صفر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

(266/1)

وفيها توفي الفقيه العالم أبو العباس أحمد بن موسى بن علي الجلاد النخلي الفرضي الحنفي وكان فقيهاً فاضلاً في مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى إماماً في الفرائض والجبر والمقابلة والحساب له مصنفات مفيدة اخذ عن والده وعن غيره وانتفع به خلق كثير لاسيما في الفرائض والحساب والهندسة. وكانت ولادته في الثامن والعشرين من ذي الحجة في آخر سنة سبعمائة. وتوفي في الثامن عشر من ذي الحجة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.
وفي سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة تقدم السلطان إلى فَشال وأمر بالمحطة على بني الدريهم الأشاعر الذين قتلوا الشيخ علي بن محمد العجمي. وكانوا قد انتقلوا إلى الجبل وكثر فسادهم ونهبهم فلما حضرهم السلطان أذعنوا وطلبوا الذمة وبذلوا الدخول تحت الطاعة وتسليم الأدب فأذمّ عليهم السلطان وأمرهم برفع المحطة عنهم.
وفي هذا التاريخ استمر الأمير سيف الدين مبارك شادّ مقطعاً في حَرَض عوضاً عن الأمير فخر الدين أبي بكر بن بهادر السنبلي. ورجع السلطان إلى زبيد فدخلها يوم السبت الرابع والعشرين من

المحرم. وتقدم السلطان إلى تعز يوم الخميس التاسع والعشرين من الشهر المذكور فكان دخوله تعِز يوم الأحد الثالث من صفر.

وفي هذا التاريخ وصل الإمام إلى بعدان في جيش أَجيش فحط عليهم ولم يبرح يقاتلهم أياماً حتى أن أهل بعدان سيبوا الماء في أجوال هنالك مزروعة قضباً فأقام الماءَ يوماً وليلة. فلما كان اليوم الثالث فتحوا الحرب واستجروا عسكر الإمام حتى أبعدوا بهم وقد جعلوا كميناً. فلما أمعن أصحاب الإمام في الطلب لأهل بعدان عطفوا عليهم وثار الكمين من موضعه ولزموا لهم الطرق فلم يجدوا طريقاً إلا في ذلك القضب الذي قد سيب فيه الماء فرسبت الخيل والرجل فقتل منهم طائفة. فكان ذلك سبب هزيمتهم وارتفع الإمام وسار إلى ذمار.

وفي غرة شهر ربيع الأول تقدم السلطان إلى حصون المداد وترك على كل حصن منها محطة حتى تسلم جميعها إلا الحصن الذي يسمي ريسان فان ولد علي بن محمد بن مظفر أقام فيه وهرب والده علي بن محمد بن مظفر وترك البلاد بأسرها فأقام السلطان فيها نواباً من غلمانه الثقات ورجع إلى تعز فدخلها صبح يوم الأحد الحادي والعشرين من الشهر المذكور وكانت غيبته عن تعز عشرين يوماً.

قال علي بن الحسن الخزرجي عامله الله بإحسانه وحدثني الفقيه أبو الحسن علي بن محمد الناشري أن عسكر السلطان سار إلى بلد الهمول في شهر ربيع الأول المذكور فكبسوا واحدة من قراها في ليلة الجمعة الخامس من شهر ربيع الأول المذكور فاخبروا انهم وجدوا فيها مولودة صغيرةً لها أربع أيادي وأربع أرجل فسبحان الخلاق العليم القادر على ما يشاءُ.

وفي العشر الأواخر من الشهر المذكور انفصل القاضي شرف الدين سليمان ابن علي الجنيد عن القضاء بزبيد وأمره السلطان قاضياً في مدينة تعز.

وتولى القاضي شهاب الدين أحمد بن أبي بكر الناشري قضاء زبيد فسار بالناس سيرة صعبة أتعب فيها نفسه وغيره فكثر ساكوه هذا مع ورعه وعفته وفقهه ومعرفته. ففصله السلطان وأمّر أخاه القاضي موفق الدين علي بن أبي بكر الناشري. فكان استمراره يوم الأحد الحادي والعشرين من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة. وكان قبل ذلك حاكماً في الأعمال الحيسية فنقله منها إلى زبيد في التاريخ المذكور.

وفي يوم الحادي والعشرين من لشهر المذكور تقدم السلطان من مدينة تعز إلى الثغر المحروس فدخلها يوم الاثنين السابع والعشرين منه.

وفي يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من الشهر المذكور ظهرت هالة على الشمس لمضي ثلاث ساعات تقريباً إلى آخر الساعة السادسة. وكانت هالة كبيرة بينها وبين قرص الشمس من كل ناحية نحو من عشرة اذرع في رؤية العين. وكان لونها لوناً عجيباً لا يمكن أحد يعبر عنه عبارة حقيقية بل هو بحكم التقريب بين البياض والصفرة والحمرة والخضرة وفي دائرها ألوان مختلفة دائرة عليها وبعد

الجميع شعاع أبيض كأنه الفضة البيضاء وسمعت عدة من الأكابر المعمرين يقولون انهم ما رأَوا مثلها أبداً ولا سمعوا من أحد ممن تقدمهم أنه رأَى مثلها.

(267/1)

وفي يوم الأربعاء التاسع والعشرين كسفت الشمس. وفي يوم الثالث من شهر جمادى الأولى ظهرت على الشمس مثل الهالة الأولى المذكورة آنفاً. وكان ظهورها بعد مضي ثلاث ساعات من النهار إلى آخر الساعة التاسعة. واضمحلت عند أذان العصر من النهار.

ولما دخل السلطان عدن في التاريخ المذكور أقام فيها شهر جمادى الأولى وعشراً من جمادى الأخرى ثم ارتحل إلى محروسة زبيد فكان دخوله زبيد يوم الرابع والعشرين من جمادى الأخرى فأقام فيها خمسة عشر يوماً. وفي مدة إقامته في زبيد استمر الأمير بهاءُ الدين الشمسي مقطعاً في حَرَض عوضاً عن اللطيفي. واستمر الأمير بهاءُ الدين اللطيفي في الأعمال السرددية.

وفي هذا التاريخ سار الإمام من بلده في جموعه من طوائف الزيدية فقصدوا بني شاور فبسط العسكر أيديهم وعاثوا في البلاد وقتلوا الفقيه الإمام العلامة أبا العباس أحمد بن زيد الشاوري وقتل معه جماعة من أهل بلده ونهب بيت الفقيه المذكور. وكانت فيه أموال جمة مودعة للناس عند الفقيه وكان الفقيه في غاية من العلم والعمل. وكان قتله في يوم الأَحد الحادي عشر من شهر رجب رحمه الله تعالى. وكان قتله ظلماً وعدواناً ولم تطل مدة الإمام بعده بل عوجل في أقَرب مدة

ما كان أقصر وقتاً كان بينهما ... كأنه الوقت بين الورد والقرب

ورثاه بعض قرابته الفقهاء الشاوريين بقصيدة يقول في أولها

ألا شَلَّتْ يمينك يا صلاح ... وعجل يومك القدر المتاح

وفي يوم التاسع من رجب تقدم السلطان إلى النخل فأقام فيه بقية شهر رجب وتقدم إلى البحر غرة شهر شعبان. فأقام فيه ستة أيام ورجع إلى النخل وارتفع يوم الثامن الشهر.

وفي يوم السادس من شعبان ركب الإمام صلاح لبعض ما يريد من الأمر فبينما هو سائر على بغلته إذا قبل طائر من الجو فأَصاب وجه البغلة فنفرت البغلة نفرة شديدة ألقت الإمام عن ظهرها فتعلقت رجله في الركاب فازدادت البغلة نفوراً لما سحبته وبقيت رجله في الركاب فانعسفت رجله وقيل رجله ويده وكان في موضع وعر فلم يتمكن الحاضرون من أَخذه حتى لزموا البغلة أو قيل عقروها ثم حمل من موضعه ذلك على أعناق الرجال إلى أن دخلوا به حصن ظفار. وكان سقوطه يوم السادس من شعبان. فأقام هنالك أليماً أياماً ثم انتقل إلى صنعاءَ فدخلها في العشر الأولى من شوال في جمع عظيم وهو يجد شيئاً من الألم ولكنه يظهر الجلد. فأقام في صنعاء أليماً وقيل حدث به مرض آخر في النصف الأخير من شوال فلم يزل كذلك إلى أن توفي يوم الثالث من ذي القعدة وقيل يوم الثاني منه من السنة المذكورة والله أعلم.

وفي الرابع عشر من شعبان وصلت كتب ابن المدادي إلى السلطان يبذل تسليم حصن ريسان والدخول تحت الطاعة ويطلب ذمة شاملة فأجابه السلطان إلى ما سأل وسلم الحصن المذكور.
وتقدم السلطان إلى تعز يوم السابع عشر من الشهر المذكور. فكان دخوله تعز يوم العشرين منه.
وصام رمضان هذه السنة في مدينة تعز في مدينة ثعبات.
واستمر الجمال المصري المكي محتسباً في مدينة زبيد في شهر رمضان المذكور فقام بالوظيفة قياماً مرضيّاً وأمعن النظر في مصالح المسلمين.
وفي شهر رمضان برز أمر السلطان بعمارة الزيادة الشرقية التي في جامع عدينة من مدينة تعز واستحث الناس على فراغها حتى فرغت كما هي الآن فانتفع الناس بها انتفاعاً عظيماً بخلاف الزيادة الغربية التي عمرها السلطان الملك المجاهد في أيامه. وأمر يومئذ بتسوير مدينة الجند. وكان سورها قد اندرس ولم يبق له أثر فأعاده على الحالة الأولى وربما هو اليوم أحسن مما كان والله أعلم.
وفي يوم الثامن من شهر رمضان المذكور أخذ رجل من البهادرة في مدينة تعز ذكروا أنه ساحراً وكان يتشبه بالمسلمين فكحل وقطعت يده.
وفي شهر رمضان من هذه السنة أصاب الناس مجاعة عظيمة في التهائم وتأخر الغيث عن أيام إتيانه فارتفع السعر وهلكت البهائم وانقطعت السيول فاكتشفت أحوال كثير من الناس وابتاع مُدًّا الطعام بنيف وتسعين دينار. وابتاع السمن في أيام عيد الفطر كل أربعين قفلة بدرهم. ثم حصل المطر في آخر شهر رمضان وسالت الأودية ثم تنفس السعر في نصف شوال وتواترت الأمطار ووصل الطعام الجديد.

(268/1)

وفي يوم الحادي والعشرين من شوال تقدم الأمير بدر الدين محمد بن بهادر اللطيفي إلى الجهات الشامية لجباية الأموال منها.
وفي يوم السابع والعشرين تقدم علم الحج المنصور من مدينة تعز إلى مكة المشرفة فدخل مدينة زبيد يوم لجمعة سلخ شهر شوال. وكان تقدمه من زبيد يوم الأحد ثاني عشر ذي القعدة. وفي ذلك اليوم وصل الأمير بدر الدين محمد بن بهادر اللطيفي بأموال الجهات الشامية.
وفي يوم التاسع من ذي القعدة تقدم السلطان من محروسة تعز إلى مدينة زبيد فدخلها يوم الخميس الثالث عشر من الشهر المذكور فأقام في بستان الراحة ثمانية أيام. ثم دخل إلى دار السلطنة بزبيد يوم الحادي والعشرين من الشهر فأقام هنالك أياماً ثم سار إلى سرياقوس يوم الاثنين الرابع والعشرين من الشهر المذكور.
وفي يوم الخامس والعشرين تقدم القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد بن يوسف العلوي لاستخراج أموال الجهات الشامية وهو يومئذ مشد الدواوين كلها. ورجع السلطان من سرياقوس يوم

الثامن والعشرين وعيَّد عيد الأضحى في بستان الراحة وأقام هنالك إلى يوم التاسع عشر ثم تقدم إلى سرياقوس فأقام هنالك ثلاثة أيام ورجع إلى زبيد وأقام إلى الثامن والعشرين.

وفي يوم الجمعة السادس والعشرين من الشهر المذكور صلى السلطان الجمعة في جامع زبيد وهي أول جمعة صلاها في جامع زبيد.

وفي هذا التاريخ كتب أهل النويدرة كتاباً إلى السلطان يسألون منه الإذن في إعادتهم إلى قريتهم الأولى على باب سهام فأذن لهم.

وفي سنة أربع وتسعين انتقل أهل النويدرة إلى قريتهم الأولى وكان انتقالهم إليها في أول يوم من المحرم أول شهور السنة المذكورة. وأمر السلطان على القاضي شهاب الدين بالتقدم إلى فشال لاستنهاض أموال الخراج فأقام هنالك أياماً ووصل سريعاً بالمال المتحصل من الجهة المذكورة.

وفي آخر الشهر المذكور وصل الشريف المهدي بن عز الدين الحمزي صاحب تلمص ووصل بعده الشريف شمس الدين سليمان بن يحيى المعروف بحجرية.

وفي هذا التاريخ أمر السلطان على القاضي سراج الدين عبد اللطيف ابن محمد بن سالم المشد يومئذ بزبيد أَن يباشر القضاء الذي يسمى الجهمي من نخل وادي زبيد وان يغرسه فابتدأ في غرسه في أول هذه السنة المذكورة فبادر ممتثلاً للأمر وغرسه في أيام قلائل. وكان عدته ألفا ومائة وأربعين نخلة أو قريباً من ذلك وهو الذي يسمى الرياض في هذا الوقت.

ووصل الوزير من الأعمال الرمعية بحواصلها يوم الاثنين السادس من صفر وبعد أيام قلائل وصل الشيخ شهاب الدين أحمد بن حسن بن ناجي صاحب السحول في أهله وقرابته إلى باب السلطان فقابله السلطان بالقبول والإحسان فأقام ثمانية أيام في تعز. ثم تقدم لقبض الحصن المعروف بذي الحرسة فقبضه.

(269/1)

وفي ليلة الثلاثاء العشرين من صفر من السنة المذكورة رأَى السلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال علي بن الحسن الحزرجي أخبرني الشيخ الصالح شهاب الدين أحمد بن أبي بكر الرداد. قال كتب إليَّ مولانا السلطان الملك الأشرف كتاباً وأوقفني على كتابه إليه. قال وأخبرني بعد الكتاب مشافهة أنه رأى في التاريخ المذكور وكان يومئذ مقيماً في دار العدل في مدينة تعز. قال رأَيت كأني في مرج يشبه الماء الحار الذي هو فيما بين تعز وعدن وكأني بين نخل وسدر وموضع يشبه ساحل الغارة إلا أنه لا يجر هنالك وكان في طرف المكان مجلس بعيد من الموضع الذي نحن فيه. وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعليّ رضي الله عنهم أجمعين هنالك والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد على قعادة بلا حصير حبالها عتق كأنها حبال قعادة الرعاءِ عليها اثر الغنم والبقر وإذا بي أقبلت أنا وعلي وإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم قال مد يدك نبايعك وكأني لم أفهم إلا وأنا

معظم الشأْن كأني مثل الذين وصل إليهم بقبائل أُريد أن انصرهم وهم مثل الفرجين بي. فمددت يدي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبايعني فقمت من ساعتي بعد المبايعة وأنا أقول لهم ما يخرج ولا يبرق في بعض الطرقات من هؤلاءِ الفعلة الصنعة. فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم قم فنهضت أنا وعلي رضي الله عنه وركبنا على فرسين وسرنا وإذا بنا في عدن عن يميننا بحر وعن يسارنا جزائر من جبل أحمر وأنا أقول له إشارة بإصبعي من هنا كان يريد الفاعل الصانع يدخل عدن يعني الإمام. وإذا بنا رجعنا إلى الجماعة وقد صار النبي صلى الله عليه وسلم واقفاً على قعادة لي صغيرة أرجلها من صندل أحمر والبساط الذي اقعد عليه وهو بساط من حرير وعلى النبي صلى الله عليه وسلم دراعة شيخ ثم اندرس. فلما كان الليلة الثانية وإذا بي أرى جماعة وهم أبو بكر وعمر وعلي ونحن على تلك الحال التي فارقتهم فيها الليلة الأولى ولم أرَ النبي صلى الله عليه وسلم وكأني أروم معاصرة عمر فانتبهت فزعاً. فلما كان الليلة الثالثة وإذا بي أرى الجن وأنا مثل المتفرس عليهم وعليهم شرافوشات الصناعة وصورهم مثل صور الآدميين لا فرق إلا أني أفهم أنهم من الجن فتعجبت من هذه النكتة العجيبة.

قال علي بن الحسن الخزرجي هذا منام عجيب يدل على بشارات وإشارات حسنة ولا يصلح أن يكون إلا لمثله أصلحه اله صلاحاً حسناً وفقهه للعمل بما يرضيه أنه على ذلك قدير.

وفي يوم الخامس من شهر ربيع الأول توفي الشريف صاحب بكر. وكانت وفاته بمدينة تعز.

وفي يوم العاشر من الشهر توفي القاضي صدر الدين عبد الحق بن الفقيه موفق الدين علي بن عباس المقري وكان طلع هو والشريف المذكور من زبيد في محمل مترافقين في الطريق فسقط بهما المحمل فتكسرت أعضائهما فحملا إلى تعز أَليمين فماتا في تاريخهما.

وفي اليوم الثاني عشر من الشهر المذكور وصل الشيخ شمس الدين علي بن الرياحي السرحي شيخ مشايخ العرب طائعاً مختاراً. ووصل معه أهله وقرابته فقابلهم السلطان بالقبول فاصرف له وللواصلين معه ثلاثمائة وخمسين قطعة من الملابس الفاخرة واركبه بغلة بزيارة وحمل له خمسة آلاف دينار.

وفي هذا التاريخ حصل حريق في زبيد وكان ابتداؤه من ناحية المجزرة فأخذ شرقاً وشمالاً فحرقت فيه بيوت كثيرة وتلفت فيه أموال جمة.

وفي هذا التاريخ حصل في مدينة تعز ونواحيها منه شيءُ يسير وتوفي في تلك الليلة الأيام الطواشي معتب الأشرفي زمام الجهة الكريمة والدة مولانا الملك الناصر واخوته أولاد مولانا السلطان الملك الأشرف تولاه الله بحسن ولايته.

وتوفي الأمير شمس الدين علي بن أحمد الواشي وكان فارساً شجاعاً مقداماً في الحرب حسن الشمائل لطيف الخلق والخلق.

وتوفي الفقيه الفاضل شهاب الدين أحمد بن بدير النساخ الأشرفي. وكان حسن الحظ تقياً توفي شاباً رحمه الله تعالى.

وفي الخامس والعشرين من الشهر المذكور وصل علم الحج المنصور من مكة المشرفة ووصل عدة من الحجاج واخبروا انه وصلت كتب إلى مكة المشرفة وألقيت في المقامات الأربعة نسخها متقنة في المعنى مختلفة في بعض الألفاظ وقعت لي نسخة منها فأثبتها وهي: بسم الله الرحمن الرحيم. ومن عبد الله المهدي المنتظر خليفة سيد البشر أمير المؤمنين محمد بن عبد الله بن بنت رسول الله. هذه بشارة وبشرى. وتذكرة إلى أم القرى. يدعو إلى رب العالمين بما ورد في الكتاب المستبلين. وأسند إلى الصحيح من سيد المرسلين. وأصحابه المطهرين. صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين. أجيبوا إمامكم. تجدوا الحق أمامكم. بدواع سليمة. لموارد سليمة. فما دعوت لهذا الشأن. حتى دعاني الملك الديان. فأجبته داعياً فائتمروا بما أمرت. والتزموا بما التزمت وكونوا كالبنان. أو كالبنيان. كالعترة الواحدة في الأديان. هذه سجية الأعوان والأكوان. أسرعوا وسارعوا أيما إسراع. وأقبلوا إلى الله في صحة الإقلاع)إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض. ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون(. وبعد السلام عيكم ورحمة الله وبركاته والدعاء وصيتكم وصلى الله على سيدنا محمد وآله ورضى الله على الصحابة أجمعين واتباعه الطاهرين وجعلنا نتبع أمرهم ونقفو أثرهم ونفع بهم آمين آمين آمين انتهى.

وفي يوم الاثنين سلخ شهر ربيع الآخر أمر السلطان بحمل أربعة أحمال طبلخانة وأربعة ألوية للأمير شهاب الدين أحمد بن علي بن الشمس واستمر عوضه في عدن الأمير عز الدين هبة ابن الأمر سيف الدين سندمر. وبرز مرسوم السلطان ومنشور كريم إلى الأمير شهاب الدين بالتقدم إلى الجهات المخلافية.

وفي هذا التاريخ المذكور اقتتل الأشاعر الفرس بوادي زبيد فقتل من الفرس خمسة رجال أجواد ونهبت محلتهم وحرق بعضها. كان مشايخ الأشاعر يومئذ في زبيد فلزمهم المشد وهو القاضي سراج الدين عبد اللطيف ابن محمد بن سالم وهم النهاري الأحمر وولده أبو القاسم المهرس فأدبوا في قتل الخمسة المذكورين خمسة عشر ألف دينار.

وفي غرة شهر جمادى الأولى وصل مرسوم السلطان منشور كريم إلى زبيد يتضمن الصدقة على كافة الرعية بزيادة معاد في كل قطيعة في كافة جهات المملكة اليمنية صدقة مستمرة وان يعفوا عن مصالحة العطب في وادي زبيد يوم الرابع من شهر جمادى الأولى. كانت هذه من فعلانة الحسان. وقرى المنشور في الجامع بإفشال يوم الجمعة الحادي عشر بمثل ذلك وكذلك في سائر الجهات وكثر الدعاء للسلطان وانتشرت صدقته في كافة الجهات اليمنية.

وفي يوم السابع من الشهر المذكور تقدم الأمير شهاب الدين أحمد بن علي بن الشمسي إلى ناحية المخلاف فقبض حصن نعم ورتب فيه الأمير بدر الدين محمد ابن علي بن عمر بن ناجي وتوجه

إلى ناحية أرياب.

وفي يوم الأحد الثالث عشر من شهر جمادى الأولى ظهرت هالة على الشمس مثل الهالة التي ظهرت في السنة الماضية.

وفي يوم الخامس عشر وصل شيخ الجحادر في جمع كثيف من قرابته وأهله إلى باب السلطان باذلاً من نفسه الطاعة فقابله السلطان بالقبول وكساه وأكرمه.

وفي يوم السادس عشر وصل الشريف الجليل الكبير النبيل أبو الفضائل الهدوي إلى باب السلطان فأنصفه السلطان وأكرمه وتواترت القبائل من كل ناحية.

وفي اليوم الحادي والعشرين من الشهر المذكور كان ظهور أولاد السلطان الملك الأشرف وهم الصغار.

وفي هذا التاريخ هرب أحمد بن السيرى من غير سبب يوجب ذلك.

وفي أول شهر جمادى الآخرة نزل السلطان إلى زبيد فدخلها يوم السابع من الشهر المذكور.

وفي هذا التاريخ توفي القاضي برهان الدين إبراهيم بن أحمد التهامي وهو آخر من ولي القضاء من أهل بيته.

وفي هذا التاريخ أمر السلطان بعديد النخل من وادي زبيد على يد القاضي سراج الدين عبد اللطيف بن محمد بن سالم وندب القاضي شرف الدين حسين بن علي الفارقي بعديد نخيل الجهات اليمنية فتقدم إليها في الخامس عشر من جمادى الأخرى. وتقدم السلطان إلى نخل الأبيض يوم العشرين من الشهر المذكور.

وفي هذا التاريخ انهدم من حصن تعز من نواحي السنبلة على جماعة مات منهم اثنان وسلم الباقون.

(271/1)

وفي يوم الخامس والعشرين وصل الأمير بهاء الدين بهادر الشمسي من الجهات الشامية ووصل صحبته تسعون رأساً من جياد الخيل. وجرده السلطان إلى المداد فكان تقدمه إلى هنالك يوم العاشر من رجب.

وفي هذا التاريخ استمر القاضي جمال الين محمد عمر بن شكيل بالأعمال التهامية عوضاً عن القاضي شجاع الدين بن علي العلوي. واستمر القاضي شجاع الدين عمر بن علي العلوي المذكور مشداً في المحالب. وانفصل الأمير سيف الدين مبارك شاه عن الجهة المذكورة وأضيفت إلى ابن السنبلي واستمر القاضي عفيف الدين عبد الله بن محمد الجلاد مشداً في رمح. وتقدم السلطان إلى النخل يوم السادس عشر من رجب فأقام في النخل إلى السادس عشر من شعبان.

وفي غرة شعبان توفي الطواشي الدين ظريف الأشرفي زمام الباب السعيد وكان خادماً خداماً قائماً

بما يتوله. وطلع السلطان من النخل يوم السابع عشر من شعبان المذكور. وتقدم إلى تعز يوم الثامن عشر. وكان دخوله يوم الثالث والعشرين من الشهر المذكور. وصام السلطان رمضان هذه السنة في تعز فكانت إقامته في دار الوعد.

وفي يوم العاشر من رمضان المذكور وصل ولد الحبيشي من الشوافي أرسل به اخوته ومعه عدة من عسكر البلاد. وفي ذلك اليوم وصل القاضي شرف الدين الفارقي بخرج نخل الجهات الموزعية.

وفي يوم الثامن عشر من الشهر المذكور وصلت خيول أهل الخنكة أرسل بها الأمير بهاء الدين الشمسي. وكانت نحواً من أربعين رأساً.

وفي آخر شهر رمضان وصل إلى باب السلطان الأمير قيسون وكان السلطان قد طرده يوم قضية المماليك في القور وقد تقدم ذكرها. فلما رجع إلى السلطان كساه وانعم عليه وأعادهُ إلى حالته الأولى.

وعيد السلطان عيد الفطر في دار الشجرة.

وفي أيام عيد الفطر هرب الشريف بن أبي الفضائل من تعز وكان قد تزوج امرأة من سناء الملوك. فلما رأى ما عليها من الحلي جزل في عينيه فسعى في أخذه وهرب به بلاد حتى أن الناس سموه أبا الفضائل.

وما انقضى شهر رمضان عزم السلطان على تطهير أولاده فشرع في تحصيل ما لابد منه مما تدعوا الحاجة إليه من الجزائر على اختلاف أنواعها من الطير وذوات الأربع ومن الحنطة والسمون والعسلان والأرزاز ومن الرمان والعدس والقرطم والحمر والزبيب واللوز والسكر والزعفران والنشا والفلفل وسائر التوابل والمصطكى والقرفة والسنبل والجوز بوًّا والسوسن. وما لابد منه من البقول على اختلاف أجناسها وأنواعها. ومن أنواع التمر والليمون وسائر الفواكه ومن الحطب والسبيط والشمع والبيض. وآنية الصيني واليشم والقاشاني والفخار من الصحون والزبادي والجرر والأدواج والكيزان البيض والطباشير والقراريب والمطاهر. ومن أنواع الرياحين كالفل والورد والنرجس والياسمين والمنثور والكاذي والاترج والبلح وأشباه ذلك. ومن أنواع الطيب كالمسك والعود والصندل البنفسج والشند والند والعنبر وماء والورد والغوالي وما لا يدخل تحت العد والحصر شي كثير. ووصل الأمراء والمقدمون من سائر الجهات فوصل القاضي سراج الدين عبد اللطيف بن محمد بن سالم مشد وادي زبيد. وكان وصوله يوم الحادي والعشرين من شهر شوال. ثم وصل الأمر عز الدين هبة بن محمد الفخر وهو صاحب زبيد يؤمئذ وكان وصوله يوم الرابع والعشرين من الشهر المذكور.

وتقدم علم الحج المنصور يوم السادس والعشرين من محروسة تعز إلى مكة المشرفة واستعمل من قصور الشمع الملونة والشموع المزهرة شي كثير.

ولما انقضى شهر شوال المذكور طلب صناع الحلواء فاشتغلوا منها شيئاً كثيراً. وأخرج لهم من الصحون الصيني خمسمائة صحن مما لم يستعمل قط خارجاً عما قد استعمل قبل ذلك. ومن الفخار الزبيدي شي كثير للمضروب خاصة. ومن سائر الأنواع كالمشبك والقرعية القاهرية والشيزرية والخشخاشية والفانيذ ومن البطاطيخ واشباه الطير وغيرها وما يتنوع من ذلك واحتفل أهل الدار بل سائر الناس لذلك احتفالاً عظيماً فاستحضروا من المحصنات نحواً من ثمانين امرأة. واستحضروا من النساء الأمراء والمقدمين والقضاة والمتصرفين وأكابر أهل البلد فلم يتخلف منهن امرأة. وحمل الأمراء والمقدمون وكبار أهل الدول التقاديم النفيسة إلى باب الدار. فحمل في اليوم الثالث من ذي القعدة من بيت الأمير بدر الدين بن علي الشمسي نحو من ستين حمالاً يحملون الشمع والمزهر والمقصور الملونة والمشام المشبوكة وشيئاً يجل عن الوصف ويزيد عن الحصر. وكذلك الطواشي صفي الدين جوهر بن عبد الله الصيني أمير الحصن يومئذ بتعز. وحمل القاضي شرف الدين حسين بن علي الفارقي والقاضي رضي الدين أبو بكر بن عمر الصائغ والأمير بهاء الدين بهادر بن عبد الله الشمسي والأمير بدر الدين حسن الخراساني والشيخ شرف الدين السفساف وأرسل الأمي فخر الدين أبو بكر الغزالي صاحب حصن صبر بعدة مستكثرة من الحمالين يحملون أنواعاً من أشجار بلاده من الكاذي وقصب السكر وقضبان الآس والثوم والأخضر والفول الأخضر وألواناً كثيرة من الأعناب وغيرها.

وصار كل من حمل حملاً ممن ذكرناهم وغيرهم يجعل قبل محموله رأسين من البقر كبيرين على أتم ما يكون من الحسن وعليهما ثوبان من الحرير الملون وتصل معه عدة من المغاني والزناجين والبواقين يزفون كل حمل إلى باب الدار المعروف بدار النصر من ثعبات المعمورة. فإذا وصلوا الباب المذكور قام مقدم الجزارين فينزع الثياب الحرير ويذبح ما وصل من الجزائر فإذا ذبح ما أتى به إلى هنالك أخذه من حضر من الغلمان كالسواس والحمالة والبواقين وغلمان البساتين وأهل الإسطبل والفيالين وغيرهم من ينخرط في سلكهم.

وفي يوم السادس من الشهر المذكور أمر السلطان بركوب العساكر المنصورة إلى الميدان السعيد بثعبات المعمورة بكرة وعشية فلم يتخلف أحد من الوزراء الأمراء والمقطعين والمشدين والمقدمين وسائر الجند من الخيل والرجل ثلاثة أيام والطلبخانات تخدم في مواضعها ثلاثة أيام ليلاً ونهاراً.

وكان الطهور المبارك يوم الخميس والتاسع من الشهر المذكور فحضر الناس على اختلاف طبقاتهم من الوزراء والأمراء والمقطعين والمشدين وكتاب الدواوين والقضاة والفقهاء وكبار أهل الوقت. ودخل الجميع من الناس إلى سماط قد أتقنه طهاته. وتناصفت في الجنس جهاته. لم ير الراءون أعظم منه بعد أن أفضت الخلع الملوكية والشاشات المذهبية على كبراء الدولة وكسي الحاضرون على اختلاف حالاتهم من غلمان السلطان خاصة. ثم خرجوا من مجلس السماط إلى مجلس الحلواء فأخذوا منه بحسب ما أرادوا. ثم قاموا إلى سماط فيه من الجوز واللوز والزبيب والعنب والسوبيا والفقاع والفستق والبندق وما يشبه ذلك شيء كثير .ثم قاموا إلى مجلس الطيب فاستعملوا منه شيئاً كثيراً من البخور

والنسك والماء ورد والشند والغالية. وكان يوماً مشهدواً لم يكن في الدهر مثله.
قال علي بن الحسين الخزرجي عامله الله بإحسانه وكنت ممن حضر ذلك وشاهده شيئاً فشيئاً.
وحضر عدة من فصحاء الشعراء بالقصائد الفاخرة وأجيزوا الجوائز السنية وهم الفقيه موفق الدين علي بن محمد الناشري والفقيه سراج الدين عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي والفقيه رضي الدين أبو بكر بن فارس والفقيه عفيف الدين عثمان بن أبي الأصبحي وألفيه نور الدين علي بن إياس الحموي والفقيه برهان الدين إبراهيم بن أبي بكر العزيزي والفقيه شهاب الدين أحمد بن أبي بكر الصبري والفقيه برهان الدين الحجافي والفقيه موفق الدين علي الطيني والفقيه بدر الدين حسين علي الحجازي. ولم يمكني إثبات قصيدة أحد دون أحد وفي جمعهم تطويل وملل. ورأيت أن لا أخلي هذا السرور العظيم عن قصيدة كنت ممن قال في ذلك الفرح والسرور ما يعد به من جملة المحبين فاثبت قصيدتي التي قلتها يومئذٍ وأنا أعلم إنها دون كل ما قيل ولكن ألجأت الضرورة إليها وهي:

(273/1)

هبَّ النسيم معنبر النفحاتِ ... وشد الحمامُ بأطيب النغماتِ
وتضوَّع اليمن الخصيب بأسرهِ ... بالطيب من عدنٍ إلى عرفات
وتألَّق البرق الكليل فأشرقت ... أنواره في حندس الظلمات
فرحاً بتطهير الملوك الأكرمي ... ن الأعزمين الجلة السادات
أسد الحروب إذا الرماح تشاجرت ... يوم الوغى وأهلة الجلسات
أولاد مولانا ومالك عصرنا ... قمر الخلافة صادق العزمات
الأشرف بن الأفضل بن علي بن دا ... ود بن يوسف قسور الغابات
أشباهه في الخلق والخلق الرضى ... والحزم والحركات والسكنات
والجود يوم السلم والأفضال وال ... إقدام يوم الروع والفتكات
فالدوح ترقص في غلائل سندس ... والجوُّ ينثر لؤلؤ القطرات
والروض معتم النبات بنرجس ... وشقائق تزري بكل نبات
والناس في فرح وفي مرح وفي ... لعبٍ وفي طربٍ وفي لذات
والطير ذا شادٍ وهذا زامرٌ ... فوق الغصون بأفصح الأصوات
والكل يدعو باختلاف لغاتهم ... في كل ما وقت من الأوقات
يا رب مهد للممهد ملكه ... وانصره واحرسه من الآفات
وافتح له فتحاً مبيناً واكفه ... صرف الردى وتغير الحالات
حتى تدين له البلاد بأسرها ... بالسيف من مصر إلى قلهات
الأشرف الملك الذي عم الورى ... بالفضل والإحسان والحسنات

وأخو الفضائل والفواضل والنهي ... والمكرمات الغر والجفنات

ملك له تعنوا القبائل طاعة ... وله يدين الكسروي العاتي

وأماجد المتعطف المتفضل ال ... متطول المتهلل القسمات

في وجهه نور الهدى متشعشع ... متكشف عن واضح الآيات

يغزو فيغزو الطير فوق جيوشه ... والوحش معه يسير في الجنباب

ذو فطنة ينبيك بعد غد بما ... سيكون بعد غد بما هو آت

وسماحة وفصاحة وصباحة ... وشجاعة ورجاجة وأبات

وموارد مشهورة ومشاهد ... مذكورة ومكارم وصلات

وأبانة ورصانة وشجاعة ... وبراعة وفراسة وثبات

وسعادة أغنته يوم نزاله ... عن سل صمصام وهز قنات

يا سيد الخلفاء دعوة خادم ... يدعو الإله بصالح الدعوات

في كل يوم بكرة وعشية ... قبل الصلاة وبعد كل صلاة

بالعز والإقبال ما طير شدا ... والسعد والتوفيق في الحركات

وفي يوم الجمعة العاشر من ذي القعدة أجاز السلطان جماعة من الشعراء وغيرهم ذهباً وفضة وانتشر جوده وغمر كثيراً من الناس بره.

وفي يوم الاثنين الثالث عشر من الشهر المذكور برز مرسوم السلطان بان يحمل للشريف فخر الدين عبد الله بن إدريس بن محمد بن إدريس بن علي ابن عبد الله بن حسن بن حمزة حمل وعلم وجرده إلى بلاده العليا. وحمل له من المال نحواً من سبعين ألفاً خارجاً عن الكساوي والخيل والآلات.

وكان تقدمه إلى تلك الجهات المذكورة يوم الثالث والعشرين من الشهر المذكور.

وفي هذا التاريخ وصل عبد الإمام المسمى ويحان إلى باب السلطان راغباً في الخدمة فكساه السلطان وقبله ووكل أمره إلى الله تعالى.

وفي غرة ذي الحجة تقدم السلطان إلى زبيد فدخلها يوم الثالث من الشهر المذكور فأقام في بستان الراحة وعيد عيد النحر فيه.

وفي التاسع من ذي الحجة الحرام وصل أولاد القائد إلى باب السلطان يطلبون الخدمة والوقوف في الباب السعيد تحت الصدقات السلطانية فقابلهم السلطان بالقبول وانعم عليهم.

وفي يوم الثاني عشر استمر القاضي عفيف الدين عبد الله بن محمد عبد الله الناشزي قاضياً في تعز المحروس وتقدم الأمير بهاء الدين الشمسي إلى الجهات الشامية كما كان فيها وكان تقدمهُ في محرم الثالث عشر من الشهر المذكور.

وفي يوم الثامن عشر من الشهر المذكور نزل القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد النظاري من حصن منائر أي مدينة المهجم على الذمة الشريفة السلطانية فأقام في المهجم إلى آخر الشهر

المذكور.
وفي هذه السنة المذكورة توفي الطواشي كمال الدين فاتن والى ثعبات وكان خادماً عظيماً رؤية وسماعاً وكان جباراً مهيباً فتاكاً سفاكاً وله من المآثر الدينية المسجد الذي أنشأه في معزية تعز فزق حافة الملح تجاوز الله تعالى عنه.

(274/1)

وفي سنة خمس وتسعين وسبعمائة وصل القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد النظاري إلى الأبواب الكريمة مشتملاً بالذمة الشريفة.
وكان دخوله زبيد يوم السبت الحادي والعشرين من المحرم من السنة المذكورة. فلما وصل إلى الباب السعيد اقبل عليه السلطان وكساه كسوة فاخرة وقدم له بغلة بزيار وأمر له بإقامة سماط في بيته للواصلين معه من العسكر وطلبه بعد ثلاثة أيام إلى المقام الشريف فلما حضر عاتبه معاتبة لطيفة وآنسه من نفسه أنساً تاماً.
وفي يوم الخامس والعشرين من الشهر المذكور اسلم يهودي في مدينة زبيد فاركب بغلة وزف بالموكب وكسى كسوة فاخرة.
ولما من الله تعالى بعافية أولاد مولانا السلطان من ألم الختان أمر السلطان بعمل فرحة في زبيد ودخل أولاد السلطان الحمام الصلاحي فلما خرجوا منه زفوا إلى الدار الكبير السلطاني في جملة العسكر وكان عسكر زبيد ومشدها وناظرها أمام الناس كلهم وقبلهم عبيد السلاح وغلمان البغلة بأسرهم وبعدهم الغزو الجمدارية والخدام ونقباء العسكر والجاروشية وبعدهم الوزراء وكتَّاب الدواوين وأستاذ الدار وبعدهم الخدام الكبار والمماليك والملوك بعد الناس كلهم على خيولهم في أحسن زي واجمل هيئة وكان سائر الناس يمشون على اختلاف طبقاتهم من أحراث إلى الوزير وأمامهم الطبول والمغاني. وكانت الطبلخانة تخدم على باب الدار الكبير وحضر من الخلق ما لا يحصنهم إلا الله تعالى. ولبست الطلعات ثياب الحرير فكان هنالك يومئذ طلعتان إحداهما تسير على أربع عجل تارة إلى ناحية الشام وتارة إلى ناحية اليمن والأخرى تدور كما تدور المعصرة. وفي كل واحدة من المغاني. والرقاصات ما يدهش الناظرين وحضر يومئذ كافة الجند وأصحاب الرتب والشفاليت على السماط الكبير ولم يتخلف أحد منهم. وحضر كبراء الدولة والقضاة والفقهاء وسائر الأمراء السماط وكان سماطاً حسناً فيه من أنواع الطبائخ والألوان والأطعمة ما لا يعرف أكثره. وانتقل منه الحاضرون إلى سماط من الحلوى فيه من جميع أنواع الحلوى وكان يوماً تام السرور حسناً أوله وآخره وذلك يوم الاثنين الثامن من شهر صفر من السنة المذكورة. ووصلت خزانة جيدة من سهام أرسل بها القاضي جمال الدين محمد بن عمر الشكيل. ووصل أيضاً خزانة أخرى من عدن صحبة الأمير بدر الدين محمد بن بهادر اللطيفي ووصلت أيضاً خزانة من الجهات الشامية وأرسل بها

الأمير بهاء الدين بهادر الشمسي.
واستمرَّ الأمير غياث الدين عيسى بن محمد بن حسان أستاذ دار السلطان. وكان استمراره هذا يوم الثاني والعشرين من الشهر المذكور.
وفي هذا التاريخ استمرَّ الأمير يوسف الدين قيسون أمير علم الباب السعيد. وفي ليلة الثالث والعشرين أمر السلطان بتأسيس دار النصر في القُوّرِ الأَعلى ووضعت عتبته يوم الثلاثاء غرة شهر ربيع الأول.
وفي هذا التاريخ تقدم السلطان إلى حيس ثم سار إلى الأَوشج فيطلب اصطياد حمير الوحش فأقام هنالك أياماً قلائل ثم رجع إلى زبيد فدخلها يوم الجمعة الحادي عشر من الشهر المذكور.
وفي غرة الشهر المذكور تقدم الطواشي جمال الدين مرجان إلى القحمة مقطعاً هنالك. وكان قد ظهر من المعازبة ما ظهر من الفساد فصادف من أَعيانهم محمد بن علي بن خشير ورجلاً آخر معه فقتلهما صبراً.
فلما كان يوم الثاني عشر من الشهر المذكور ركب الطواشي مرجان فيمن معه من العساكر وقصد المعازبة فقتل منهم رجلين وافترق العسكر في طلب النهب في عدة نواح فاجتمع العرب ورجعوا على الطواشي ومن معه فهزموهم وقتل عدة من الرجال الذي معه وخادم يقال له دينار ومملوك آخر. فلما وصل العلم بذلك إلى السلطان جرد إليه العساكر. فارتفعت المعازبة إلى الجبل ثم وصل شيخ بني بشير صحبة الفقيه الصالح إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن موسى ابن أحمد بن موسى بن عجيل يطلب ذمة السلطان له ولقرابته ويبذل الطاعة فأذم عليه السلطان.
وفي اليوم الرابع والعشرين وصل الأشراف أصحاب جهران إلى باب السلطان ووصل بعدهم ابن الأنف. وكان وصوله في يوم السادس والعشرين فكساه السلطان وأنعم عليه وحمل إليه ألف دينار برسم الضيافة.

(275/1)

وفي هذا التاريخ برز مرسوم السلطان إلى المشد يومئذ بزبيد وهو القاضي سراج الدين عبد اللطيف بن محمد بن سالم بأن يعمر النخل المشتري من ورثة العز الآمدي ويغرسه فبادر المشد إلى ذلك فغرس في النخل المذكور نحواً من خمسة آلاف نخلة في مدة يسيرة وهو الذي يسمى الربوة.
وفي يوم الثاني عشر من شهر ربيع الآخر استمرَّ الأمير فخر الدين أبو بكر بن بهادر السنبلي مقطعاً في القحرية والمقصرية.
وتقدم السلطان إلى محروسة تعز يوم الخامس عشر من شهر ربيع الآخر. فلما دخل حيس رفع إليه إن أميرها الأمير جمال الدين محمد بن عمران الفايشي مد يده إلى شيءٍ من مال الخراجي بها فأمر السلطان على مشد الدواوين وهو القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد بن يوسف العلوي أن

يلزم العامل المذكور بتسليم ما أَخذ. فأنكر أن يكون أخذ شيئاً. وكان حسن المعاملة فيما بينه وبين الناس فصادره المشد كما ورد الأمر الشريف فتوفي في المصادرة يوم الأربعاء الحادي والعشرين من الشهر المذكور.

وفي يوم الرابع والعشرين من جمادى الأولى وصل علم الحج المنصور من مكة المشرفة. وفي ليلة الأربعاء السابع والعشرين من جمادى الأولى دفع الوادي زبيد بماءٍ عظيم. قيل إنه أَعظم من سنة سيلة المسلب. وضرر هذا السيل ضرر عظيم في الوادي اخرب جانباً من محل مانع وشيئاً من محل طرقوه وشيئا من محل حريرة وأتلف في النخل جملة مستكثرة من النخيل وبيوتاً كثيرة.

وفي يوم الرابع من جمادى الآخرة توفي الشيخ أبو بكر القرافي المؤذن عن سن عاليةٍ واصله من قرافة مصر صم سافر إلى مكة وأقام بها مجاوراً. ثم دخل اليمن صحبة السلطان الملك المجاهد في سنة حجته الأولى وهي سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة. وكان رجوعه إلى اليمن في سنة ثلاث وأربعين فأقام مؤذناً معه على بابه السعيد إلى أن توفي المجاهد في التاريخ المذكور أولاً. ثم استمر على الوظيفة مع السلطان الملك الأفضل إلى أن توفي في التاريخ المذكور. ثم استمر على الوظيفة مع السلطان الملك الأشرف إلى هذا التاريخ المذكور. وكان للسلطان عليه شفقة تامة فاستمر ولده من بعده على وظيفته إلى أن توفي رحمه الله تعالى.

وفي يوم التاسع من جمادى الآخرة تقدم السلطان من محروسة تعز إلى زبيد فدخلها يوم الخميس الثاني عشر من الشهر المذكور. ووصل إلى باب السلطان خزانة جيدة من المحالب صحبة الأمر سيف الدين فطلبه ووصل بعدة رؤوس من الخيل. وحصل في عشاء يوم الجمعة العشرين من الشهر المذكور مطر عظيم جداً وهو الثاني من أيار. وكانت الأمطار قبله متوالية من أول نيسان.

وفي يوم الثامن والعشرين من الشهر المذكور قتل الشيخ محمد بن عبد الله ابن فخر النخلي. وكان الذي قتله رجل يقال له مكمين أحد بني الرجوي المناسكة ضربه بمهرية في رأسه ضربتين أو ثلاثاً ثم هرب إلى بلدة المعازبة.

وفي سلخ الشهر المذكور أمر السلطان بعديد المساجد والمدارس التي في زبيد فكان عددها مائتين وبعضاً وثلاثين موضعاً وعدت المعاصر في زبيد فكانت نحواً من سبعة أو ستة وعشرين عوداً.

وفي اليوم الثاني والعشرين من رجب تقدم السلطان من زبيد إلى النخل فأقام فيه إلى الثامن عشر من شعبان ثم أقام في البحر فأقام فيه أربعة أيام ثم رجع إلى النخل يوم الخميس الثاني والعشرين فأقام إلى يوم الأحد الخامس والعشرين من الشهر المذكور. ثم انتقل إلى زبيد فأقام في بستان الراحة وفي هذه السنة صام السلطان شهر رمضان في بستان الراحة.

وفي شهر شعبان الكريم أرسل الأمير بهاء الدين بهادر الشمسي بالشريف الذي يقال له أبو هدبا تحت الاعتقال.

وفي يوم الأربعاء السادس من رمضان وقع في زبيد حريق عظيم. وكان ابتداؤه من قبلي الجامع فبلغ

إلى الخان ثم إلى سوق المعاصر. وفي هذا الحريق المذكور حرقت اللجنة التي تعرف بلنجة الرهائن وكان يوماً عظيماً.

(276/1)

وفي شهر رمضان المذكور وصل كتاب من كالقوط إلى السلطان مترجماً عن القاضي بهاء وعن التجار المقيمين فيها ببذل طاعتهم للسلطان ويستأذنونه في إقامة الخطبة له بها ولم يك يخطب فيها لأحد من ملوك اليمن ولا ملوك مصر ولا من غيرهم. وكان صاحب دلى قد غلب عليهم في أول الدهر. وكذلك أيضاً صاحب هرموز فكانوا يخطبون لهما معاً. فلما جاءت كتبهم إلى السلطان بما ذكرناه قبل ما بذلوه من الطاعة وانعم عليهم إنعاماً تاماً وأذن لهم في ذلك وكساه القاضي كسوة سنية.

وكانت نسخة الكتاب الواصل منهم ما هذا مثاله وبالله التوفيق: بسم الله الرحمن الرحيم. رب سلم وبلغ. وفي حاشية الكتاب المملوك الأصغر والمحب الأكبر قاضي بلدة كاليقوط وجماعة رؤَسائها. وفي صدر الكتاب بعد البسملة وأسأل من دوَّر الفلك الدوَّار. وسير النجم السيار. أن يطول عمر مولانا المعظم. ومالكنا الموقر المكرم. ملك الوزراء في العالم شهاب الدين فلك المملكة قطب سماءِ السلطنة. ذي المناقب العلية. والمناصب الجلية. ملاذ الكبراءِ. وملجأُ العظماء. عميدا لمصر. عماد العصر. الذي تزجى الركائب في حرمه. وتزكى الرغاب من كرمه. جامع فضيلتي العلم والكرم. حائز وسيلتي الفضل والنعم. قاضي نور الملة والحق والدين. مغيث الإسلام والمسلمين. راحة الخلائق أجمعين. أدام الله جلاله. ومدَّ في الخافقين ظلاله ولا زالت دولته صافية المشارع. ضافية المدارع. ونعمه مترعة الحياض. ممرعة الرياض. ولا برح أحباؤَه في صعود. وأعداؤَه في بدود.

وينهى إلى عمله الشريف. ورأْيه المنيف بعد تقبيل تراب الحضرة العالية والدعاء لامتداد دولته القاصية. إن جماعة بلدة كاليقوط منهم التجار الكرام. والبدور العظام. لما التمس من الداعي أن يشرف المنبر بذكر ألقاب مولانا السلطان الأعظم. الخليفة المعظم. محرر ممالك العرب والعجم. سيد سلاطين الشام واليمن. السلطان السيد الأجل الملك الأشرف خلد الله ملكه. وبالغوا كل منهم بالذكر لمناقب مولانا السلطان خلد الله ملكه والخلفاء المتقدمين. والأَئمة الماضين. مثل ما يتشرفون الخطباءُ الأحد عشر في أحد عشر بلداً منها بلدة نلنبور تشرف منبرها بذكر ألقاب مولانا السلطان خلد الله ملكه هذه السنة الجديدة ورغب منهم بذلك. ثم لنحيط علم مولانا دام عزه. وكان قبل هذا التاريخ جماعة من أطراف البلاد مثل السجالة والهرموز والسمطرة وغير ذلك يلتمسون شرف المنبر بذكر ألقاب سلاطين بلادهم ما قدروا على ذلك وصرفوا من الأموال ما لا حصر فيه ولا عدد. والآن قد أجاب الداعي بإجابة ما التمسوه الجماعة المذكورون. وتشرف المنبر بذكر ألقاب مولانا السلطان الأعظم الخليفة المعظم سيد سلاطين العرب والعجم السلطان السيد الملك الأشرف خلد الله ملكه.

وأبقى عدله وزاد كل يوم دولته بمحمدٍ وآله.
والسؤال من صدقات مولانا أدام الله عزه خروج الأمر العالي إلى النواب والمتصرفين في الديوان المحروس ليرقموا اسمه في صحائف الخطباء المعدودين المتقدمين ويرسموه مع رسوم المعدودين محصلاً بذلك الأجر الجزيل والذكر الجميل. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. فأما سبب كتابي إلى جنابكم لا زال عالياً فهو بإشارة جماعة بلدة كاليقوط منهم جمال الدين يوسف الغساني ونور الدين علي القوي وزين علي الرومي ونور الدين شيخ علي الأردبيلي وسعد الدين مسعود وشهاب الدين أحمد الحوري وغيرهم من التجار المعدودين كلهم قد اتفقوا بذلك ليحصل التفاخر والتسامي فان من تمسك بذيله واعتصم بحبله نال في الدنيا مناه. وفي الآخرة مبتغاه. وقال الدال على الخير كفاعله وفاعله في الجنة. ولا يحتاج المولى إلى المبالغة ومولانا أهل العفو والكرم. ولا يحرمه من جزيل شفقاته. وجميل تعطفاته. وإن يعده من جملة الخدماء المواظبين بالعبودية. ثم الرأي أَولى والأمر أَعلى وسلام على سيد المرسلين والحمد لله رب العالمين أسأَل الله تعالى أن يصون ساحته الكريمة من نكبات الزمان. ويحرسها من طوارق الحدثان. إنهُ كريم منان. رؤف رحيم ثم سلام على المجلس جلالة ورحمة الله وبركاتهُ وعلى من يخصهم من المواظبين بالعبودية بأجزل التحية والسلام.
هذا آخر الكتاب وفي الحاشية أيضاً ما مثاله تحريراً في الثاني من شهر ربيع الثاني لحجة خمس وتسعين وسبعمائة.

(277/1)

هذا جملة ما في كتابهم وبالله التوفيق ونعود إلى سياقه الدولة السعيدة الأشرفية أتم الله سعودها ودمر عدوَّها وحسودها.
وفي العشر الأواخر من رمضان جاءَت كتب أهل الشحر يخبرون بهزيمة الخائن ابن نور وإنه خرج منها هارباً وقبضها بعده غلام السلطان الشماسي.
وفي غرة شوال استمر الأمير شمس الدين علي بن محمد بن حسان والياً في الثغر المحروس. وكان خروجه من زبيد متقدماً إلى عدن في اليوم الثاني من شوال.
وفي الخامس من شوال استمر القاضي عفيف الدين عبد الله بن محمد الجلاد في شد الاستيفاء.
واستمر القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد العلوي أميراً في المحالب وحمل له السلطان حملاً وعلماً وأقطعه حرَض وجعل إليه النظر في الأعمال السرددية فتقدم إلى الجهات المذكورة آخر يوم الأحد الثامن من شهر شوال. وجرد السلطان معه عسكراً جيداً يستعين بهِ على طوائف المفسدين من عرب الجهات وغيرهم.
وفي هذا الشهر المذكور توفي القاضي وجيه الدين عبد الرحمن ابن محمد النظاري رحمة الله عليه يوم السابع من الشهر ودفن في مقبرة باب سهام غربي قرية النويدرة وجنوبي قبر الشيخ الصالح

أحمد بن الخير الصياد نفع الله به وحضر دفنه كافة أهل المدينة ووجوه غلمان السلطان الوزير وممن دونه. وكان رحمه الله رجلاً كاملاً لبيباً عاقلاً شهماً جواداً مشاركاً في فنون العلم رحمه الله تعالى.

وفي يوم الثامن من شوال تقدَّم السلطان إلى محروسة تعز وقد استمر الأمير سيف الدين قيسون أميراً في الجند عوَضاً عن الأمير فخر الدين ابن السنبلي. وكان دخول السلطان تعز يوم الأحد الخامس عشر من شوال.

وفي يوم الاثنين السادس عشر من شوال توفي الفقيه محمد بن شافع. وكان من أصحاب الشيخ الصالح إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي. وكان قد حضر يومئذ سماعاً للفقراءِ. فلما غنى المغني في السماع دخله شيءُ من الوجد فقام من موضعه وقعد عن المغنى ساعةً ثم رمى بنفسه على المغنى واعتنقه ساعة ثم فترث قواهُ مغشياً عليه فتركوه ساعة ثم كشفوا عن وجهه فوجدوهُ ميتاً. وكان رجلاً خيراً كثير السعي في قضاء حوائج الناس ويحب إدخال السرور عليهم. وكان بيته مأوى لمن أراد من الفقراء وغيرهم من الأصحاب ولم يكن له ولد ولا زوجة. وكان في بيته نحو من ثلاثين سنوراً ما بين ذكر وأنثى وهو يشتري لهم ما يأكلونه ويطعمهم ويهتم بهم رحمة الله تعالى. وكان دفنه يوم الثلاثاء السابع عشر من شوال وقبر عند قبر القاضي وجيه الدين النظاري رحمة الله عليهما.

وفي يوم الحادي والعشرين من شوال المذكور توفي أبو بكر السلاسلي وهو رجل من أهل زبيد. وكان قد تنسك وصحب الصوفية وجاهد نفسه وهام حتى ألقى الثياب التي عليه. وكان يسير في المدينة عرياناً لا شيءَ عليه وهو يدور في الشوارع والسكك على تلك الحالة وأن ألبسه أحد ثوباً أو قميصاً فلا يبقى عليه أكثر من يوم واحد ويطرحه ولم يزل كذلك إلى التاريخ المذكور. فلما كان ليلة السبت الحادي والعشرين من الشهر المذكور وصل إلى بيت أختٍ له في المدينة ودق عليهم الباب ففتحوا له الباب فوجدوه وقد ألقى نفسه على الأرض فحملوهُ ودخلوا بهِ البيت فأشار لهم بيده إلى السرير فوضعوهُ عليه فأمسى عندهم ملقىً على ذلك السرير فأصبح ميتاً وقيل مات في أول يومه ذلك فدفن آخر يوم السبت في مقبرة باب القرتب قريباً من الباب وحضر دفنه جمع كثير من أهل زبيد وحضر والي زبيد ورؤساؤُها ولم يكن مرض قبل تلك الليلة والله اعلم رحمه الله تعالى.

وفي يوم الأحد تاسع ذي القعدة وصل الأمير شهاب الدين أحمد بن علي بن الشمسي من المخلاف إلى تعز.

وفي الخامس عشر من ذي القعدة تقدم علم الحج المنصور إلى مكة المشرفة واستمرَّ الأمير بهاء الدين الشمسي في القحرية والمقصرية في يوم الجمعة سادس عشر ذي القعدة وسافر إلى جهاته المذكورة من زبيد يوم الخميس الثاني من ذي الحجة فأوقع بالمقاصرة فقتل مهم نحواً من عشرين وأسر جماعة آخرين ونهب من أموالهم شيئاً كثيراً.

وفي الرابع من شهر ذي الحجة أسلم يهودي في مدينة زبيد وكان إسلامه في المدرسة الأشرفية في

حضرة القاضي موفق الدين علي بن أبي بكر الناشري الحاكم يومئذٍ بزبيد فكساه القاضي ثم كساه الأمير عز الدين هبة ابن محمد الفخري وكان يومئذٍ أميراً في زبيد.

(278/1)

وفي العشر الوسطى من ذي الحجة غلا البُر في مدينة زبيد خبزاً وحباً ودقيقاً فأقام نحواً من ثمانية أيام ثم جلب بعد ذلك ورخص رخصاً تاماً بحمد الله.

وفي الرابع والعشرين من ذي الحجة توفي القاضي زكي الدين أبو بكر ابن يحيى بن أبي بكر بن أحمد بن موسى بن عجيل بمدينة تعز وقبر في مقبرتها صبح يوم الرابع والعشرين من الشهر المذكور. وكان أوحد زمانهِ فطنةً وذكاءً لا يوجد له نظير. قرأ كثيراً من فنون العلم وبرع في كل فن وأسند إليه السلطان القضاء الأكبر في أقطار المملكة اليمنية. فكانت مدته في القضاء ثلاث سنين وأربعة أشهر وثمانية أيام رحمه الله تعالى.

وفي هذه السنة توفي الفقيه الماجد رضيّ الدين أبو بكر بن عبد الغفار ابن الفقيه أحمد بن أبي المخير الشماخي. وكان رجل الزمان وسيد أهل بيته كلهم وأكثرهم مروءَةً وأرجحهم عقلاً وأكملهم فضلاً. وكان فيه نفع كثير لسائر الناس ومروءَة طائلة رحمة الله. عليه وحضر يوم دفنه خلق كثير الوزير فمن دونه. وكان دفنه يوم الخميس التاسع عشر من شهر صفر رحمه الله تعالى.

وفي سنة ست وتسعين أغارت المعازبة يوم الخميس من المحرم إلى نحو الأوشج وكان رجوعهم في اليوم السابع من الشهر فترصد لهم أهل وادي زبد في الطرق التي يعتادون المرور فيها فوقعوا في حد أهل الهرمة وكانوا ثلاثة عشر فارساً. فقتلوا منهم فارساً يقال له موسى بن العلس. وكان كبيراً من كبرائهم ورئيساً من رؤَسائهم وأخذوا فرسه وفرساً آخر ودخلوا يوم الثامن بالرأس والفرسين إلى مدينة زبيد فكساهم المشد ووهب لهم دراهم كثيرة.

وفي هذا التاريخ تقدم السلطان من تعز إلى محروسة زبيد فدخلها يوم الأحد الحادي عشر من الشهر المذكور فأقام في قصر بستان الراحة أياماً ثم انتقل إلى قصر دار النصر بالقوز الأعلى.

وفي آخر الشهر قتل الأمير شهاب الدين مثقال. وكان والياً في ناحية قرعد فقتله أهل بلده خديعة. وكان أميراً جواداً شهماً حسن السيرة رحمه اله تعالى.

وفي سلخ الشهر المذكور قتل إسحق بن محمد بن إسحق الكاتب. وكان قتله في مدينة حَرض قتله جماعة من العسكر وبنو سبأ. وكان رجلاً شريراً بذيء اللسان عفا الله عنه.

وفي هذا التاريخ تقدم القاضي شهاب الدين الوزير إلى الكدراء لاستخراج الأموال بها.

وفي يوم الثامن عشر من صفر توفيت الجهة الكريمة جهة الطواشي الأجل جمال الدين معتب بن عبد الله الأشرفيّ أم أولاد مولانا السلطان الملك الأشرف طول الله عمره. وكانت وفاتها في القصر من دار النصر ودفنت ضحى يوم الأربعاء التاسع عشر من الشهر المذكور في التربة المعروفة بها

هنالك شرقي تربة الشيخ الصالح زين الدين طلحة بن عيسى الهتار. وفي يوم وفاتها وصل الصاحب من الكدراء وحصل في ليلة وفاتها ويوم دفنها مطر عظيم عام في البلاد. واستمرَّت القراءَة عليها سبعة أيام. فلما انقضت السبع رتب السلطان على قبرها مائة قارئ يقرءون ليلاً ونهاراً فأقاموا شهراً وكساهم جميعاً وأجازهم ورتب عشرين قارئاً منهم مؤبدين وبنى لهم عشرين بيتاً هنالك يسكنونها ولحقه عليها حرز عظيم وأسف شديد وعقر على قبرها يوم وفاتها عدة رؤوس من الإبل والبقر وأتلف كثيراً من البهائم. وكانت امرأة كثيرة الخير تفعل المعروف كثيراً على يد غيرها خارجاً عما تتظاهر بفعله من أفعال البر وهي أم أربعة من أولاده الذكور وهم عبد الرحمن الفائز وأحمد الناصر والعباس الأفضل وعلي المجاهد. ولها من المآثر الدينية المدرسة المعتبية في الواسطة من مدينة تعز فيها إمام ومؤَذن وقيم ومدرس وطلبة ومعلم وأيتام يتعلمون القرآن. ولها عدة سبل في مقاطع الطرق يردها السارح والرائح. كانت تأمر بإصلاح الطرق والمدرجات والعقبات ومما يتضرَّر بهِ المارُّون من الشجر وغيره.

ورثاها جماعة من الشعراءِ منهم الفقيه موفق الدين علي بن محمد الناشري والفقيه جمال الدين محمد بن علي الراعي والفقيه رضي الدين ابو بكر بن عبد الله الهبيري والفقيه شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر المقرئ وغيرهم من الأفاضل البلغاءِ ولم يك على ذهني الساعة شيءُ من قصائدهم. وقد اثبت قصيدةً كنت قلتها يومئذٍ وجعلتها من عوز وهي :

تعزَّ ولا تجزع لنائبه الدهرِ ... وقابل عظيم الرزءِ بالحمد والصبر

(279/1)

ولا تكترث إن بان خطبُ فقد قضى ... بما قد قضى في الخلق ذو الخلق والأمر

لمل امرئ كأس من الموتِ مترع ... ولكننا نسري إلى أجل يسري

فحمداً على حُلْو القضاءِ ومُرّةِ ... وصبراً فان الصبر من شيمة الحرّ

على ذا مضى الناس اجتماع وفرقة ... وكل بذا يدري وان كان لا يدري

فكم من قرونٍ قد مضوا لسبيلهم ... فهم بين أطباق المهامة والقفر

وكم أمة خلت بعد أمةٍ ... كما قد خلى في الشهر أمس من الشهر

وكم من ملوكٍ قد مضوا وتتابعوا ... كمنتثر السلك العظيم من الدر

فعوّضك الرحمن صبراً وعصمةً ... وأجراً على عظم الرزية في القدر

ولا زال عفو الله يسقى ضريحها ... يهنون بالبشرى من الله والبشر

وكم من مليكٍ حافياً من أمامها ... ومن خلفها يمشي وأدمعهُ تجري

لقد أوحشت منها قصور منيعةُ ... وكانت إذا ما أسفرت زينة القصر

بكتها السما والأرض يوم وفاتها ... وأمسى سحاب الأفق أدمعه تسري

فيا ليلةً ما كان أوحش بتها ... وقد كنت ذا بأسٍ شديدٍ وذا صبر
فحسبي من يوم تقضي وليلة ... وحسبي من صدّ صُددت ومن هجر
وسقياً لأيام تقضت عهودها ... ورعياً لعصر قد تقضَّى من العصر
فيا أم عباسٍ ويا أم أحمدٍ ... ويا أم عبد الله يادرة النحر
لقد طال ليلى بعد ليلتك التي ... تمنيت فيها إنها ليلة الحشر
فإن كنت قد غيبت عني فلم يغب ... خيالك عن عيني وذكرك في فكري
وما أنت إلا الشطر مني حقيقةً ... وما شطر شيءٍ بالغنىّ عن الشطر
وما راقني من بعد وجهك رائقُ ... ولا شافني ما في العيون من السحر
ولم يلهني قرب الحبيب الذي دنا ... ولم يشفني طيف الخيالِ الذي يسري
على وجهك الميمون حيّاً وميتاً ... سلام يزيد العطر عطراً إلى العطر
وما غرَّدَت وُرْقُ وما حنَّ راعدُ ... وما لاح برقُ يستطير ويستشري
يهوّن جدي فيك إنك في الورى ... من الذاكرين الله في ساعة الذكر
وما فيك من نسكٍ وما فيكِ من تقىً ... وما فيكِ من سرٍّ وما فيكِ من بر
وعلمي بانَّ الموت لابدَّ واقعُ ... وأنىَ أجزى بالتجلُّدِ والصبر
ولاشك عندي ثم لا شك إنما ... تنقلتِ من قصرٍ منيفٍ إلى قصر
فلو جاز ان تُفْدَى لما غلىَ الفدى ... ولو كان بالأعمار شطراً إلى شطر
ولو جازان تحمى حميت من الردى ... بهنديةٍ بيضٍ وأرماحنا السمر
ومقربةٍ قبِّ عتاقٍ شوازبٍ ... وأُسدٍ غطاريفٍ حجاحجةٍ غر
بها ليل من غسان من آل جفنةٍ ... فروعهم فرعي ونجرهم نجري
ولكن أمر الله للناس غالبُ ... وكلهم تحت الإرادة والقهر

قال علي بن الحسن الخزرجي عامله الله ولما كان بعد أسبوع من وفاة الجهة الكريمة توفيت الدار السعيد جهة حافظ بنت مولانا السلطان الملك المجاهد قدس الله سره في الجنة. وأقام السلطان الملك الأشرف بعد وفاة جهته المذكورة شهراً كاملاً في قصره دار النصر لا يدخل ولا يخرج إلا في جوف الليل إلى التربة المرحومة يقرأ ما تيسر من القرآن ويرجع. فلما كان يوم الأربعاء ثامن عشر ربيع الأول انتقل السلطان من دار النصر إلى الدار الكبير السلطاني بزبيد.

وفي هذا التاريخ تزوَّج السلطان بالجهة الكريمة جهة الطواشي جمال الدين مرجان الأشرفي. وأقام السلطان في مدينة زبيد شهراً كاملاً. وفي آخر الشهر المذكور وصل علم الحج المبارك من مكة المشرفة إلى مدينة زبيد ثم بعد أيام انتقل السلطان إلى الدار الصلاحي فأقام فيه أياماً ثم رجع إلى الدار الكبير لمضي ثمان من شهر ربيع الآخر.

فلما كان ليلة السادس عشر من الشهر المذكور أغار السلطان في العسكر المنصور إلى بلد المعازبة. وكانت جواسيسهم لا تبرح في المدينة. فلما عزم السلطان على غزوهم جاءَتهم جواسيسهم بالخبر فارتفعوا هاربين فلم يدرك منهم إلا من لا يؤْبه له فقتل بعضهم وسلم الباقون فنهب العسكر قراهم ومحالهم ولم يكونوا خرجوا إلا بالمواشي فقط فأقام السلطان والعسكر في بلادهم يوماً واحداً ثم رجع إلى المدينة فدخلها يوم السابع عشر من الشهر المذكور عازماً على العود إليهم والمحطة عليهم فأقام في زبيد بقية يوم السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر في إصلاح عدد الحرب وتفقد آلاتها وخرج يوم العشرين في جيش أجيش.

جياد تعجز الارسان عنها ... وفرسان تضيق بها الديار

بخف أغرّ لا قود عليه ... ولا ديةُ تساق ولا اعتذار

فحط في القرية المعروفة ببيت الفقيه ابن عجيل وأرسل الخازندار إلى زبيد وأمره بحمل مائة ألف دينار من المال وما أَمكنه من الدروع والكازغندات إلى زبيد والخوذ. فتقدم الخازندار إلى زبيد مبادراً وحمل جميع ما طلب منه. فلما وصله الخازندار سار من بيت الفقيه بن عجيل في جملة عساكره المنصورة. وكانت الخيل يومئذٍ ستمائة لابس والرجل ألف وثمانمائة قوس خارجاً عن أصحاب التراس من الجلادة فحط على عبيد الخنكة. وكانت محطته في القرية المعروفة ببيت العقار فهرب العبيد عن بلادهم فنبههم العسكر نهباً شديداً.

فلما كان يوم الثالث من يوم وصوله إليهم ركب في العسكر المنصور وسار معه بحملين من الطبلخانة والمزمار وراية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ورايته المنصورة فدخل بلاد العبيد وقد كانوا أرسلوا عيوناً لهم فلما سمعوا بركوب السلطان والعسكر ارتحلوا بنسائهم وأولادهم ودوابهم ولم يصبح في الهيجة منهم أحد. فنهب العسكر محلتهم ورجع السلطان أى محطة المنصورة.

وفي مدة وقوف السلطان في المحطة المذكورة وصل مشايخ الرماة إلى باب السلطان وأَحضروا ما عندهم من الخيل. وكانت خيلهم يومئذٍ ثلاثة عشر ووصل مشايخ الزيديين بالخيل التي معهم فعوضهم السلطان غيرها وأمر بأن يكتب لهم منشور كريم بتخفيف قطيعة الضاحي ورجعوا إلى محلتهم مسرورين فلما طال وقوف السلطان في المحطة أرسل العبيد بالخيل التي معهم جميعها وجملتها إحدى وعشرون رأْساً. وكان جملة وقوف السلطان في بيت العقار اثني عشر يوماً.

وفي آخر الشهر المذكور أَوقع الأمير بهاء الدين الشمسي بالمقاصرة فقتل منهم نحواً من ثلاثين نفراً واخذ رؤوسهم وأرسل بها إلى السلطان فجاءَته وهو في المحطة المذكورة.

وفي غرة شهر جمادى الأولى انتقل السلطان من المحطة المذكورة إلى مدينة الكدراء. ثم تقدم إلى المهجم فلقيه الأمير بهاء الدين الشمسي وعجلان بن الهليس وأخوه عيسى ونور الدين الصنعاني. وكانت الذبائح والفرش الحرير من العرج عرج حنيش إلى المهجم فأقام السلطان في المهجم نحواً من عشرة أيام وانفق على العسكر نحواً من خمسين ألف دينار.

وأحضر الشمسي خيل عرب السرددية وبنى حفيص وبني عبيدة وأهل الدويرة وبني زيد نحواً من

أربعين رأْساً وودي أهل الغنيمة ستة رؤوس.
ثم انتقل السلطان إلى المحالب فلقيه القاضي وجيه الدين عبد الرحمن ابن محمد العلوي والأمير سيفد الدين قيسون ودخل السلطان إلى المحالب في جيش عظيم. وحمل القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد العلوي من الضيافة ما حمله. وحمل مع الضيافة ثلاثة عشر ألف دينار وقاد من جياد الخيل حينئذٍ اثنين وعشرين رأْساً ومن الثياب الفاخرة بألفي دينار.

(281/1)

ووصل عسكر حرض وصحبتهم من الخيل الجياد عشرون رأْساً وأمر السلطان على الوزير بالركوب إلى بلد القائد وإحضاره فركب إلى المنصورة ووصل بالقائد أبي بكر بن أحمد بن علي ووصل معه أخوه وعمه فدخلوا على السلطان فأذمَّ عليهم وآنسهم من نفسه الشريفة وخلع عليهم وتقررت أحوالهم ورجعوا إلى بلادهم على ذمة السلطان فأرسل القائد أبو بكر بثلاثين رأْساً من الخيل. ثم إن السلطان ركب يوماً إلى بلد القائد في عساكره فارتاع القائد لذلك فأمر أصحابه بالشد فشدوا وركبوا. فعلم السلطان بجمعهم فقصدهم فواجهه القائد فقبض عليه. ودخل السلطان المنصورة وصاحت صوائحه بالأمان فلم يمد أحد يده إلى شيء أبداً فوقف السلطان في المنصورة إلى آخر النهار. ورجع إلى المحالب بالقائد معه تحت الاعتقال وطلب منه الخيل فاحضر من الخيل مائة واثني عشر رأْساً وأحصر ستة وعشرين درعاً وأطلقه السلطان وقدم التزم ببقية ما عنده من الخيل.
وبرز أمر السلطان بطلب خيول عرب الجهة فأحضر الصميون تسعة وعشرين رأساً. وأتى شيخ الواعظات بستة عشر رأْساً. وأرسل صاحب جازان بستة رؤوس من الخيل.
وفي مدة إقامة السلطان في المحالب استمر القاضي جمال الدين محمد بن عمر بن شكيل مشدّاً.
وفي يوم الخامس عشر من جمادى الأولى توفي الأمير عز الدين هبة بن أبي بكر الفخر بن يوسف بن منصور. وكان يومئذٍ اميراً في زبيد ودفن يوم السادس عشر من الشهر المذكور.
ولما علم السلطان بوفاته أمر ابن عمه نجم الدين محمد بن إبراهيم بن محمد الشرف بن يوسف بن منصور فسار سيرة ابن عمه.
وفي آخر يوم السادس والعشرين من الشهر المذكور أغار القرشيون من وادي رمع على المعازبة بني بشير إلى نخل المدني. وقد كان الخبر أتى إلى القرشيين بأن المعازبة هربوا ولم يكن ذلك صحيحاً بل كانوا في أَتم ما يكون من الجمع. فلما أتاهم العلم بغارة القرشيين إليهم خرجوا فاهتزم القرشيون آخر النهار فقتل منهم نحو من اثني عشر رجلاً واقتلعوا منهم أربعة أفراس وعقروا فرسين وأخذوا أربع رواحل.
وفي سلخ جمادى الأولى أغار المعازبة على فشال في جمع عظيم فسكرهم أهل فشال وطردهم وأخذوا لهم بحريين وجرحوا منهم جماعة.

وفي يوم الجمعة غرة جمادى الآخرة قتل الشيخ النهاري بن عيسى الأشعري شيخ بني الدريهم قتله أولاد علي بن العجمي بأبيهم وقتل معه الشيخ علي بن جهيض الأشعري أيضاً قتله جماعة من المالكيين في رجل قتل منهم قتله جماعة من عبيد الأشاعر.

وفي مدة إقامة السلطان في المحالب برز أمره العالي بكتب منشور بتنفيس القطيعة لأهل الضاحي ورغب للناس. وركب يوماً في عسكره المنصور إلى حدود حصن منائر فنهب العسكر أهل تلك الناحية نهباً شديداً وحرقوا بعض القرى. ورجع السلطان آخر يومه ذلك إلى المحالب. وكان مدة إقامته في المحالب شهراً وثلاثة أيام.

ثم رجع السلطان من المحالب إلى الأعمال السرددية. وكان دخوله بيت حسين يوم الجمعة الثاني والعشرين من جمادى الآخرة فأمسى بها ليلة واحدة وسار إلى المهجم فدخلها يوم الثالث والعشرين من الشهر المذكور فأقام فيها ثلاثة أيام وكتب للرعية منشوراً بتخفيف القطيعة وأضاف الجهة إلى الأمير بهاء الدين الشمسي ثم سار يريد زبيد فدخلها يوم الخميس الثامن والعشرين من الشهر في عسكر ضخم نحو من خمسمائة لابس ومن الرجل نحو من ثلاثة آلاف راجل وأمامه الخيل التي قبضها من العرب المفسدين وهي مائتان وستة وتسعون رأْساً وكان قد هلك منها شيءُ في الطريق فدخل مدينة زبيد في التاريخ المذكور دخولاً حسناً وكان يوماً مشهوداً.

وفي غرة شهر رجب وهو يوم السبت كان أول سبوت النخل فأقام السلطان في دار السرور يوم السبت ويوم الأحد ويوم الاثنين ثم انتقل إلى دار النصر فأقام فيه الثلاثاء والأربعاء ودخل زبيد يوم الخميس وصلى الجمعة في جامع زبيد يوم السابع من الشهر المذكور. وكان السبت الثاني كذلك وصل الجمعة يوم الرابع عشر في جامع زبيد.

(282/1)

ووصل يوم العشرين من رجب كتاب من مكة المشرَّفة يخبر عن تمرلنك الملك التركي بما وصل إليهم من الأخبار فذكروا إن تمرلنك جاءَت أوائل عسكره إلى بغداد في يوم السابع عشر من شوال سنة خمس وتسعين فلما وصلت أوائل عسكره كما ذكرنا انشمر صاحب بغداد ابن أويس وحمل جميع ما يقدر على حمله ممات قد ادخره وخرج في ألفي فارس إلى مصر. فلما كان يوم العشرين من شوال المذكور وصل الملك تمرلنك في عساكره وجيوشه إلى بغداد فنهبها وقتل أهلها قتلاً ذريعاً وأقام فيها أربعة أشهر من عشرين من شوال إلى بعد النصف من صفر سنة ست وتسعين وخرج من بغداد في أواخر صفر بعد أَن ترك فيها أميراً وترك معه خمسة آلاف فارس. وكان عسكره عسكراً عظيماً يسير الراجل في محطته اثني عشر يوماً وغالبهم كفار وذكروا ان فيهم ثلاثين ألفاً يأكلون الناس وإنهم إذا أقبل الليل يجعلون في حظيرة ويبيت عليهم من يحرسهم لئلا يخرجوا إلى أحد من الناس فيؤْذونهم. ولما رجع الملك تمرلنك من بغداد كما ذكرنا سار نحو الشام. فيقال إنه قصد

هادرين والسوس واستباح أهلها والله أعلم.
وأما ما كان من أبن أويس لما قصد مصر خرج إليه برقوق وتلقاه وأكرمه وأنصفه. وكان وصوله في شهر ربيع الآخر وخرج برقوق من مصر في عساكر عظيمة لا تحصى. وذلك إنه لم يترك في مصر أَميراً ولا جنديّاً ولا فقيهاً ولا متنسكاً إلا سار معه. وسار معه جميع عرب الشام بني مهنا وغيرهم وسار معه بالحرافيش وسار معه ابن أويس وساروا جميعاً إلى الشام وأرسلوا إلى صاحب الروم ان يواجههم ويرجوا أن الله ينصرهم.
وذكر صاحب الكتاب الواصل من مكة المشرفة إنه وصلهم كتاب من المدينة الشريفة من بعض المجاورين بها إلى بعض المجاورين بمكة فذكر فيه إن نائب حلب بلغه إن الملك تمرلنك أرسل مقدمةً من عسكره ثلاثين ألفاً إلى الشام. سمع بهم نائب حلب فجهز عسكره ومن قدر عليه من عرب الشام بني مهنا وغيرهم ثم ساروا جميعاً إليهم فلما التقوا انهزم أصحاب تمرلنك وقتل منهم مقتلة عظيمة ورجعوا إليه مكسورين وأَرسل الله عليهم الفناء فهلك كثير منهم.
وفي هذا التاريخ وهو آخر سنة ست وتسعين وسبعمائة لم يصل إلينا علم برقوق ومن انضم إليه من جموع الشام والروم والعراق وغيرهم وسيأتي خبرهم إن شاءَ الله تعالى.
وفي يوم السبت الثاني والعشرين من رجب من هذه السنة توفي مولانا الملك الفائز ابن مولانا السلطان الملك الأشرف وهو أكبر أولاده وكان عاقلاً ذا أناة وسكينة رحمه الله تعالى ودفن عند والدته في التربة المذكورة وحضر دفنه كافة أهل زبيد على اختلاف حالاتهم وسائر العسكر وعقر على قبره عدة من ذوات الأربع. وكانت القراءة عليه سبعة أيام آخرها سلخ شهر رجب المذكور.
وفي يوم الاثنين غرة شعبان نزل السلطان النخل فأقام فيه كجاري عادته وفي يوم الخميس الحادي عشر من شعبان استمر القاضي وجيه الدين عبد الرحمن ابن محمد العلوي في شد الاستيفاء وشد الحلال ووقف شد الخاص مع القاضي عفيف الدين عبد الله بن محمد الجلاد.
وتقدم السلطان إلى البحر يوم السادس عشر. وتقدم القاضي شهاب الدين الوزير إلى زبيد يوم الأربعاء السابع عشر من الشهر المذكور فأقام فيها ثلاثة أيام ثم سافر آخر نهار الجمعة التاسع عشر إلى الجهات الشامية فكانت إقامته في المحالب فعمَّر الدار الذي هنالك وعمرت به الجهة بأَسرها.

(283/1)

وفي يوم العشرين طلع السلطان من البحر إلى النخل ثم طلع إلى زبيد يوم الحادي والعشرين وتقدم إلى تعز يوم الأربعاء الرابع والعشرين. وكان دخوله يوم الأحد الثامن والعشرين من شهر شعبان المذكور وتهيأَ للصيام وأَخلى محلة دار النصر لحضور الفقهاء والقضاة والأمراء والوزراء ومن يعتاد حضور مجلسه للتشفية في شهر رمضان كما جرت العادة حفظه الله. وكان الحاضرون مجلسه

الشريف في شهر رمضان يتنازعون في تفضيل الرطب والعنب أَيهما أَفضل من صاحبه فحصل الإجماع بتفضيل الرطب على العنب. وكان القائل بتفضيل الرطب على العنب فقهاء تهامة وأمراؤها . وكان القائلون بتفضيل العنب على الرطب فقهاء الجبال وأمراؤها وقد أسند أهل الجبال أمرهم إلى الفقيه صفي الدين أحمد بن موسى التعزي الشافعي وكان فقيهاً عارفاً مدققاً بحاثاً محجاجاً. وأسند أهل تهامة أمرهم إلى الفقيه شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر عبد الله المقري الحسيني. وكان يتوقد ذكاءً وكان حاضر هذه الواقعة حاكم الشرع الشريف القاضي عفيف الدين عبد الله بن محمد بن عبد الله الناشري وكان أكمل أهل زمانه لا يوجد له نظير في أبناء جنسه أَحق الناس بقول أبي الطيب المتنبي حيث يقول

قاض إذا التبس الأمران عنَّ له ... أمرُ يفرّق بين الماء واللبن

القائل الصدق فيه ما يضرُّ بهِ ... والواحد الحالتين السرّ والعلن

وفي يوم الأربعاء التاسع من شهر رمضان أَسلمت امرأَة من اليهود ودانت بدين الحق وتبرأَت من كل دين خالف دين الإسلام. وكان زوجها من الإسرائيليين فالزمه حاكم الشريعة المطهرة بتسليم صداقها الذي تستحقه عليه فسلمه في مجلس الحكم وفرَّق الحاكم بينهما فرقة لا اجتماع بعدها إلا أن يسلم هو والله على ما يشاءُ قدير.

وفي هذا التاريخ تقدم الأمير بدر الدين محمد بن بهادر السنبلي أميراً في أبين وانفصل عنها الأمير بهاء الدين بهادر اللطيفي .

وفي اليوم الرابع والعشرين وصل الفقيه الإمام العلامة القاضي الأجل مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي من الثغر المحروس مطلوباً إلى الأبواب الكريمة. فلما وصل إلى الباب الكريم أكرمه السلطان وأنصفه وأنزله منزلة تليق بحاله وحمل إليه للفور أربعة آلاف درهم جدد برسم الضيافة. وكان قد أرسل له إلى عدن بمصروف أربعة آلاف درهم يتزوَّدها ويتجهز بها للوصول إليه ولم يزل مقيماً عنده على الإعزاز والإكرام. وانتفع به الناس انتفاعاً عاماً وكان في عصره شيخ الحديث والنحو واللغة والتاريخ والفقه ومشاركاً فيما سوى ذلك مشاركة جيدة. وله مصنفات مفيدة وشرح الجامع الصحيح للبخاري شرحاً ممتعاً. وكان صيام السلطان رمضان هذه السنة في محروسة ثعبات المعمورة. ووصل الأمير بهاء الدين بهادر اللطيفي من مدينة أَبين إلى باب السلطان. وكان وصوله يوم السادس والعشرين من الشهر المذكور.

وفي يوم السابع والعشرين وصل الشريف شمس الدين علي بن القاسم صاحب جهران في نحو من ثلاثين فارساً يريدون الخدمة على الباب السلطاني فأكرمهم السلطان وأَنصفهم كما جرت عادته رحمه الله تعالى.

وعيَّد السلطان عيد الفطر في ثعبات المعمورة. وركب ولده الملك الناصر في جملة العسكر المنصور نائباً عن والده فصلى في مصلى العيد بعد أَن عبر العسكر في الميدان السعيد على جاري عادتهم وكان يوماً مشهوداً.

وفي شهر رمضان المذكور أَمر السلطان رحمه الله تعالى أن يندب جماعة من القراء يشفعون في التربة المباركة تربة موالينا جهة معتب تغمدهم الله برحمته وأَمر أن يعمل في كل ليلة من الشهر سماط نفيس يحضر عليه القراء والمرتبون على التربة المذكورة وعلى تربة مولانا الملك الفائز وكانوا أربعة وعشرين قارئاً وكسا الجميع منهم لكل نفر منهم نصف مقطع بياض وثوب خام وأمر لكل نفر منهم أربعين درهماً وربع مد طعام وربع مد من التمر وترك ثلاثين رأساً من البقر يكون ما تحصل من لبنها للمذكورين ومن ينخرط في سلكهم من المأذنة والسرادالية وغيرهم.
وفي يوم التاسع عشر من شهر شوال حصل في مدينة تعز ونواحيها مطر ورعد وبرق فاصاب البرق جماعة مات منهم أربعة نف في ساعة واحدة حتى قيل أن أحدهم كان في تلك الساعة يؤَذن فأصابه البرق وهو في أثناء الأذان فلم يتم كلمته التي هو فيها.

(284/1)

وفي يوم التاسع والعشرين تقدم علم الحج إلى مكة المشرَّفة من مدينة زبيد وفي هذا التاريخ استمرَّ الأمير بهاءُ الدين بهادر اللطيفي مقطعاً في حرَض وكان تقدمه إليها في غرة ذي القعدة .
وفي يوم العشرين من ذي القعدة ركب القاضي شهاب الدين أحمد بن عمر بن معيبد من مدينة المحالب يطلب من القائد القطعة التي عليه فامتنع عن تسليم ما يتوجه عليه وخرج في عسكره مواجهاً للوزير فأمر الوزير العسكر بقتاله فانهزم هزيمة شنيعة ودخلت بلاده التي هو فيها التي تسمى المنصورة ونهبها العسكر نهباً شديداً وما ترك للقائد ولا لغيره شيء وأخذت بقية دوابه التي في إصطبله وأصابته جراحه مؤلمة وهرب عن البلاد وتركها فأمر الوزير في بلاده بعض اخوته وقرر أحوال الناس فأقام فيها أياماً. ووصل كتاب القائد بتسليم ما يجب عليه وطلب ذمة عليه وعلى كافة أهل بلده فأُجيب إلى ذلك ورجع إلى بلاده فأقام فيها.
وفي يوم الرابع والعشرين من ذي القعدة أَغار القرشيون والأشاعر بوادي رمع على المعازبة وقتلوا منهم نحواَ من ثلاثين رجلاً كما أخبرني رجل منهم. وكان جملة من احتزَّ من المعازبة في هذه الغزوة ستة عشر رأساً وطلعوا بها إلى السلطان فكساهم وأنعم عليهم .
وفي يوم الحادي عشر من ذي الحجة أَغارت المعازبة على أموال أهل الوادي زبيد في ناحية الحازة فنهبوا منها شيئاً كثيراً من البقر وسائر المواشي وكان الناس مشغولين فأغارت الأشاعر والعسكر المنصور من فشال على المعازبة عقيب غارتهم على وادي زبيد فنهبوا لهم مالاً جزيلاً وخرجت المعازبة في طلبهم فعجزوا عن استنقاذ المال .
وفي العشر الأواخر من ذي الحجة برز مرسوم السلطان بطلب الوزير من المحالب طلباً حثيثاً. فكان تقدمه من المحالب يوم السابع والعشرين من ذي الحجة وترك أخوته في المحالب وهو الشرف أبو القاسم بن عمر معيبد وترك الآخر في المهجم وهو إسماعيل بن عمر معيبد. وكان وصوله إلى

زبيد يوم الاثنين آخر يوم من ذي الحجة .

وفي هذه السنة المذكورة حصل في قرية موزع ونواحيها رجفات متتابعة نحوا من أربعين رجفة في يوم واحد وذلك في جمادى الأولى أو الأخرى. أخبرني بذلك الفقيه أبو بكر بن سليمان الأصابي عن مشاهدة لا عن رواية غيره والله أعلم.

وفي سنة سبع وتسعين وسبعمائة تقدم الوزير من محروسة زبيد إلى باب السلطان مصحوب السلامة فقابله السلطان بالقبول فأمر السلطان على كافة العسكر أن يخرجوا في لقائه وخرج في لقائه أيضاً مولانا الملك الناصر إكراماً له وإعظاماً. فلما وصل إلى الباب الشريف قابله السلطان مقابلة جيدة وكساه كسوة سنية وقاد له بغلة بزنار وأعطاه خمسة آلاف دينار . وعزم السلطان على النزول إلى تهامة فكان خروجه من تعز يوم العاشر من المحرم ودخوله زبيد يوم الاثنين الرابع عشر منه .

فلما استقر السلطان في زبيد أَمر الوزير بالتقدم لجباية الأموال بالجهات الشامية فبينما هو يتجهز لذلك إذ وصل العلم بقتل الأمير بهاء الدين اللطيفي وكان الذي قتله أهل الجثا في حدود حرض. وكان قتله ليلة الأربعاء السادس عشر من المحرم ووصل علم قتله إلى زبيد يوم السبت التاسع عشر فتقدم الوزير يوم الأحد العشرين من الشهر المذكور.واستر عوضه الأمير فخر الدين أبو بكر بن بهارد النسبلي واستمر الأمير علم الدين سنجر في القحمة عوضاً عن ابن السنبلي. وأقام الوزير في الكدراء أياماً يقرر أحوال الرعية هنالك. ثم أرسل في يوم من الأيام جماعة من الديوان إلى بعض جهات الرماة فامتنعوا عن الوصول وبطشوا بالديوان فرجع الديوان واخبروا بامتناعهم فامر الوزير جماعة من العسكر بالغارة عليهم فخرجوا نحوهم وكان مقدمهم الأمير سيف الدين قيسون وتبعه الأمير فخر الدين أبو بكر السنبلي فأوقعوا بالعرب فقتلوا منهم بعضاً وثلاثين رجلاً من مشاهيرهم ونبهوهم نهباً شديداً لأن العسكر بغتتهم وهم على غير أهبة واحتز من القتلى نحو من سبعة عشر أو ثمانية عشر رأساً وأسر مهم أربعة أنفار من أكابرهم. ثم وصلت رسلهم إلى الوزير يطلبون الذمة ويتحرجون عما يجب عليهم من الواجبات السلطانية فأجاب الوزير إلى ذلك وأطلق الأسارى وكساهم وحلفهم على حسن الطاعة وترك العصيان.

(285/1)

فلما كان السبت الرابع من صفر أمر السلطان على العسكر أن يتهيئوا للغزو إلى بلد المعازبة وأرسل إلى الوزير يأمره بان يلقاه بمن معه من العسكر صبح الأحد الخامس من الشهر المذكور فخرج السلطان من زبيد آخر يوم السبت ولم يعلم بخروجه أحد من العرب. وخرج الوزير بمن معه من العسكر. وكانت المعازبة قد انتقلت من مواضعهم خوفاً من السلطان ودخلوا في بلاد الحجنبة وبنى عباس في موضع آخر يسمى الردم بفتح الدال المهملتين فوصلهم الوزير أولاً فقاتلوه قتالاً شديداً وهربوا بأموالهم إلى الناحية التي أتاهم فيها السلطان وفي ظنهم أن السلطان لا يغير إلى ذلك

الموضع لبعده عنه فما عملوا حتى أشرقت عيلهم العساكر فنبهوا أموالهم بأسرها واشتد القتال ساعة جيدة فقتل من العرب ساعة القتال طائفة وكثر فيهم النشاب فانهزموا بعد ما كثر فيهم القتال. وفشت الجراح فيهم فيقال إن الذين قتلوا في ذلك اليوم أكثر من مائة بشيء كثير وقتل بعض أولادهم وبعض نسائهم من النشاب وانتهبوا نهباً شديداً وكانت الواقعة يوم الأحد الخامس من شهر صفر من السنة المذكورة ورجع السلطان إلى زبيد يوم الاثنين السادس من الشهر. ورجع الوزير في خدمة الركاب العالي إلى زبيد. ثم رجع الوزير نحو الجهات الشامية. كان تقدمه ليلة الأربعاء الثامن من صفر فأقام في الكدراء أياماً ثم خرج مسيراً إلى وادي سهام فاخبر عن المقاصرة إن منهم جمعاً كبيراً منتشرين في الوادي سهام فقصدهم الوزير فلزم منهم جماعة ودخل بهم الكدراء فأمر بقتل من عرف بالفساد منهم فكانوا ستة عشر رجلاً وأرسل برؤوسهم وبقية الملزمين إلى باب السلطان بزبيد وأرسل صحبتهم بخزانة جيدة وكان ذلك كله في العشر الأواخر من صفر من السنة المذكورة.

وفي شهر صفر المذكور استمر الأمير فخر الدين أبو بكر بن بهادر العدني أميراً في الثغر المحروس عوضاً عن الأمير شمس الدين علي بن محمد بن حسان، واستمر ابن حسان المذكور ناظراً به عوضاً عن الجمال الشتيري وتقدم الجمال الشتيري إلى الشحر ناظراً هنالك.

وفي آخر يوم الأربعاء سلخ صفر المذكور خرج السلطان غازياً من زبيد إلى بلد المعازبة فقتل مهم أربعة رجلاً فنهب العسكر أموالهم نهباً شديداً. وأقام السلطان والعسكر في بلادهم يوم الخميس غرة ربيع الأول ويوم الجمعة. ورجع إلى زبيد يوم السبت الثالث من شهر ربيع المذكور مؤيداً منصوراً. ووصل معه الأمير بهاء الدين الشمسي وكان دخوله زبيد في عسكر جيدٍ من الخيل والرجل.

وفي غرة شهر ربيع الآخر توفي الفقيه شهاب الدين أحمد بن الفقيه وجيه الدين عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن الخير بن منصور الشماخي. كان فقيهاً عارفاً متفنناً وحضر دفنه والقراءة عليه جمع كثير من أهل زبيد وغيرهم وكان يوم وفاته يوماً مشهوداً.

وفي ليلة الأربعاء السابع من شهر ربيع الآخر توفي الشيخ معروف ابن الشيخ الجليل إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي وقبر في تربة باب سهام الغربية مما يلي المدينة.

وفي ذلك اليوم تقدم الركاب العالي إلى سرياقوس وتبعه كافة العسكر. وفي ذلك اليوم بنيت القنطرة الشرقية التي هي قبلي بستان الراحة لطريق الزربية والمرشدية ولم يك قبل ذلك هنالك قنطرة. وكان الذي أمر ببنائها القاضي سراج الدين عبد اللطيف بن محمد بن سالم وكان مشداً بوادي زبيد يومئذٍ. وكان رجوع السلطان من سرياقوس يوم الأحد الحادي عشر من الشهر المذكور لصيد حمير الوحش فاصطاد منها في يوم الاثنين السادس والعشرين ستة رؤوس وقيل سبعة وأقام هنالك يوم الثلاثاء ودخل زبيد يوم الأربعاء الثامن والعشرين.

وفي يوم السبت غرة شهر ربيع الآخر أغار سنجر على المعازبة فقتل منهم جماعة فيهم رجل يقال له إبراهيم بن مذكور وكان من شياطينهم واحتز من القتلى رؤوس وأرسل بهم إلى زبيد.

وأغار الأمير بدر الدين محمد بن علي بن الشمس على المعازبة يوم الثلاثاء الرابع من الشهر المذكور فنهب العسكر أموالهم واستمروا راجعين بما قد نهبوه. واجتمعت خيول العرب وخرجوا في آثارهم وقد افترق العسكر فأدركوا الأمير بدر الدين في جماعة من الخيل والرجل فغشيهم العدو من كل جانب فقاتل الأمير ومن معه قتالاً شديداً حتى كلَّت الخيل ولم يعطف عليه أحد من العسكر فوقف به فرسه فقتل وقتل معه حمزة بن الأنف وعلي بن محمد بن الأنف ومملوك من العسكر وأْحد عشر رجلاً من الرجل في التاريخ المذكور فجرد السلطان حينئذٍ الأمير بدر الدين محمد بن بهادر اللطيفي في عسكر من الباب فأقاموا في فشال. واستمرَّ الأمير بدر الدين محمد بن علي الريمي في فشال في التاريخ المذكور.

وفي يوم الخميس الخامس من شهر جمادى الأولى وصل القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد العلوي بخزانة جيدة من لحج وأَبين. وكان السلطان قد ندبه لجباية الأموال في تلك الناحية.

وفي ليلة الثلاثاء العاشر من جمادى الأولى كانت ولادة الملك الصالح حسن بن مولانا السلطان الملك الأشرف ووصل القاضي شهاب الدين الوزير من الجهات الشامية يوم السادس عشر. ووصل صحبته بخزانة جيدة ووصل بنيف وأربعين رأساً من الخيل.

وفي هذا التاريخ أغار الأمير بدر الدين محمد بن بهادر اللطيفي من فشال إلى بلد المعازبة فقتل منهم جماعة احتز منهم تسعة. ووصل بالرؤوس إلى باب السلطان في التاريخ المذكور.

وفي يوم العشرين من الشهر المذكور تقدم السلطان إلى سرياقوس فاصطاد ستة من حمير الوحش أيضاً ورجع يوم الحادي والعشرين إلى زبيد فأقام إلى يوم الخميس الثالث من جمادى الآخرة ثم تقدم إلى النخل ثم إلى البحر وأقام هنالك إلى يوم الأحد السادس من الشهر. ثم ارتفع عن البحر فكان دخوله زبيد يوم الاثنين السابع من الشهر المذكور فأقام في زبيد الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت وتقدم يوم الأحد لمباشرة أملاكه السعيدة في جهات الوادي زبيد في شريج المنقار وأبي الروم وغيرهما وأمسى في النخل ثم دخل زبيد يوم الاثنين الرابع عشر من الشهر المذكور.

وفي يوم الخامس عشر من الشهر المذكور أمر الشيخ إسماعيل ابن إبراهيم الجبرتي برجل من فقرائه فضرب بالسياط وأخرج عن مدينة زبيد بسبب أوجب ذلك.

وفي يوم السادس عشر من الشهر المذكور أمر الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي بضرب الشيخ صالح المكي فضرب بالسياط ضرباً مبرحاً. ثم إن الشيخ إسماعيل استأذن السلطان في إخراجه من اليمن فأجابه إلى ذلك وصرف أَمره إلى أمير البلد فأرسل به الوالي إلى البحر وأمر نوابه أن يسافروا به إلى بر العجم. فلما صاروا به في البحر وكان يوماً شديد الرياح صرفتهم الرياح عن مقصدهم وألقتهم في ساحل الحديدة: ساحل من سواحل الوادي سهام. فأقام هنالك متستراً.

وفي يوم العشرين من الشهر المذكور أمر السلطان بعمارة الدار المسمى دار الذهب بزبيد وهو

الركن اليماني من الدار السلطاني. واهتم به السلطان اهتماماً شديداً ففرغ في أقرب مدة .
وفي شهر رجب أصلحت المعازبة جميعاً وردوا ما عندهم من الخيل ووصل بهم الأمير سيف الدين سنجر صاحب القحمة في يوم السبت الثالث من رجب ووصل في عسكر جيدٍ من الخيل والرجل ووصل صحبته تسعة عشر رأْساً من الخيل. وكان ذلك اليوم أَول سبت من السبوت المعتادة.
وفي يوم السبت الرابع والعشرين من رجب وصل الأمير الكبير الشريف صلاح بن علي بن مظهر بن محمد بن مطهر بن يحيى إلى الأبواب السلطانية وسلم لمولانا السلطان حصن ذروان فكساه السلطان وأنعم عليه وأعطاه أربعين ألف درهم.
ونزل السلطان النخل يوم الثاني من شعبان. وقد عمرت الدورات والعراريش والإصطبلات وجعل السلطان لحوية باب الدار أربعة أبواب شرقي وغربي وشمالي وجنوبي فاحتوت الحوية على آلات السلطان كلها من الخيل والبغال والحمير والأفيال وسائر البيوتات كالخزانة والفرشخانة والطشتخانة والشربخانة والركبخانة والطبلخانة فازدان بها الموضع وحسن حسناً تاماً.

(287/1)

وفي يوم السبت التاسع من شعبان توفي الفقيه الإمام وجيه الدين عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الخير الشماخي. وكان دفنه يوم الأحد العاشر من الشهر المذكور وحضر دفنه عالم كبير. وكان شيخ الحديث في مدينة زبيد رحمه الله تعالى.
وفي يوم الأحد العاشر من الشهر المذكور تقدم السلطان إلى البحر فأقام هنالك في نزهته وفرجته إلى آخر يوم الثلاثاء التاسع عشر من الشهر المذكور ثم ارتفع إلى النخل فأقام فيه إلى يوم الأربعاء. وكان دخوله زبيد يوم الخميس الحادي والعشرين فأقام في الدار الجديد يوم الخميس ويوم الجمعة ويوم السبت وتقدم إلى محروسة تعز يوم الأحد الرابع والعشرين فدخلها يوم الخميس الثامن والعشرين من الشهر المذكور. وصام السلطان رمضان هذه السنة المذكورة في تعز المحروس. وكانت إقامته في دار الوعد .
وفي يوم الجمعة السادس من شهر رمضان توفي القاضي جمال الدين محمد ابن علي الجنيد. وكان فقيهاً فاضلاً حسن السيرة ولاه السلطان القضاءَ في مدينة تعز. فكان مشكور الثناء حسن السيرة محبوباً عند سائر الناس. ثم فصله السلطان فأقام أياماً ثم ولاه السلطان القضاءَ في مدينة عدن فأقام هنالك مدة ثم انفصل وأَراد السلطان أن يوليه القضاءَ الأكبر فاخترمته المنية قبل ذلك التاريخ المذكور رحمه الله تعالى.
وفي اليوم الحادي عشر من الشهر المذكور وصل الأمير عماد الدين يحيى بن أحمد الشريف الحميري إلى باب السلطان فقابله السلطان بالقبول وصام الناس رمضان هذه السنة تسعة وعشرين يوماً وعيَّد السلطان عيد الفطر في دار الوعد. فلما انقضت أيام العيد هذه تقدم الأمير بدر الدين

محمد بن زياد الكاملي إلى الثغر المحروس وسار صحبته بخيل الموسم. وكان تقدمه من تعز يوم الخميس الرابع من شهر شوال.
وفي ليلة الرابع أو الخامس جرَّد الوزير عسكراً من المحالب لحصن منابر وأمرهم أن تكون محطتهم في قلعة حسن. فلما اصبح تبعهم في عسكر جيد من الخيل والرجل فأحاط بالحصن من سائر جهاته وحصره العسكر حصراً شديداً .
فلما كان يوم الثلاثاء أذعن أصحاب الحصن وبذلوا تسليمه وسألوا ذمة شاملة من الوزير فأذم عليهم. فلما وصلوا إليه كساهم وأحسن إليهم فنزلوا بأولادهم ونسائهم وأثاثهم. وكان في الحصن طعام مشحون أرادوا أن ينزلوا به فاشتراه الوزير منهم وقبض الحصن ورتب فيه عسكراً يحفظونه.
وفي يوم الخميس الحادي عشر من شوال تقدم السلطان إلى الجوة فأقام هنالك إلى يوم الخميس الثامن عشر من شوال. ثم طلع الدملؤة يوم الجمعة التاسع عشر منه.
وفي أثناء إقامته في الجوة وصل العلم بان الجحافل أغاروا هنالك فخرج إليهم الأمير بدر الدين محمد بن زياد في العسكر السلطاني الذي نزل معه فقتل منهم جماعة حزمن رؤوسهم أربعة وأسر أربعة واستقلع خمس رؤوس من الخيل. وأقام السلطان في حدود الدملؤة إلى آخر الشهر.
وفي آخر الشهر المذكور قتل علي بن القائد وأُسر أخوهُ عبد الله. وكان السبب في ذلك لما تقدم الوزير إلى المحالب لاستخراج الأموال بالجهات الشامية هرب جماعة من الصميين إلى بلد القائد بما عليهم من الواجبات السلطانية فكتب الوزير إلى أبي بكر القائد وأخيه علي ابن القائد أن يمنعوا من أَتاهم من رعية السلطان ولا يؤووهم. فلما وصل كتاب الوزير إليهم طرد أبو بكر من كان معه من الرعية المذكورين فآواهم على أخوه فكتب إليه الوزير يتوعده فأرسل إلى أخيه أبي بكر يعلمه إنه واصل إليه خائف من الوزير. ثم انتقل إلى ناحية أخيه فما أعلم أخوه أبو بكر حتى قد صار عليّ معه في القرية على حين غفلة فأَحاط هو وعسكره بدار أخيه أبي بكر وحالوا بينه وبين عسكره ثم هجم على أخيه فأخذه برقبته واستولى على بلاده وبلاد أخيه وكتب إلى الوزير يعلمه إنه قد أَخذ البلاد وأَن أخاه قد صار معه تحت الاعتقال فأمر الوزير أن يرسل به إليه فعزم على ذلك فدخل عليه بعض أهله وأكابر بلده وفندوا رأْيه وقبحوا فعله وقالوا له لا يحسن منك أن تسلم أخاك ولكن اسجنه عندك فأنت أحق به فقيد أخاه بكر حينئذٍ وأرسل به إلى موضع آخر من بلاده سجنه فيه. فلما علم الوزير بفعله سار إليه في العسكر المنصور.

(288/1)

فلما صار قريباً منه أرسل إليه يقول له إما أن ترسل بأَخيك إليَّ وأما أن تطلقه فلما علم بخروج الوزير خرج في عسكره متنحياً عن القرية فتبعه العسكر فعطف بعض عسكره على رجل من العسكر فطعنه طعنة قتلته فحمل عسكر السلطان على عسكره فقتلوا من أصحابه شريفاً يقال له مطرف كان

فارساً مشهوراً. فلما علم القائد بقتل الشريف مطرف حمل هو وعسكره وكانوا نحواً من مائتي فارس على العسكر السلطاني فثبت لهم العسكر ثباتاً حسناً ورد عليهم عسكر ردة صادقة فقتل علي ابن القائد وقتل معه جماعة وأُسر عبد الله ابن القائد ودخل العسكر المنصورة ونهبها نهباً شديداً واستولى على ما هنالك من دواب وسلاح وقماش وغير ذلك. وفي يوم الرابع عشر من ذي القعدة وقع في تعز ونواحيها وسائر المخلاف مطرُ شديد قيل إنه من بعد صلاة الجمعة إلى أن مضي جزءُ من الليل فأتلف في تعز بيوتاً كثيرةً وتهدمت عدة دكاكين على ما فيها ونزل في تلك الليلة في وادي زبيد مياه عظيمة أتلفت مواضع كثيرةً في أعلى الوادي وفي أسفله وتتابعت السيول ولم تنقطع وتكرر الماءُ في المحارث مرَّة بعد مرَّة وسقى في وادي زبيد مواضع كثيرة لا عهد لها بالسقي وسقيت الضواحي بماء الوادي. وفي يوم الأحد السادس من القعدة رجع السلطان من الجوة إلى محروسة تعز. وفي يوم الأربعاء التاسع من القعدة تقدم علم الحج المنصور إلى مكة المشرفة. فكان دخوله زبيد يوم الأحد الثالث عشر. وتقدم من زبيد يوم الاثنين الرابع عشر من الشهر المذكور صحبة القائد علي ابن سعيد. وفي يوم الاثنين الرابع عشر من الشهر المذكور وقع في التهائم مطر عظيم عام وهاجت رياح شديدة. وغرق في ذلك خمس سفائن من سفن الحجاج على ساحل المخلاف السليماني. وفي اليوم الثاني والعشرين من ذي القعدة وصل العلم إلى زبيد بقتل الشريف علي بن عجلان صاحب مكة المشرفة. وكان الذي قتله بنو عمه. ويقال إن قاتله قتل يومئذ قتله عبيد المقتول علي بن عجلان. وكان قتله في ناحية الوادي من يوم السابع من شوال. والله أعلم. وفي يوم السبت السادس والعشرين من ذي القعدة المذكورة تقدم القاضي شهاب الدين الوزير من قرية المحالب يريد الباب الشريف السلطاني بما صحبته من أموال الخراج وغيرها وبما جمعه من التحف والهدايا. فكان دخوله زبيد يوم الخميس عشرة ذي الحجة وكان خروجه من زبيد بعد صلاة الجمعة من يوم الجمعة الثاني من الشهر المذكور. ودخل تعز يوم الاثنين الرابع من ذي الحجة. ووصل صحبته من الخيل والهدايا والتحف شيء كثير وكان عدة الخيل ثمانية وعشرين رأْساً فأَمر السلطان ولده مولانا الملك الناصر أَن يتلقاه في كافة العساكر فخرج في لقائه وخرج معه من الأمراء الأمير بهاء الدين الشمسي ، والأمير بدر الدين محمد بن بهادر اللطيفي، والأمير بدر الدين محمد بن زياد . ووصل إلى الباب الشريف في كافة العسكر فقبله السلطان مقابلة رضية وكساه صيفية ملوكية. وصرف له بغلة بزنار ووهب له ألفي دينار.

وفي يوم السادس من ذي الحجة استمر القاضي الأجل مجد الدين محمد ابن يعقوب الشيرازي في القضاء الأكبر وكتب له منشور بذلك في أقطار المملكة اليمنية. وكان من الحفاظ المشهورين والعلماء المذكورين وهو احق الناس بقول أبي الطيب المتنبي حيث يقول

أديب رست للعلم في أرض صدره ... جبال جبال الأرض في جنبها قف

وفي هذا التاريخ وصل العماد يحيى بن علي السقيم وهو يومئذ أمير مدينة حيس بطير من الجوارح أمسكه المخابنة من ساحل حيس وفي رجله شكال من حرير فيه لوح من ذهب مكتوب فيه اسم

صاحبه يقال إنه من طيور صاحب مصر أو لبعض أمرائها الكبار ففرح به السلطان وكسا الذي وصل به كسوة سنية. ولما انقضى عيد النحر عزم السلطان على الطلوع إلى المخلاف فأنفق على العسكر نفقة شهرين في آخر ذي الحجة وفي شهر محرم من سنة ثمان وتسعين.

وفي سنة ثمان وتسعين وسبعمائة وصل ولد السيري إلى الباب السلطاني فكساه السلطان وأنعم عليه وصرف له حصاناً اخضر وبغله وانصرف راجعاً إلى أبيه.

وفي هذا التاريخ برز أمر السلطان بالسفر وأمر الفراشين يحملوا ثمانين حملاً من الخام وخرجت الزردخانة وكان خروج الطبلخانة يوم الثالث من المحرم وهو يوم الثلاثاء وتقدم آخر يومه ذلك في كافة العسكر المنصور.

(289/1)

جيش كأنك في أرض تطاوله ... فالجيش لا أمم والأرض لا أمم

إذا مضى علم منه بدا علم ... وإن مضى علم منه بدا علم

فأقام في قرية المقادمة أياماً وأرسل إلى ابن السيري من يجس مخاضته فوجده على أقبح سيرة وأخبث سريرة فارتحل السلطان عن المقادمة فكان دخوله دار السلام من جبلة يوم الجمعة الثالث عشر من المحرم فأقام في دار السلام ووصلت إليه القبائل من كل ناحية. واستخدم الرجال وبث الأموال. وأرسل ابن السيري صاحب بعد أن يطلب منه عسكراً بالجامكية فكره وامتنع عن تصدير عسكره إلى السلطان فتحقق السلطان فساده وإفساده ومكره وعناده. وكان جملة من تخلف عن الوصول إلى السلطان من القبائل يومئذ ابن السيري صاحب بعدان وعبد الباقي الصهباني. وعلي ابن داود الحبيشي صاحب الخضراء من حبل الشوافي. ثم إن السلطان تولاه الله يسير يوماً إلى ناحية اب. وكان ابن السيري قد رتب فيها نحواً من ألفي راجل. فلما قرب السلطان من المدينة أغلقوا باب المدينة وظهر منهم ما لم يكن في ظن أحد من الناس من السفه وقلة الأدب فرجع السلطان عنهم ولم يكن يومئذ قصده قتالهم فأقام في دار السلام أياماً ثم قصدهم يوم السبت الحادي والعشرين من المحرم فأغلقوا الأبواب وقاتلوا ساعة من نهار قتالاً شديداً فانهزم العسكر السلطاني هزيمة شديدةً. وثبت السلطان وولده أحمد الناصر ثباتاً حسناً. وتراجع الأمراء الكرام ثم حمل السلطان والعسكر حملة صادقة. وكانوا قد أرسلوا إلى ابن السيري يطلبون منه زيادة في العسكر فتأخرت عنهم العادة فكسبهم السلطان ودخل عليهم العسكر المدينة قهراً وأخربها العسكر خراباً كلياً ونهبوا ما وجدوه فيها وقتلوا من أهلها جماعة ورجع السلطان إلى دار السلام ظافراً منصوراً.

وفي آخر الشهر المذكور أمر السلطان الطواشي جميل في قطعة من العسكر المنصور إلى ناحية من بعدان فقاتلوا أهلها قتالاً شديداً وأخربوا عليهم خمس قرى. ونهبوا من أموالهم شيئاً كثيراً ورجع العسكر المنصور إلى السلطان سالمين غانمين ووصل الشيخ عبد الباقي بن عبد الملك الصهباني

إلى باب السلطان في عسكر جيد فقابله السلطان مقابلة جيدة وكساه. ثم إن السلطان أمر بالمحطة على الشيخ علي بن داود الحبيشي. وعلى حصنه المعروف بالخضراء من بلد الشوافي فسار إليه السلطان والعسكر وحط عليه العسكر وضيقوا عليه ضيقاً شديداً. وكان طلوع السلطاني إلى الشوافي والمحطة هنالك يوم الاثنين الثاني من صفر. فأقام السلطان في محطته المنصورة يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء وفتح الحرب عليهم يوم الخميس من كل ناحية. وكان علي بن داود الحبيشي قد جمع جمعاً عظيماً من أهله وغيرهم. فلما وجد الضيق الشديد جمع جمعه الذي معه وخرجوا يقاتلون العسكر فانهزمت الناحية التي هو فيها فقتل وقتل معه جماعة من قرابته وآخرون من غيرهم وقتل معه ولد من أولاد وهو الذي يسمى الأسد وقتل عماد الحفاء وكان عظيماً من عظمائهم واسر ولده إدريس بن علي وأبو القاسم بن داود الحبيشي. وأخرب دار علي بن داود وبساتينه ونهبت أمواله ونهبت البلاد نهباً شديداً. وحرقت المنازل والقرى وكان ذلك يوم الخميس الخامس من صفر واحتزت رؤوس القتلى وحملت إلى بين يدي السلطان. ولم تزل المحطة على الخضراء حتى أثر فيها الخراب من المنجنيق والعرادات فضاق أهلها من شدة الحصار وطلبوا الذمة وبذلوا تسليم الحصن فأجابهم السلطان إلى ذلك. فنزل الشيخ محمد بن داود الحبيشي إلى باب السلطان. فكساه السلطان وأنعم عليه وأسلم الحصن وطلع نائب السلطان فقبض الحصن يوم الخميس الثاني عشر من صفر.
وارتفعت المحطة وقد دانت القبائل وسلموا الرهائن من أولادهم واخوتهم . وكان جملة الرهائن ثمانية وعشرين رهينة. ورجع السلطان إلى دار السلام يوم السبت الرابع عشر من صفر. فأقام في دار السلام أياماً ورجع إلى تعز ظافراً منصوراً. فدخلها يوم الأحد الثاني والعشرين من صفر. فكانت غيبته عن تعز في غزوته هذه ستة وأربعين يوماً. ولما دخل تعز في التاريخ المذكور أقام فيها إلى يوم الخميس السادس والعشرين. ثم تقدم إلى مدينة زبيد. فكان دخوله زبيد يوم الاثنين آخر يوم من صفر من السنة المذكورة في عسكر جرار. ورؤوس القتلى أمام العسكر المنصور. ولسان الحال ينشد

(290/1)

بلغنا ما نشاءُ من المرد ... وحزنا ما نريد من البلاد
وفلقنا رؤوساً عاصيات ... بأسياف مهندة حداد
وصلنا صولةً يوم الشوافي ... فدانت عند صولتنا الأعادي
أتيناهم بكل اقب نهد ... شديد أسره سلس القياد
وفرسان كأسد الغاب بأساً ... ورجل مثل منتشر الجراد
فزلزلنا الجبال وساكنيها ... وكادت أن تطير من البلاد
وقد ظلت سراة القوم صرعى ... يشق القواضب والصفاد

وكل مقوم لم يعص أمراً ... يشق إذا انبرى قلب الفؤاد

طغوا وسعوا فساداً فانتقمنا ... بحزب الله من حزب الفساد

فأضحت دورهم منهم خلاء ... بلاقع لا مجيب ولا منادي

أبحناها اغتصاباً ثم جدنا ... عليهم بالطريف وبالتلاد

وعدنا ظافرين إلى تعز ... على القب المطهمة الجياد

فقل لمحمد السيري عني ... إذا واجهته يوماً وناد

أفق من قبل أن يغشاك بأس ... وإن يلحق ثمود بقوم عاد

فإني يا محمد عن قريب ... إليك بعاديات الخيل غاد

وبالسمر المثقفة العوالي ... وبيض المشرفيات الحداد

وأبطال يرون الموت غنماً ... جلاد سيما يوم الجلاد

وشم من ذري عثان غر ... على غر محجلة جياد

وبالجيش الأجش وكل قرم ... طويل الباع مسترخي النجاد

وما زال الإله لنا معيناً ... وهادينا إلى سبل الرشاد

أنا الملك الممهد ذو المعالي ... سليل الأفضل الملك الجواد

أما الملك الرسولي اليماني ... هزبر الملك وكاّف الأيادي

كريم الفرع زاكي الأصل لا من ... قالاوون ولا من آل شاد

أجود بكل ما ملكت يميني ... ولا يغني طريفي عن تلادي

وتعنوا لي القبائل في ذراها ... ولو كانت على السبع الشداد

وتخدمني ملوك الأرض طرّاً ... وسل من شئت من قار وباد

ولما دخل السلطان زبيد في التاريخ المذكور سكنها واستوطنها واخترع فيها القصور العجيبة. والمنازل الرحيبة. وفي يوم الأحد السابع والعشرين من صفر المذكور توفي الفقيه الإمام العلامة موفق الدين علي بن عبد الله الشاوري الفقيه الشافعي. وكان أحد من تدور عليه الفتيا في زبيد تفقه بالفقيه إسحاق ابن أحمد بن زكريا وبالفقيه جمال الدين الريمي وتفقه به عدة من أهل زبيد وكان باذلاً نفسه للطلبة رحمه الله .

وفي يوم الثاني عشر من شهر ربيع الأَول تقدم السلطان إلى النخيل وباشر الأرض التي اشتراها من ورثة الفقيه جمال الدين الريمي وغيرهم في ناحية التحيتاء وهي التي تسمى سرياقوس الأسفل ورجع آخر يومه إلى مدينة زبيد. وفي يوم الثالث والعشرين من شهر ربيع المذكور كان ابتداءُ عمارة المتجر بزبيد المحروس على يد القاضي سراج الدين عبد اللطيف بن محمد بن سالم وفي شهر ربيع الآخر تقدم السلطان إلى سرياقوس الأعلى واصطاد من هنالك ورجع إلى محروسة زبيد. وفي اليوم الخامس من جمادى الأولى أرسل السلطان بهدية سنية إلى الديار المصرية صحبة القاضي برهان الدين إبراهيم بن عمر المحلى وذلك في مقابلة ما وصل من هدية السلطان الملك الظاهر سيف

الدين برقوق.
وفي هذا التاريخ توفي الفقيه شرف الدين أبو القاسم بن الحضرمي. وكان يومئذ ملتزم الوادي زبيد. وكانت له مكانة عند السلطان فسار بالناس سيرةً صعبةً. وغير على الرعية كثيراً مما يعتادونه ونفع آخرين. وكان سبب موته انه خرج يباشر في شريج أبيرة ومعه جماعة من المساح والذراع وغيرهم. فلما انقضى النهار رجع الجميع إلى المدينة فركب حصاناً معه وسار يريد المدينة فلما صار في حلة الوادي زبيد شب به الحصان. وكان رحمه الله ضعيف الفراسة فلما شب به الحصان جذب عنانه إليه جذباً شديداً. فألقاه الحصان عن ظهره ثم وقع الحصان عليه فوقع السرج على قلبه بقوة الحصان فغاب ذهنه ساعة من نهار. ثم أفاق فحمل إلى بيته على ظهر دابة فأمسى ليلته أليماً وظل كذلك إلى نصف النهار ثم توفي رحمه الله تعالى.
وفي يوم التاسع من شهر رجب استمر الأمير شجاع الدين عمر بن سليمان الابي أميراً في زبيد عوضاً عن الأمير نجم الدين محمد بن إبراهيم الشرف.

(291/1)

وفي هذه السنة ظهر جراد عظيم فاتلف شيئاً من الزراعة. واخبرني من يحكى عن الفقيه شهاب الدين أحمد الحرضي نفع الله به والفقيه صارم الدين إبراهيم بن وهاس وجماعة من الثقات إن رجلاً من أهل البادية بينما هو يحرث في ذهب له إذ انبعث من السحب والعود جراد عظيم صغار يهول من رآه. وآخر إنه رأى جرادة تبيض في الأرض فنزعها فانقطع بطنها فخرج منه بيض كثير جداً. ويروى إن رجلاً أراد أن ينفر الجراد عن أرضه فوقع عليه الجراد حتى غشيه فخاف أن يأكله الجراد فتركها وهرب وكان ذلك في شهر رجب من السنة المذكورة.
وفي يوم الثامن من شعبان تقدم السلطان إلى النخل في عساكره وآلته وفي هذه السنة جعل القاضي سراج الدين عبد اللطيف بن محمد بن سالم على حوية باب دار الشوخين وجعل فيه أربعة أبواب فكانت الجمال والخيل والطبلخانة والخزانة وسائر البيوتات كلها من داخل الدرب وكان نزول السلطان النخل لاستخراج الأموال يوم الثاني عشر من شعبان وصام السلطان رمضان هذه السنة في النخل وكان صياماً حسناً ولم يذكر إن سلطاناً قبله صام رمضان في النخل أبداً والله اعلم.
وفي أول يوم من شهر رمضان من هذه السنة قتل الأمير بدر الدين محمد ابن سيف الدين قتله الأهمول وكان يومئذ أميراً لجهات الموزعية وكان سبب قتله انه لزم رجلاً منهم فحبسه فمات في الحبس من غير ضرب ولا تعذيب .
وفي أثناء شهر رمضان المذكور وصل إلى باب السلطان ولد سلطان دلي فأكرمه السلطان إكراماً حسناً وكساه كسوة سنية وقاد له رأساً من جياد الخيل كامل العدة والآلة. ووهب له أربعة آلاف درهم وآنسه من نفسه أنساً تاماً. وكان يحضر مجلس التشفيع في كل ليلة من شهر رمضان أسوة الجماعة

المندوبين لذلك. وكان اسمه كوجر شاه بن طغرخان بن فيروزشاه سلطان الهند. وكان لفيروزشاه المذكور عدة أولاد. فلما توفي ولي الملك منهم طغرخان والد هذا الولد المذكور فأقام طغرخان في الملك أياماً ثم نازعه أحد اخوته وقتله وقتل عدة من أولاده واستولى على الملك. وكان هذا الولد يومئذ صغيراً ولم يعلم به عمه فلما شب خشي على نفسه فخرج من الهند وأعمالها إلى اليمن.
وفي أثناء شهر رمضان المذكور وصل الملك الفائز ابن السلطان الملك المظفر. صاحب ظفار الحبوضي مستوفدا للصدقات السلطانية .
وفي يوم الثاني والعشرين انفصل شهاب الدين أحمد بن علي بن الشمسي من الجثة. ووصل الوزير من الجهات الشامية بنحو من ستين رأساً من خيول العرب في جملتها حصان اصفر كان صاحبه يسميه بريم الجهة.
وفي يوم الثاني والعشرين من شهر رمضان خرج جماعة في طريق النخل فنهبوا المتخلفين في الطريق من زبيد إلى النخل. فلما اصبح الصبح قصوا أثرهم فسار بهم الأثر إلى قرية الحجوف. فألزم أهل القرية إحضار الخصوم فما زال أهل القرية يبحثون حتى دخلوا موضعاً وجوا فيه جماعة من الرجال يظهرون انهم من الفقراء يظلون يطلبون الناس فإذا جن الليل انتشروا في المواضع وفيهم من يقصد السرقة وفيهم من يقصد الطرق للنهب ففتشوا مساكنهم فوجدوا فيها عدة من الثياب الفاخرة. ووجدوا معهم طعاماً مصنوعاً مهيئاً للأكل فظهر للناس أنهم لا يصومون وانهم يتزيون بزي الفقراء أهل الفاقة وأفعالهم كلها غير مستحسنة فأخذوا أمر السلطان بتلفهم .
وفي شهر رمضان من هذه السنة سمع السلطان صحيح البخاري من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على القاضي مجد الدين يومئذ وكان ذا سند عال من طرق شتى. وعيد السلطان عيد الفطر في النخل. فكان عيداً لم يكن مثله في كثرة الناس وحسن الهيئة واجتماع العسكر.
وفي يوم الثالث من شوال نزل السلطان البحر فأقام هنالك إلى يوم الثالث عشر من الشهر المذكور ثم ارتفع إلى النخل. ثم دخل زبيد يوم الرابع عشر فأقام فيها إلى يوم العشرين. ثم تقدم إلى تعز آخر ليلة الحادي والعشرين. فكان دخوله تعز يوم الخميس الثاني والعشرين من الشهر المذكور.

(292/1)

وفي يوم الحادي عشر من ذي القعدة توفي الأمير هيصم الدين إبراهيم ابن الأمير أسد الدين محمد ابن الملك الواثق بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول وكان وفاته في زبيد ودفن في مقبرة باب سهام عند القرية المعروفة بالمرزوقية. وفي عشية الجمعة الرابع من ذي الحجة قتل الشيخ عمر بن حنان في قرية الهرمة بوادي زبيد وقتل معه جماعة من قرابته وقتل أولاده وقرابته جماعة من أعدائهم بني نمر.
وحصل في هذه السنة المذكورة وهي سنة ثمان وتسعين وسبعمائة برق في قرية من قرى مور. يقال

لها المدلة " بضم الدال المهملة وتشديد الميم امفتوحة وبعد اللام هاء تأنيث " فأحرق كل دابة فيها. وماتت دوابها من البقر والغنم والحمير والجمال. ولم يحرق من القرية شيءُ لا من بيوتها ولا من أهلها ولا أصاب إحداهن ساكنها ضرر في جسمه أبداً إلا اثنين كانا خارج القرية منفردين عن القرية فحرقا. اخبرني بذلك الفقيه علي بن محمد الناشري. قال وكان البرق في شعبان من السنة المذكورة.
وفي شهر المحرَّم أول سنة تسع وتسعين وسبعمائة نزل السلطان تهامة فكان دخوله زبيد يوم الخميس الثالث والعشرين من المحرم المذكور.
وفي يوم الأربعاء التاسع والعشرين انفصل الأمير شجاع الدين عمر بن سليمان الأَبي عن ولاية زبيد. ورجع الأمير نجم الدين محمد بن إبراهيم بن الشرف على ولايته وكان الأمير نجم الدين المذكور محبوباً حسن السيرة وكانت مدة ولاية الشجاع الأبي ستة أَشهر وثمانية عشر يوماً.
ولما فصل من الولاية صودر مصدرة شديدةً وقبضت دوابه وصودر نقباء بابه وضرب ضرباً شديداً أفضى به إلى الموت. وفي يوم الثاني عشر من صفر تقدم السلطان إلى رأس وادي زبيد بسبب الصيد فأقام هنالك عشرة أيام .
وفي أثناء إقامته وصل صاحب ظفار. وكان رجوع السلطان إلى زبيد يوم الجمعة الثاني والعشرين من صفر المذكور.
وتوفي الأمير شجاع الدين عمر بن سليمان الابي ليلة الأحد الرابع والعشرين من الشهر المذكور.
وفي شهر ربيع الأول توفي القاضي صفي الدين أحمد بن محمد بن عمر بن أبي بكر العراف الحاكم بمدينة حيس. فاستمر عوضه في القضاء هنالك الفقيه جمال الدين محمد بن إسماعيل بن علوان.
وفي التاريخ المذكور استمر القاضي بن علي بن محمد بن إبراهيم الجلاد مشدا لأعمال الحيسية عوضاً عن العماد المستقيم. واستضاف الجهة القاضي سراج الدين عبد اللطيف بن محمد بن سالم.
وفي غرة شهر ربيع الآخر تقدم السلطان إلى النخل بوادي زبيد فأقام هنالك ثلاثة أيام ثم رجع إلى زبيد فكان رجوعه ليلة التاسع من الشهر المذكور.
وفي شهر جمادى الأولى تقدم السلطان إلى الجهات الشامية. وكان تقدمه من زبيد يوم الرابع منه.
وفي هذا التاريخ المذكور نهبت قافلة عدن نهبها الأحيوق يقال إن عدتها ثمانون جملاً عليها من الذهب والفضة اكثر من عشرة لكوك.
وفي اليوم الثامن من جمادى الأولى دخل السلطان مدينة المهجم فأقام فيها إلى يوم الثامن عشر من الشهر المذكور. ثم انتقل إلى المحالب بعد أَن أَطلق مشايخ الصميين المعتلقين ورهنوا رهائنهم وأغار العسكر على بلاد العتابد فنهبها نهباً شديداً.
وفي يوم الخميس الثامن من جمادى الآخرة حرقت قرية الحمى من وادي زبيد بأَسرها ولم يبق فيها شيءُ من المساكن.
وفي يوم العاشر من الشهر المذكور وصلت هدية من ولد الإمام صلاح ابن علي صاحب صنعاء.

وهي خمسة أحمال مما يستطرف وخمس رؤوس من جياد الخيل. وتقدمت الهدية من زبيد إلى السلطان يوم الثاني عشر من الشهر المذكور.
وفي هذا التاريخ أَمر السلطان بقبض العمادين فقبض من موزع ووصل به إلى زبيد جماعة من الخيل والرجل فأقام معتقلاً عند القاضي سراج الدين إلى أن وصل السلطان من الجهات الشامية.
وكان رجوع السلطان من المحالب إلى المهجم يوم الثلاثاء العشرين من جمادى الآخرة. فأقام في المهجم يوم الأربعاء والخميس والجمعة ثم سار إلى زبيد فدخلها يوم التاسع والعشرين منه فأقام فيها إلى يوم الرابع من رجب ثم تقدم إلى النخيل ورجع آخر يومه ذلك. ووصل خزانة من عدن فيها أموال ووحوش وتحف.

(293/1)

وفي يوم الثاني عشر من الشهر المذكور وقع حريق في ناحية المرباع من زبيد أخذ من سوق المرباع إلى مسجد نوفلة وانضر أهل تلك الناحية ضرراً شديداً. وفي يوم الجمعة الخامس عشر ركب السلطان إلى الجامع بزبيد وصلى الجمعة وكان أول السبوت يوم الثاني والعشرين من الشهر المذكور.
وفي اليوم الثالث والعشرين من شهر رجب المذكور برز مرسوم السلطان إلى القاضي مجد الدين قاضي الأقضية يومئذٍ بأَن يندب لمسجد الأشاعر بزبيد إماماً شافعياً. وكان المسجد المذكور لأصحاب الإمام أبي حنيفة رحمه الله من قديم زمانه فيما رأَيناه وسمعنا به. فعين القاضي مجد الدين جماعة اختار منهم السلطان الفقيه موفق الدين علي بن محمد بن فخر فاستمر في إمامة المسجد المذكور من التاريخ المذكور.
وفي ليلة الأربعاء السابع والعشرين من الشهر المذكور. وضع السلطان ولد وهو يومئذ في مدينة زبيد وكان ميلاده عند طلوع الفجر من الليلة المذكورة وهو المسمى حسين.
وكان نزول الصندوق لاستخراج مال النخل يوم الثالث والعشرين من شعبان. ونزل الس لطان النخل يوم الرابع والعشرين. وصام في النخيل وكان صياماً حسناً. وكانت التخمة ليلة الثالث والعشرين من الشهر كجاري عادته. وأثاب الحاضرين بسبب التشفيع من الفقهاءِ والأمراءِ وغيرهم.
وفي أول يوم من شوَّال حرقت مدينة فشال حريقاً شديداً. وحرق في ذلك اليوم أولاد القاضي عفيف الدين عبد الله بن محمد بن موسى الدوالي وجاريته وكان يومئذ حاكم الشرع في مدينة فشال.
وفي يوم الخامس أَو السادس من شوال لزم خمسة من مقاصرة الشام فأمر السلطان بشنقهم فشنقوا.
وفي يوم الأربعاء السادس عشر من شوال تقدم السلطان إلى البحر فأقام هنالك خمسة أيام ثم رجع إلى النخل فأقام فيه إلى آخر الشهر.
وفي أَول يوم من القعدة تقدم السلطان إلى البحر.

وفي هذا التاريخ قتلت امرأَة في قرية النويدرة التي علي باب سهام بزبيد قتلها رجلان من أهل المملاح ورمياها في بئر بين القبور. فظهر ريحها بعد ثلاثة أَيام. فأخرجت من البئر وغسلت وكفنت ودفنت. وبحث الأمير نجم الدين محمد ابن إبراهيم الشرف عن الخصوم. ورسم على أهل المملاح وضيق عليهم في إحضار الخصوم فبحثوا عنها اشد البحث . فلقة أحدهما في النخل فأُخذ وأُرسل به إلى زبيد. ثم لقي الآخر في قرية القرشية. فأخذ وأرسل به إلى زبيد أيضاً. فكتب الأمير إلى السلطان وهو على البحر يخبره بحديث المرأَة التي قتلت وخصومها فأَمره السلطان بتلفهما فأخرجهما الأمير من السجن وسمرهما وأركبهما جملين ودار بهما فشوارع زبيد . ثم أخرجهما إلى قبر المرأَة التي قتلت وأمر بتوسيطهما هنالك وعلقهما على أربع خشبات حول القبر وأقاما معقلين هنالك إلى آخر يومهما .

وفي يوم الرابع من العقدة وقع مطر عظيم في الجبال وقد صارت جمال القافلة تحت عقبة نخل فنزل سل عظيم زائداً على ما يعتاده الناس فسحب السيل الجمال وما عليها من الحمل والركبان . فحقق الذين هلكوا من الآدميين فكانوا تسعة عشر نفساً ما بين صغير وكبير ورجل وامرأة . ومن جملة من سال به السيل سليمان الخنبوق أحد الجمالة المتكررين في تلك الطريق. وكان ثقة حسن السيرة رحمه الله تعالى. وقيل أن الذين هلكوا نحو من خمسة وعشرين نفساً والله أعلم.

قال علي بن الحسن الخزرجي وأخبرني الأمير نجم الدين محمد بن إبراهيم الشرف عمن أخبره ممن حضر القضية إنه كان وصول السيل وانقطاعه عنا في سويعة يسيرة. ثم انقطع السيل وكأَنه لم يكن وقد هلك من هلك وسلم من سلم قال وكان الأمر فيما بين صلاتي الظهر والعصر والله أعلم.

وفي يوم الخميس الخامس عشر من الشهر المذكور ارتفع السلطان من البحر إلى النخل ثم ارتفع يوم الجمعة. وكان دخوله زبيد يوم السبت السابع عشر من الشهر المذكور.

وفي ذلك اليوم دخل الصندوق زبيد وارتفع رسم النخل فأقام السلطان في زبيد إلى يوم العشرين من الشهر المذكور.

(294/1)

ثم جرَّد عسكراً لأهل الحنكة خيلاً ورجلاً فأَوقعوا بأهل الحنكة وقتلوا منهم جماعة ونهبوا القرية وظن أهل القرية إن السلطان داهمهم فولوا هاربين. فلما ظهر لهم إنها جريدة من العسكر عطفوا على العسكر. ولزموا الطرق فقتل من الغز جماعة . ومن الرجل آخرين. فعزم على غزوهم والمحطة عليهم فلم يساعده الوقت لكثرة الأمطار والرياح الشديدة فتقدم إلى تعز صبح يوم الاثنين السادس والعشرين من الشهر المذكور فأقام في حيس أياماً ثم تقدم إلى تعز فدخلها يوم الثلاثاء الرابع من ذي الحجة .

قال علي بن الحسن الخزرجي ومما ظهر في هذه السنة من العجائب إن راعياً من رعاة الغنم خرج

يرعى غنمه في ناحية صنعاء في جبل يقال له مدبج. فبينما الغنم ترعى إذ نفرت منهن شاة فنزلت في حيد هنالك وهي تتبع الحشيش من مكان إلى مكان ذلك الحيد حتى بعدت عن الغنم على نحو من أربعين قامة فنزل بعدها الراعي قليلاً قليلاً حتى انتهى في ذلك الحيد إلى كهف فرأى فيه رجلاً ميتاً. فلما رآه فزع وهاله ما رأى فطلع قليلاً قليلاً كما نزل. وأعلم أهل تلك الناحية بما رأى في ذلك الموضع فقصد الموضع جماعة منهم وفي جملة من وصل ذلك الموضع منهم رجل يقال له غازي بن محمد الربيدي هو الذي وصل كتابه إلى بعض معاريفه من أهل تعز. يذكر في كتابه أنه وجد في الكهف المذكور رجلاً ميتاً عليه سبعة أكفان. وتحته نحو من أربعين ثوباً. وعليه عمامة طويلة طولها خمسة وثلاثون ذراعاً في عرض ذراع قال وفتشت على جسمه فرأَيته كأَنه مات قبل ذلك اليوم بيوم واحد. ووجهه أبيض ، وأنفه مستقيم. كأَنه راقد مستقبل القبلة. وساعده الأيمن تحت خده. ويده اليسرى على صدره. وشعر رأسه كأَنه حلق منذ ثلاثة أيام. ورأْسه مثل الطاسة. وهو قصير الظهر عريض الحقو غاية طول ساعده ذراع حديد. وطول أصابع يديه كل واحدة نحو من شبر. وطول ساقه ذراع ونصف. وطول أصابع رجليه كل واحدة نحو من كف. قال وفتشت وجهه فوجدت في جبهته ضربة خفيفة أسفل من مقص الشعر. وفي صدغه الأيمن ضربة جيدة قد كسرت جفنه. ومن ورائه كذلك. وفي ساعده الشمال طعنة تطير بين المزمارين. يعني العظمين الممتدين في الذراع .
قال وأجمع أهل تلك الناحية على إنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه. قال ورأَيت من فضله إن رجلاً وصل إليه وهو أعمى وزاره وأنا حاضر فخرج من عنده في عافية . وقال أشهد بذلك .
قال علي بن الحسن الخزرجي أَما قولهم إنه علي بن أبي طالب فغير صحيح لأَن علياً رضي الله عنه قتل في الكوفة وقبر فيها بلا خلاف ولكنهم أخفوا قبره والغالب إن هذا أحد العلماء المتقدمين أو أحد ملوك حمير والله سبحانه أعلم.
وفي يوم الخميس الرابع من المحرم أول سنة ثمانمائة قطعت يد ابن الرياحي نقاش السكة في تعز لسبب أوجب ذلك فيما رآه السلطان .
وفي يوم السابع منه وصلت هدية الشيخ علي بن أبي بكر بن زيد صاحب أبيات حسين ووصل ببغلين ونعامة وزرافتين وأسد صغير وحمار وحش وعشر رؤوسٍ من الإبل الصهب وعشر جوار حسان. وعشرة عبيد يحملون السلاح فوهب له السلطان ثلاثة آلاف دينار وكساه كسوة فاخرة وشيخه في بلاده وسمح له في خراجها عمن تقدمها وشفعه في عدة مشايخ العرب كانوا معتقلين فأطلقوا .
وفي شهر صفر وصلت الهدية من الديار المصرية إلى ساحل الحردة فلما وصل العلم بذلك إلى السلطان نزل إلى زبيد فكان دخوله زبيد يوم الاثنين الرابع عشر من شهر صفر. فلما استقر في زبيد ارسل الطواشي جمال الدين جميلاً بثلاثمائة رجل إلى ساحل الحردة وجرد معه السلطان قطعةً من العسكر يسيرون صحبة الهدية المذكورة.
فكان وصول الهدية إلى زبيد يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر صفر المذكور وكانت هدية جليلة فيها من المماليك نحو من ثلاثين تركياً ومن جياد الخيل اثنا عشر رأْساً بسروج مغرقة وآلة

حسنة وعدة جوار من الروميات والأرمنيات وطبيب ماهر من يهود مصر. ومن الملبوس والمشموم والمطعوم شيءُ كثير لا يدخل تحت الحصر ووصل في الهدية ولد القاضي شهاب الدين أحمد بن إبراهيم المحلي. وكان يوم وصول الهدية يوماً مشهوداً .

(295/1)

وفي يوم الأربعاء سلخ شهر صفر أرسل الأمير سيف الدين سنجر صاحب القحمة جماعة من المعازبة فيهم إبراهيم بن كليب وكان من أعيان المعازبة فراسة ورياسة وآخر يقال له الكران فأَمر السلطان بقتلهم فضربت أعناقهم صبراً. وقتل معهم رجل من الأهمول يقال له ناخس يقال انه الذي قتل الأمير محمد بن سيف الدين صاحب موزع وقد تقدم تاريخ يوم قتله .

وفي شهر ربيع الأول تقدم السلطان إلى سرياقوس فاصطاد من هنالك ورجع آخر يومه ذلك وهو العاشر من الشهر المذكور.

وفي اليوم الثاني عشر منه نفق الحصان المسمى صعوداً فأسف عليه السلطان وأمر بتكنيفه وحفر له في ناحية المناخ من زبيد وقبر هنالك.

وفي يوم العشرين توفي الطبيب اليهودي الذي وصل من مصر بصحبة الهدية.

وفي يوم الحادي والعشرين توفي القيه تقي الدين عمر بن عبد الرحمن الدملوي الخطيب بجامع زبيد. وكان أوحد أهل زمانه في الخطابة لم يكن في عصره مثله في ناحية من أقطار اليمن أقام خطيباً في جامع زبيد نحواً من خمسين سنة والله أعلم.

وفي يوم الأحد ثاني شهر ربيع الآخر تقدم السلطان إلى الجهات الشامية فأقام في الكدراء إلى يوم الخامس عشر.

وفي يوم الخامس عشر غزا بلاد العرب المفسدين فحرق الزبير والمصفاة وقرية الشجرة.

وفي يوم الأحد السادس عشر حرق القنبور وأخربها.

وفي يوم الثاني والعشرين حط على البجليين حتى استذموا ودخلوا تحت الطاعة ثم تقدم السلطان إلى المهجم فأقام هنالك.

وفي ليلة السبت السادس من جمادى الأولى توفي الفقيه رضي الدين أبو بكر بن الحداد في مدينة زبيد. وكان فقيهاً عارفاً كبيراً متفنناً ورعاً صالحاً. وكان يومئذ أكبر أصحاب أبي حنيفة رحمه الله تعالى. وله مصنفات حسنة وبه تفقه طائفة من أهل زبيد وانتفع به الطلبة نفعاً عظيماً.

وفي ليلة الاثنين الرابع والعشرين من جمادى الأولى قتل في زبيد رجل غريب من الديار المصرية يقال له الحاج علي الموازيني. والدي قتله غريب أيضاً من مصر يقال له الشرايطي. فأخذ القاتل وأودع السجن إلى أن وصل السلطان من الجهات الشامية.

فلما علم الشرايطي المذكور انه مطلوب بالقصاص طلب حكم الشرع وأنكر أن يكون هو القاتل ولم

تقم عليه بينة بالقتل المطلق .
وكان وصول السلطان إلى زبيد من الجهات الشامية يوم السبت السابع والعشرين من جمادى الأولى ووصل بنحو من مائتي رأس من خيول العرب، فلما كان أول يوم من رجب صرف منها السلطان مائة رأس للقرشيين والأشاعر .
وفي يوم السابع عشر من رجب وصل الشريف صاحب النجيمية إلى الأبواب الشريفة السلطانية فقابله السلطان بالقبول وكان أول السبوت يوم الخامس والعشرين من رجب.
وفي اليوم الخامس عشر من شعبان افرغ القاضي مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي كتابه المسمى بالأصعاد وحمل إلى باب السلطان مرفوعاً بالطبول والمغاني وحضر سائر الفقهاءِ والقضاة والطلبة وساروا أمام الكتاب إلى باب السلطان وهو ثلاثة مجلدات يحمله ثلاثة رجال على رؤوسهم فلما دخل على السلطان وتصفحه أجاز مصنفه المذكور بثلاثة آلاف دينار .
وفي السادس عشر وصلت هدية من صاحب سيلان إلى باب السلطان ومن جملتها أربعة أَفيال وتحف كثيرة وشجرة من العنبَاء ووصل منه كتاب إلى السلطان يتضمن ما صدر في ورقة من الذهب الخاص فقابل السلطان رسوله بالقبول وأَدخله الإصطبل فانتقى منه خمسة رؤوس من جياد الخيل وكساه كسوة فاخرة.
وفي يوم الثاني والعشرين تقدم الأمير بهاء الدين بهادر الشمسي إلى بلاده حرض.
ونزل السلطان النخل يوم الخامس والعشرين من شعبان وصام رمضان هذه السنة في النخل وحضر مقام التشفيع عدة من وجوه أهل دولته وحضر السفراء من سائر الجهات. سفير صاحب مصر وسفير صاحب الهند وسفير صاحب مكة وهو أخو محمد بن عجلان والشرفاءَ من أصحاب المشرق أحدهم الشريف فخر الدين عبد الله بن إدريس بن محمد بن إدريس بن علي بن عبد الله ابن الحسن بن حمزة بن سليمان بن حمزة وصاحب دمرمر وهو الذي يقال له عبد المطلب أحد بني الأنف وكان وصوله إلى باب السلطان يوم الرابع عشر من رمضان وغيرهم فكانوا يحضرون السماط في كل ليلة.

(296/1)

وفي الثامن والعشرين وصل الشريف صاحب تلمص في نحو من مائة نفر ما بين فارس وراجل وحصل في ليلة الحادي والعشرين من رمضان ريح شديدة من مضى الثلث الأول إلى مضى الثلث الثاني تقريباً وكانت الريح اشد ما تكون حرارة كأَنها تحمل لهب النار لشدة حرارتها وكانت الختمة ليلة الثالث والعشرين من الشهر وعمل السلطان سماطاً من الحلوى فيه شيء كثير ومن الشموم وسائر أنواع الطيب.
وفي يوم السادس والعشرين زف محمل الحج في مدينة زبيد وساروا به إلى النخل يوم السابع والعشرين فدخل النخل في جمع عظيم من الفقهاءِ وغيرهم وصام الناس رمضان هذه السنة تسعة

وعشرين يوماً وأفطروا نظراً لا خبراً.
وفي يوم العيد ركب مولانا الملك الناصر إلى المصلى نائباً عن أبيه في كافة العسكر.
وتقدم السلطان إلى البحر يوم الثامن من شوال فأقام فيه اثني عشر يوماً ثم ارتفع إلى النخل ومن النخل إلى زبيد فأقام في دار السرور وجهز محمل الحج إلى مكة المشرفة بما لابد مه من المال والكسوة والعسكر والأزواد ووهب للشريف محمد بن عجلان مائة رأْس من كرام الإبل خارجاً عما يعتاده من العادة القديمة وسار المحمل صحبته.
وكان تقدم المحمل إلى مكة المشرفة من زبيد يوم الخميس السادس والعشرين من شوال وسار صحبته من الحاج قافلة عظيمة ودخل السلطان زبيد يوم الأحد التاسع والعشرين من شوال فأقام في دار السلطنة بزبيد إلى اليوم السابع من القعدة ثم تقدم إلى مدينة تعز يوم الثلاثاء الثامن من الشهر المذكور. وفي يوم الخميس السابع عشر من القعدة توفي القاضي سراج الدين عبد اللطيف بن محمد بن سالم في مدينة زبيد ودفن يوم الجمعة الثامن عشر عند تربة الشيخ أحمد الصباد من قبليها.
وحضر دفنه من الناس عالم لا يحصون كثرة وكان من أفراد الزمن حازماً عازماً عاقلاً كاملاً حسن السيرة طاهر السريرة رحمه الله تعالى واستمر عوضه في جميع وظائفه القاضي عماد الدين أبو الغيث ابن أبي بكر بن علي الميت وكان استمراره يوم العشرين من الشهر المذكور وكان أكمل الموجودين بعد المتوفى إلى رحمة الله تعالى. وفي هلال ذي الحجة وقع على حجاج اليمن سموم عظيم في ناحية يلملم فهلك منهم طائفة عظيمة في يوم واحد يقال إن الذين هلكوا في ذلك اليوم أكثر من ألف وخمسمائة إنسان والله أعلم. وفي هذا الشهر المذكور أمر السلطان بعمارة الزيادة في الدار السلطاني بزبيد وهو القصر اليماني الذي هو قبالة مدرسة الميلين إلى ما يوازيها من الغرب.
وفي يوم الثامن والعشرين من ذي الحجة حرقت قرية القرشية حريقاً عظيماً ولم يسلم منها إلا القليل من القرية السفلى. وفي سلخ الشهر المذكور وصلت هدية من الديار المصرية صحبة الحاج أحمد الخفاني .
وفي أول سنة إحدى وثمانمائة أَغار المعازبة على قرية فشال فقتل منهم حشيبر بن علي بن حشيبر وأخذ فرسه وكان الذي قتله ولد الشريف داود بن مطهر. وفي يوم الخامس من الشهر المذكور أَغار الشريف والقرشيون على بلد المعازبة فقتلوا منهم ثلاثة أنفار وأُخذت رؤوسهم وحملت إلى زبيد ثم أغار المعازبة على أهل المخيريف بعد ذلك فقتل منهم جماعة اجتز منهم ثمانية نفر ودخلوا برؤوسهم إلى زبيد ثم جمعوا جمعاً آخر وأَغاروا على المخيريف أيضاً يوم العاشر من صفر فقتل من المعازبة نحو من ثلاثين رجلاً. وفي يوم الثالث عشر من شهر صفر خرج السلطان من تعز إلى زبيد وكان خروجه يوم الخميس عند طلوع الشمس فدخل المدينة حيس بين المغرب والعشاء من ليلة الجمعة ثم سرى فدخل زبيد عند طلوع الفجر من يوم الجمعة الرابع عشر من صفر المذكور. وفي يوم الاثنين السابع عشر من صفر المذكور وصل نحمل الحج وقافلة الحجاج وهدية من الديار المصرية. وركب السلطان في طلب الصيد نحو النخل يوم الرابع والعشرين من الشهر المذكور ورجع

آخر يومه ثم تقدم إلى سرياقوس يوم الخميس السابع والعشرين من الشهر المذكور. فأقام هنالك يوم الخميس ويوم الجمعة ورجع إلى زبيد يوم السبت التاسع والعشرين. وفي ذلك النهار كسفت الشمس واتصل العلم إن صاحب أبين قتل جماعة من بني إبراهيم نحواً من عشرين شيخاً وقبض بيوتهم وخيولهم ولذلك ثارت فتنة شديدة بسبب قتلهم وكان الساعي في قتلهم الأمير شجاع الدين عمر بن قراجا.

(297/1)

وفي شهر ربيع الأول ضرب الأرز من أملاك السلطان بوادي زبيد فوصلت الزفة الأولى يوم النصف منه مائتان وثمانون حملاً.
ووصلت الزفة الثانية يوم الحادي والعشرين وهي نحو من الأولى ووصلت الزفة الثالثة يوم السادس والعشرين وهي دون التي قبلها بكثير.
وفي يوم الخامس والعشرين من الشهر المذكور تقدم الأمير فخر الدين أبو بكر بهادر السنبلي إلى أبين.
وفي شهر ربيع الآخر أوقع الأمير بدر الدين محمد بن بهادر السنبلي بالعرب المفسدين في الجهات السرددية فقتل منهم جماعة ووصلت رؤوسهم إلى زبيد يوم السادس عشر من الشهر المذكور خمسة وعشرون رأساً ومن خيلهم سبعة عشر رأساً.
وفي هذا التاريخ توفيت امرأة في زبيد كانت قد حجت وجاورت في الحرمين نحواً من سبع سنين. ووصلت في هذه السنة إلى زبيد مع قافلة الحجاج فأقامت أياماً وتوفيت هي وجاريتها في يوم واحد فلما كان يوم الجمعة ثاني شهر جمادى الأولى أصبحت الدعامة التي بنيت على قبر المرأة تهتز اهتزازاً شديداً من غير محرك يحركها فخرج معظم الناس لمشاهدة ذلك وشاع خبرها في المدينة فخرج النساء والرجال ينظرون ذلك وكثر ازدحام الناس عندها فركب الأمير صاحب زبيد وأمر بهدم الدعامة فهدمت في يومها ذلك ومنع الناس من الخروج والوصول إليهما ثم أشار بعض الناس ببنائه صندوقاً وبنى عليه عريش فلما كان يوم الجمعة أصبح القبر يهتز كما كان في الجمعة الأولى يميل يميناً وشمالاً فخرج أهل المدينة ولم يبق أحد من الأمراء وأكابر الناس إلا خرج لمشاهدته فاتصل علم ذلك إلى السلطان فلما كان وقت صلاة الجمعة ركب السلطان إلى الجامع في حاشيته وخدمه من المماليك والأمراء وسائر الرجال حتى وقف على قبرها ورآه وهو يميل يميناً وشمالاً فوقف عنده ساعة ثم رجع إلى الدار وكنت ممن حضر التربة المذكورة ورأى ما هنالك عياناً لا تقليداً.
وفي يوم السابع من جمادى الأولى ظهر ولد السلطان وهو المسمى الظاهر وقيل المظفر .
وفي يوم الخميس الثامن من الشهر المذكور وصل الأمير فخر الدين أبو بكر ابن بهادر السنبلي والطواشي جمال الدين جميل من عدن ووصل صحبتهم ولد صاحب ظفار وهو المسمى بالملك

المجاهد فخرج في لقائه مولانا الملك الناصر أحمد بن إسماعيل الملك الأشرف وخرج معه قطعة من العسكر فلما دخل زبيد أكرمه السلطان وأنصفه وأخلى له مسكناً يليق به ولم يزل على الإكرام والإفضال إلى آخر السنة.

ثم جهزه السلطان وزودّه وجرَّد معه عسكراً إلى بلاده فملكها واستولى عليها.

وفي يوم الاثنين الثاني عشر قتل عمر بن علي بن سهيل بن الأقدر وكان سيد المعازبة في عصره قتله أهل التربية فأغار المعازبة يوم الثامن عشر إلى وادي زبيد فقتلوا من أهل بيدخة نحواً من عشرين رجلاً.

وفي سلخ الشهر المذكور وصل الشريف يحيى بن أحمد بن الهادي بن الدين الحمزي إلى باب السلطان فأكرمه وأنصفه.

وفي ليلة الاثنين الثالث من جمادى الآخرة كان عرس الأمير بدر الدين محمد بن زياد الكاملي على ابنة الأمير سيف الدين سنجر صاحب القحمة فقام به السلطان قياماً تاماً واحتفل احتفالاً عظيماً وسكنه في بيت الطواشي جمال الدين ثابت وهو بيت عجيب وحمل له إلى البيت المذكور فرشاً على اثنين وعشرين جملاً أنواعاً مختلفة وما يحتاج إليه من النحاس والصيني والأطباق والملابس شيئاً كثيراً وكساه كسوة فاخرة وقاد له حصانين مكملين وكانت الحضرة إلى باب الدار فحضر الوزير وسائر الناس والمقطعين والأمراء ووجوه الغز والسلطان مشرف عليهم وخرج مرفوعاً من باب الدار إلى البيت الذي هيء له وكانت المماليك الخاصكية تحمل الشمع المزهر أمامه وسائر المذكورين يمشون إلى أن وصل البيت المذكور وكانت ليلة مشهودة مذكورة.

وفي يوم الأحد التاسع من الشهر المذكور تقدم السلطان إلى الجهات الحيسية بسبب اصطياد حمر الوحش فاصطاد في يوم الاثنين العاشر من الشهر المذكور هنالك عشرة رؤوس ثم رجع إلى محروسة زبيد فدخلها يوم الثلاثاء الحادي عشر من الشهر المذكور.

وفي يوم الخامس عشر من الشهر المذكور تقدم الأمير بدر الدين محمد بن زياد الكاملي إلى ناحية ريسان من ناحية المداد.

(298/1)

وفي يوم الخميس العشرين من الشهر المذكور اختصم رجلان إلى باب الوالي بزبيد فطلب أحدهما حكم الشريعة المطهرة فمنعه الوالي من ذلك فاستغاث بحاكم الشريعة فعجز القاضي عن استنقاذه فكتب القاضي إلى السلطان يشكو من الوالي وتعديه على حكم الشريعة المطهرة فأمر السلطان حينئذ من تقدم إلى الوالي وأخرجه من بيته إلى بيت حاكم الشريعة المطهرة إنصافاً للقاضي وإجلالاً له وللشرع الشريف فنهاه القاضي مشافهة عن معارضة الشرع وقصره عن ذلك وأخذ عليه أخذاً كلياً ثم قال تقدموا به إلى باب الدار فلما وصلوا به إلى باب الدار أشرف السلطان وشتمه ووبخه توبيخاً

شديداً ولولا إن السلطان كان يجله لحسن سيرته في الناس ما سلم.
وفي أول يوم من رجب اجتمع الفقهاء بزبيد وقصدوا القاضي مجد الدين محمد بن يعقوب الشيارزي قاضي القضاة يومئذ وسألوا منه أن يسمعهم صحيح البخاري فأَجابهم إلى ذلك وكانت القراءة في منزله يومئذ في البستان الذي له عند باب النخل فاجتمع لذلك خلق كثير من الفقهاء والأعيان واستمرت قراءَة الكتاب إلى أن ختم في تاريخه الذي يأتي ذكره إن شاءَ الله تعالى.
وفي يوم الخامس من رجب المذكور تصدق السلطان بصدقة جليلة على فقراء أهل البلد وذلك على ما حقق ألفا مثقال من الذهب وأطلق في ذلك اليوم عدة من أصحاب السجن.
وفي يوم الثاني عشر من رجب المذكور وأمر السلطان بعديد النخل في الوادي زبيد فابتدئ بالعديد يوم السبت الرابع عشر من الشهر المذكور.
وفي يوم الثامن عشر وصل ولد القاضي نور الدين علي بن يحيى بن جميع ووصل صحبته بخوانة جيدة وكان ختم قراءة البخاري يوم الثالث من شعبان وحضر من الناس عالك كثير نحو من ثمانمائة إنسان وحضر الختم عدة من الأعيان ووجوه الدولة كمشد الاستيفاء وأستاذ الدار وصاحب زبيد وعدة من أمثالهم وأجاز القاضي مجد الدين يومئذ لكل من سأَله الإجازة.
قال علي بن الحسن الخزرجي تجاوز الله عنه وكنت ممن حضر الختم وسأَلته الإجازة فأجازني في جميع مقروءاته ومسموعاته ومستجازته ومصنفاته وكتب خطه بذلك لي ولِأولادي وبعض أولادهم وهو الموجودون يومئذ جزاه الله خير الجزاء.
وفي يوم العاشر من شعبان تقدم ولد القاضي نور الدين علي بن يحيى من جميع إلى عدن. وفي هذا التاريخ طلع القاضي شهاب الدين أحمد بن عمر ابن معيبد الوزير بأمر السلطان وطلع معه صاحب شكع ليمكنه من الحصن. وكان أول السبوت يوم الثاني عشر من شعبان. وفي ليلة الخامس عشر من شعبان توفي القاضي شرف الدين حسين بن علي الفارقي الوزير الأشرفي وكان حسن السيرة له آثار حسنة رحمه الله تعالى.
وفي يوم التاسع عشر من شعبان المذكور وصل صاحب حيس برجل يقال له عثمان بن مطير كان يسرق بالليل وينهب بالنهار ويأخذ كل سفينة غصباً. وكان قد كثر فساده في ناحية الحيسية فظفر به والي الجهة وأَمسكه ووصل بهِ إلى باب السلطان فأَمر السلطان بقطع يده ورجله من خلاف فأَقام أياماً بعد القطع وهلك.
وصام السلطان هذه السنة رمضان في مدينة زبيد وكانت الختمة في دار السرور الذي هو خارج باب النخل وعيد السلطان في زبيد.
وفي آخر يوم من رمضان وصل الأمير بدر الدين محمد بن زياد من ناحية المداد.
وفي ثالث يوم من شوال نزل السلطان النخل ونزل الصندوق أيضاً لاستخراج أموال النخل وبعد أيام قلائل تقدم الأمير بدر الدين محمد بن زياد الكاملي إلى تعز في قطعة من العسكر ليكونوا شداده هنالك. ووصل الوزير من الجبل إلى باب السلطان يوم السادس من ذي القعدة. وكان السلطان على

البحر فكساه السلطان كسوة حسنة وأعطاه ألف دينار.
وفي يوم الثامن والعشرين من ذي القعدة ارتفع السلطان من النخل إلى زبيد وارتفع رسم النخل ودخل الصندوق زبيد وارتفع المشد والكتاب وانقطعت أحكام النخل.
وفي يوم الاثنين غرة ذي الحجة أَقطع السلطان الأمير بدر الدين محمد بن بهادر اللطيفي القحمة وحمل له حملاً وعلماً وانفصل عنها سنجر. وفي يوم الثامن من ذي الحجة استمر الجمال محمد بن عمر بن شكيل في الأعمال الموزعية وعيد السلطان عيد النحر في زبيد وركب ولده الملك الناصر يوم العيد في كافة العسكر بحكم النيابة وكان عيداً حسناً.

(299/1)

وفي هذه السنة المذكورة ارتفعت الأسعار في زبيد فبلغ سعر الذرة والدخن كل زبدي بدرهم. وعبرة الزبدي خمسون أوقية حباً. الأوقية عشر قفال بالختم المصري. وبلغ زبدي السمن بعشرة دنانير وعبرة زبدي السمن اثنا عشر رطلاً كل رطل عشرون أوقية وبلغ سعر البركل زبدي بدرهم ونصف وكان الوزف كل زبديين بدرهم وقل الدر في الدواب.
ودخلت سنة اثنتين وثمانمائة والحال على ما ذكرنا. وفي أولها وصل الخبر بموت السلطان الملك الظاهر برقوق صاحب الديار المصرية وصلى عليه يوم الجمعة الثالث من محرم أول سنة اثنتين وثمانمائة في جامع زبيد. وكانت وفاته في شوال من سنة إحدى وثمانمائة وأمر السلطان بالقراءة عليه سبعة أيام في مدينة تعز وزبيد وعدن.
وفي يوم الثامن والعشرين من المحرم المذكور خالف الأمير بدر الدين محمد ابن زياد بن أحمد الكاملي وكان السلطان قد تركه في مدينة تعز وأضاف إليه قطعةً من العسكر خيلاً ورجلاً رتبة هنالك ثم كتب إليه السلطان أن يتلقى خزانة عدن ويصل بها إلى زبيد.
فلما خرجت الخزانة من عدن ولقيها الأمير بدر الدين فيمن معه من العسكر وكانت خزانة عظيمة فيها أموال جليلة من الذهب والفضة لكوك ومن الملبوس والمشموم شيءُ كثير وسار معها جماعة من التجار بأَموالهم فعظم ذلك في عين الأمير وجزل عنده وربما حسن له ذلك بعض بطانته فاستولى على الخزانة بأَسرها وعلى من سار معها وسار بها نحو جبل سورق يريد طلوعه فلم يتفق له ذلك فقصد حصن سناج ووقف فيما بين بلد زبيد والعربيين وكان قد أضاف إليه السلطان طائفة من الحصون ورتب فيها ثقاته ونوابه فلما وصل علمه إلى السلطان بما كان منه أرسل السلطان الطواشي جمال الدين مرجان لقبض حصن ريسان أحد حصون المداد وهو أحد الحصون المنيعة وكان فيه نائب لابن زياد فلما وصل الطواشي إلى الحصن المذكور طلب نائب ابن زياد فلما وصل إليه أوقفه على أمر السلطان بقبض الحصن فأطاع وسلم الحصن إلى الطواشي فقبضه الطواشي من نائب ابن زياد فطلعه ورتب فيه ثقاته.

فلما استقر فيه الطواشي وصلت كتب بن زياد إلى نائبه يأمره بحفظ الحصن وأن لا يمكنه أَحداً فندم النائب على تفريطه في الحصن وكتب إلى ابن زياد يعلمه بذلك إنه لم يصل كتابه إلا وقد وصل الطواشي مرجان بأَمر شريف انه يقبض الحصن فقبض الحصن ونزلت منه ولو سبق كتابك ما مكنته ولا كنت أمكن أحداً غيرك والسلام. ثم إن الطواشي مرجان شحن الحصن بالطعام والماءِ والحطب وأَمر علي النقيب الذي كان فيه بالتقدم إلى باب السلطان فتقدم إلى السلطان ووقف الطواشي في الحصن يعمره ويشحنه.

وفي يوم الاثنين الخامس من صفر وصلت هدية من الديار المصرية أرسلها السلطان الملك الظاهر برقوق قبل وفاته وكان وصولها في التاريخ المذكور ووصل الأمير بدر الدين محمد بن بهادر السنبلي بخزانة من الجهات الشامية وكان وصوله يوم الجمعة التاسع من صفر المذكور.

وفي يوم الاثنين الثاني عشر من شهر صفر وصل الطواشي جمال الدين ظريف الدويدار من الجهات التعزية ووصل صحبته عسكر من صاحب بعدان وتقدم السلطان إلى تعز يوم الاثنين التاسع عشر من صفر وكان دخوله تعز يوم الأحد الخامس والعشرين من الشهر المذكور ووصل إلى الأمير بدر الدين محمد بن بهادر اللطيفي.

ووصل الأمير بهاء الدين الشمسي الجميع إلى باب السلطان فلما توافرت العساكر أَنفق السلطان على كافة العسكر نفقة جيدة فجردهم وحطوا على حصن سناج وأقاموا نحواً من نصف شهر في قتال ليلاً ونهاراً.

فلما رأَى الأمير بدر الدين كثرة العساكر علم أنه لا طاقة له بمناصبة السلطان وتحقق إن ما كان معه من المال نفد وان العرب تأكله وربما باعوه فأرسل إلى السلطان من يطلب له ذمة شاملة فأَذم عليه السلطان على يد جماعة من الفقهاء والمشايخ والصوفية وتوثقوا له من السلطان ثم رجعوا إليه بالذمة الشريفة فسرى من الحصن الذي هو فيه ليلاً بغير علم من أَهل الحصن الذي هو فيه ومن أهل المحطة فأصبح على باب السلطان يوم الأربعاء الرابع من شهر ربيع الآخر فكان جملة خلافه أَربعة وستين يوماً.

ولما وصل إلى باب السلطان كما ذكرنا قابله السلطان أحسن مقابلة وصفح عنه وكساه وأَعاده إلى احسن من حالته الأولى.

(300/1)

وفي شهر ربيع الأول من هذه السنة وقع في مكة حرسها الله تعالى مطر شديد وسالت أوديتها بمياه كثيرة فامتلأَ الحرم ماءً ودخل الماء إلى باطن الكعبة من بابها وكان الماء فوق عتبة الباب السفلي نحوا من شبر وحمل الماء منبر الخطيب عن موضعه إلى موضع آخر ومات في الحرم جماعة أدركهم الماء وعجزوا عن الخروج وخربت بيوت كثيرة ومات تحت الردم طائفة منهم والله أعلم.

وفي آخر شهر ربيع الأول توفي الأمير بهاء الدين بهادر الأشرفي أمير جاندار السلطان وكانت وفاته في مدينة تعز في التاريخ المذكور وفي يوم الثامن من شهر ربيع الآخر ظهر ولد السلطان الملك الأشرف المسمى علي وتوفي ولد السلطان المسمى حسين بعده بقليل.

وفي آخر الشهر المذكور وصل الشريف شمس الدين جحرية من صعدة في نحو من سبعين فارساً وخمسمائة قواس وفي أول شهر جمادى الأولى حرقت محل مبارك قرية من قرى وادي زبيد بأسرها.

وفي يوم الأربعاء الخامس والعشرين منه وصل السلطان إلى محروسة زبيد فأقام فيها أياماً ثم جرد العسكر المنصور إلى بلد المعازبة فوجدوا في نخل المدبي جماعة منهم فقتلوا منهم اثنين وعشرين رجلاً فيهم مرزوق بن الشجيج .

وفي يوم السبت الخامس والعشرين من جمادى الأخرى وقعت رجفة عظيمة نصف النهار وانقض كوكب يحكى من رآه انه كان على هيئة القمر فانهدمت حينئذ مواضع كثيرة في الجبال.

وفي ليلة الثاني من رجب جرد السلطان عسكراً إلى بلد المعازبة فيهم ولده الملك الناصر فقصدوا الردم فلم يجدوا فيه إلا الماشية فنهبوا ما وجدوا وقتلوا رجلين أو ثلاثة ورجعوا.

وفي ليلة العاشر من رجب المذكور جرد السلطان عسكراً إلى فشال وعسكراً إلى المدبى وأمر بضرب المدبى وأمر على أهل وادي زبيد بالخروج فخرجوا صحبة العسكر المنصور.

وفي ليلة الاثنين التاسع عشر منه أمر السلطان بخروج محمل الحج مزفوفاً في جماعة الفقهاء والقضاة وكذلك في يوم الخميس الثاني والعشرين وكذلك يوم الاثنين السادس والعشرين.

وفي ليلة الخميس التاسع والعشرين توفي الفقيه عيسى بن موسى الزيلعي في مدينة زبيد عن نيف وتسعين سنة وحضر دفنه كافة أعيان الدولة.

وفي يوم الخميس السادس من شعبان توفي الشريف إدريس بن عبد الله صاحب ظفار.

وفي يوم الجمعة السابع منه وصلت هدية جليلة من صاحب الهند ووصل سفير السلطان وهو الذي يسمى مفلح التركي.

وفي آخر ذلك اليوم توفي الشريف فخر الدين عبد الله بن إدريس بن محمد بن إدريس بن علي بن عبد الله بن الحسن بن حمزة في مدينة زبيد وقبر في حياط التربة المعتبية بأَمر السلطان.

وفي يوم الاثنين العاشر حصلت رجفة شديدة. واخبرني الفقيه تقي الدين عمر بن أحمد بن عبد الواحد قال بينما أنا وجماعة من الرعية في رأس الوادي زبيد وقت الضحى الأول إذ حصلت رجفة شديدة وكان أحد عمالة النخل حينئذ علي نخلة عندنا هنالك فكادت النخلة تسقط بالعامل.

وكان قد انقض نجم قبل ذلك بساعة من ناحية المغرب إلى المشرق فوقع بين جبلين هنالك فاشتعلت النار حينئذ موضعه ثم حصلت الرجفة بعده بقليل.

وفي يوم الجمعة الثامن والعشرين من شعبان المذكور توفي ولد السلطان المسمى علي في مدينة زبيد وقبر في التربة المعتبية.

وفي يوم العاشر من رمضان وصل الأمير بدر الدين محمد بن بهادر السنبلي من الجبل في عسكر

جيد من الخيل والرجل.
وفي هذه السنة صام أهل زبيد شهر رمضان بالاثنين وصامه أهل المهجم بالأحد عن رؤية حكوها في كتبهم الواصلة إلى زبيد.
وفي الخامس عشر من رمضان أمر السلطان ان تمنع النساء من اتباع الجنائز والنياحة على من مات وان لا يفرش على أحد من النساء ولا من البنات البتة.
وفي اليوم التاسع عشر من رمضان استمر القاضي موفق الدين علي بن أبي بكر الناشري نائباً في القضاءِ الأكبر بأَمر السلطان.
وكان القاضي مجد الدين قد سفر قاصداً للحج في غرةِ شهر رمضان إلى مكة المشرفة وصام أهل زبيد هذه السنة تسعة وعشرين وأفطروا عن رؤَية.
وفي يوم الخميس ثالث شهر شوال سخط السلطان على الأمير بدر الدين محمد بن زياد الكاملي فقبض دوابه وغلمانه وأودعه حبس زبيد.

(301/1)

وفي يوم الخميس ثالث الشهر المذكور نزل السلطان النخل وتقدم الأمير بهاء الدين الشمسي يوم العاشر من شوال إلى بلاده حرض وتقدم السلطان إلى البحر في التاريخ المذكور فأقام أياماً ورجع إلى النخل يوم الثالث عشر فكانت إقامته في النخل المسمى بالهاروني.
وفي يوم الحادي والعشرين توفي الفقيه أحمد بن القاضي علي بن سالم عن سن عالية وكان من الأخيار رحمه الله تعالى.
وفي يوم الثالث والعشرين من شوال احترق الحرم بمكة شرفها الله تعالى وكان سببه إن رجلاً من المجاورين يسكن في رباط العجم عند باب عزورة أطفأَ مصباحه عندما أراد أن ينام ففلت من الذبالة شيء من النار ووقع على شيء فاحترق ذلك الشيء فاحترق الموضع فلحقت النار سقف الرباط فاحترق ثم لحقت النار سقف الحرم فاحترق السقف والأساطين وكان حريقاً عظيماً لم يعهد مثله وأقامت النار في الحرم نحو من عشرين يوماً والناس في كل يوم يطفونها ولا تكاد تنطفي.
وفي أول ذي القعدة استمر الأمير بدر الدين محمد بن بهادر السنبلي في القحمة ومقدماً في فشال وانفصل ابن اللطيفي عن القحمة.
وفي يوم السادس من ذي القعدة خرج رجل من باب النخل في محارة وكان محيراً بأَمر الأمير فلما صار في الباب أراد البوابون أن يختبروا ما في المحارة فضربوا عليها بالحديد فتوجع الرجل وأَنَّ فلزموا الجمل وأبركوه واخرجوا الرجل من المحارة وتقدموا به إلى الأمير فحبسه وحبس الجمال الذي ساق به الجمل ولما أَصبح في اليوم الثاني كحلهما معاً. وفي السابع من الشهر المذكور توفي الفقيه برهان الدين إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن أبي الخير وهو آخر من كان في بني أبي

الخير من الفقهاء في ذلك العصر.

وفي الخامس عشر من الشهر المذكور تقدم الأمير بدر الدين محمد بن بهادر السنبلي إلى قرية فشال وأصلحت المعازبة على يده والتزموا بأداء الخيل وأمنت الطرق وسار الناس فيها آمنين .

وأمر السلطان بطلوع ابن زياد إلى حصن تعز فسجن فيه هو وأصحابه. وفي ليلة الجمعة الرابع والعشرين من الشهر المذكور وقع مطر في مدينة زبيد ونواحيها من بعد طلوع الشمس إلى أذان العصر وتشعثت في المدينة بيوت كثيرة من بيوت الناس وتتابع سيل الوادي زبيد ليلاً ونهاراً وسائر الأودية وربنا بلغ بعضها البحر وأتلف ثمرة النخل إتلافاً شديداً وصلى الناس الجمعة في ذلك النهار بالاجتهاد وبعضهم صلى الظهر مجتهداً أيضاً وعد الحاضرون يومئذ في جامع زبيد بضعاً وثلاثين فلذلك صلى الظهر جماعة منهم ثم بعد ساعة جاوزوا الأربعين فصلوا الجمعة من غير دلالة على بقاء الوقت الحقيقي ووافق ذلك اليوم من السنة الرومية سادس عشر تموز والله أعلم.

وطلع السلطان من النخل إلى زبيد يوم الثامن من ذي الحجة وطلعَ الصندوق وارتفع رسم النخل يوم التاسع وتوارت الأمطار والسيول في قطر اليمن واتصلت الأودية بالبحر بعد أن استغنى الناس عنها وكانت سنة خصيبة كثيرة الخيرات بحمد الله تعالى.

وفي النصف الأخير من ذي الحجة المذكورة ظهر ولد لمولانا الملك الناصر أحمد ابن مولانا السلطان الملك الأشرف وهو المسمى يوسف .

وفي ليلة الخميس الحادي والعشرين من الشهر المذكور دفع الوادي زبيد دفعة عظيمة حتى قال طائفة من الناس لم يعهد مثلها أبداً وأخرب العقم الكبير المجاهدي وأخذ طائفة من محل طرقؤة وطائفة من محل حريرة وخف الماء في آخر ليلته تلك بحمد الله تعالى.

وفي يوم السبت سلخ شهر ذي الحجة توفي الفقيه سراج الدين عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي الفقيه الحنفي النحوي وكان شيخ نحاة اليمن في عصره رحمه الله تعالى.

وفي هذه السنة المذكورة ظهر جواد عظيم في زبيد ونواحيها وأتلف كثيراً من الزروع والثمار والأشجار.

قال علي بن الحسن الخزرجي اخبرني الأمير نجم الدين محمد بن إبراهيم الشرف المتولي زبيد يومئذ قال اخبرني الفقيه تقي الدين عمر بن أحمد بن عبد الواحد.

(302/1)

قال اخبرني بعض الرعية الثقات من أهل حارة وادي زبيد انه رأى حنشاً كبيراً وقد خرج من جحره فأكل من الجراد شيئاً كثيراً حتى إنه عجز عن المسير إلى جحره فوقف في موضعه ذلك فوقع عليه الجراد حتى غشيه من كل ناحية ثم أكله الجراد ولم يترك منه شيئاً قال وأخبرني بعض الثقات من أهل الحاجزية وهي بحاءٍ مفتوحة وألف وجيم مكسورة بعدها زاي إنه رأى ديكا وقد انتشر الجراد في

موضعه ذلك فالتقط ذلك الديك من الجراد شيئاً كثيراً وأكله حتى انتهى ثم وقع عليه الجراد فأكله جميعه ولم يترك منه إلا الريش وكان ظهور الجراد في آخر شوال من السنة المذكورة وأقام إلى آخرها.

وأخبرني الفقيه علي بن محمد الناشري قال أخبرني بعض المسافرين في البحر إنه وقع في بلاد السودان زلزلة عظيمة أقامت أياماً متوالية دون العشر انهدمت فيها عدة مواضع وجبال كثيرة ثم حصل في ناحية منها نار عظيمة لها دخان عظيم وهربت الناس من ذلك الموضع وأقامت النار أياماً والدخان متراكم ثم تجسم ذلك الدخان وصار خيالاً في ذلك الموضع ولم يعهد قبل ذلك هنالك شيءُ من الخيال وكان هذا كله في أثناء النصف الأخير من السنة المذكورة والله أعلم.

وفي أول سنة ثلاث وثمانمائة استمر القاضي رضي الدين أبو بكر بن القاضي شهاب الدين أحمد بن عمر بن معيبد ناظراً في الثغر المحروس بعدن عوضاً عن القاضي جمال الدين محمد بن عمر الشتيري واستمر الأمير سيف الدين قيسون أميراً بها عوضاً عن الأمير فخر الدين أبي بكر بن بهادر العدني .

وفي عاشر المحرم توفي الفقيه نور الدين إسماعيل بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الخير وكان شاباً حديث السن محبباً قد ظهرت عليه إمارات الفلاح وكان ذكياً مجتهداً في طلب العلم رحمه الله تعالى.

وفي سلخ المحرم وصل الجمال محمد بن عمر بن شكيل من الجهات الشامية إلى باب السلطان بزبيد وحصل على السلطان وعك شديد في التاريخ المذكور وقلق الناس من أجله قلقاً شديداً ثم منَّ الله عليه بعافيته وركب من الدار السلطاني بزبيد إلى دار السرور يوم الجمعة ثاني عشر صفر فأقام فيه أياماً.

وفي مدة إقامته وصلت خوانة من عدن وكان وصولها يوم الخامس عشر من صفر المذكور.

وفي اليوم الثامن والعشرين من صفر توفي الفقيه الصالح تقي الدين عمر بن مظفر وكان وفاته في مدينة زبيد وقبر في مقبرة باب القريب عند قبر الفقيه أبي بكر الحداد وكان رجلاً عالماً صالحاً باذلاً نفسه لطلبة العلم في سبيل الله عرض عليه التدريس في عدة مواضع فكره الأسباب كلها ولم يعلق بشيء منها رحمة الله وأعاد علينا من بركاته .

وفي تاريخ وفاته تماماً حصل على السلطان ألم شديد أشد من الأول فأقام أياماً ينتقل من موضع إلى موضع فلم يجد راحة فعزم على الطلوع إلى تعز فتقدم يوم الخميس الثاني من ربيع الأول فأقام في حيس أياماً بسبب الألم الذي يجسده ثم سار إلى تعز فكان دخوله تعز ليلة الأربعاء الثامن من ربيع الأول المذكور فأقام في دار الوعد عشرة أيام مريضاً ثم توفي إلى رحمة ربه في ليلة السبت الثامن عشر من الشهر المذكور رحمه الله تعالى. قال علي ابن الحسن الخزرجي أخبرني القاضي موفق الدين علي بن أبي بكر الناشري قال توليت غسله بوصية منه وأعانني على ذلك الفقيه جمال الدين محمد بن صالح الدمتي وبعده الفقيه موفق الدين علي بن محمد فخر وشاهدت عليه من جلال

والبهجة والنور ما ينشرح له الصدر وبالغت في تنظيفه وتطهيره وهو نظيف طاهر حتى بلغت به أكمل الفرض والسنة وكفنته بالثياب البياض وطيبته بالمسك والكافور ونزلت به إلى مدفنه وحليت عنه الرباط والصقت خده بالتراب ووجهته إلى القبلة الشريفة وودعته وعوت له رحمه الله تعالى.
وكان تشييعه إلى تربته والصلاة عليه يوم السبت المذكور فيما بين صلاة الظهر والعصر ودفن رحمه الله تعالى في مدرسة الأشرفية التي أنشأها في ناحية عدينة واستمرت القراءة عليه سبعة أيام وصلى عليه في سائر مدن اليمن وقرئ عليه في كل مدينة سبعة أيام وأصاب كافة الناس عليه أسف شديد.
وكان رحمه الله خير ملك وسيرته سيرة جواداً كريماً هماماً حليماً رحيماً ورؤفاً مشفقاً عطوفاً ولم يكن في ملوك العصر مثله.

(303/1)

ومن مآثره الدينية التي أنشأها في مدينة تعز وخارجها مدرسة حسنة الشكل لها بابان شرقي وغربي وباب يماني ومقدم فسيح وشمسه رحيبة وتكوين عجيب وابتنى فيها مطهراً نفسياً ورتب فيها إماماً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن ومدرساً على مذهب الإمام الشافعي ومعيداً وعدة من الطلبة ومدرساً يتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدرساً في النحو والأدب وجماعة من الطلبة أيضاً ووقف فيها عدة من الكتب النفائس في كل فن وأوقف على المدرسة المذكورة وعلى المرتبين فيها وقفاً جيداً يقوم بكفايتهم وهو الذي زاد الزيادة الشرقية التي في جامع عدنية بمدينة تعز من الناحية الشرقية وهي زيادة حسنة نفيسة انتفع بها جماعة الجامع المذكور نفعاً عظيماً وابتنى جامع قرية مملاحم بزبيد وأنشأ فيما بين قرية السلامة وحيس ثلاثة سبل وهو الذي أحدث بستان سريا قوس الأعلى من وادي زبيد وغرس فيه غرائب أنواع الشجر وأول من زرع الأرز بوادي زبيد وكان رحمه الله غاية في الظرف واللطف ومكارم الأخلاق وجمال الصورة وحسن السيرة والتودد إلى الخلق ومحبة العلماء والعلم.
ورثاه جماعة من الشعراء منهم الفقيه النبيه شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر المقري وغيره واثبت قصيدته لموافقة المعنى المقصود وهي هذه وبها ختم الكتاب

هو الدهر كرت بالخطوب كتائبه ... وعضت بأنياب حداد نوائبه
فإن كان هذا الدهر مالا صروفه ... على دكها الطود المنيع جوانبه
فما جدعت إلا لمارن أنفه ... ولا جب إلا ظهره وغواربه
لقد كورت في ذلك اليوم شمسه ... وأمست تهادى في الدياجي كواكبه
فوا أسفا للمجد طاف به الردى ... وقامت على رغم المعالي نوادبه
وأمسى أبو العباس من بعد ملكه ... معفرة تحت التراب ترائبه

وحيداً ببطن الأرض من فوقه الثرى ... تمر به أخدائه وحبائبه
وقد ملأت عرض الفيافي جنوده ... وطبقت الدنيا خيولاً مواكبه
فلو كان يغني في الدرى دفع دافع ... لردت وجوه الحطب عنه كتائبه
ولكنها الأقدار تنفذ في الورى ... بأمر إله أمره لا نغالبه
فيا لهف نفسي كيف أطفئ نوره ... وكيف خبا بعد الإضاءة ثاقبه
وكيف أصابته المنايا بسهمها ... ولم يغن عنه جيشه ومقانبه
فيا أيها الباكون حول ضريحه ... على مثله فليسكب الدمع ساكبه
فجعتم بملك كلاب البر مشفق ... بوادره مأمونة وعواقبه
فقدتم به ما تعلمون من الوفا ... ومن كرم ما خاب في الناس طالبه
إذا أوعد الجاني تغشاه عفوه ... وإن وعد العافي غشته مواهبه
وما عذر عين لم يفض فيه ماؤها ... وما غدر صبر لم تداع جوانبه
عليكم له حق فوفه حقه ... وكيف يوفى بالمدامع واجبه
فوالله لو تبكى الدماء عيوننا ... لما قاربت من حقه ما يقاربه
لقد كان منا يحسن الموت بعده ... لو أن أمراً قد مات إذ مات صاحبه
ولولا الذي نرجو ونعلم إنه ... ممهدة أعلى الجنان مراتبه
وإن له في حضرة القدس منزلاً ... يشاهد منه ربه ويخاطبه
لما انفك دمع العين حزناً وحسرة ... عليه من الباكين تجري شعائبه
فلا يخدعن الدهر من بعده أمراً ... فما الدهر الا ضيغم أنت راكبه
يصافى الفتى حتى يرى فيه فرصة ... فينشب فيه نابه ومخالبه
أبا أحمد أسلمت أمة أحمد ... إلى أحمد فاستسلم الحق صاحبه
وقام بأمر الله من بعد ما عفت ... معالمه فينا وغارت كواكبه
وشمر عن ساق امرئ همه العلى ... يجاذب من أطرافها وتجاذبه
وأمن من خوف وقرب من نوى ... وساس البرايا وهو ماطر شاربه
ودانت له الدنيا وأذعن أهلها ... وأرضت صعاب الحادثات تجاربه
كريم أهان المال بذلا ومن يهن ... لسائله أمواله عز جانبه
أنارت به الآفاق والشمس أشرقت ... بطلعته والليل تجلي غياهبه
فيا ناصر الإسلام صبراً فإنه ... متى مر طعم الصبر سرت عواقبه
لقد كنت نعم الجبر للكسر بعده ... فيالك صدعاً لَمَّ فلقيه شاعبه
سقى قبره الفياض بالجود والندى ... سحاب ملث ليس يقلع راتبه